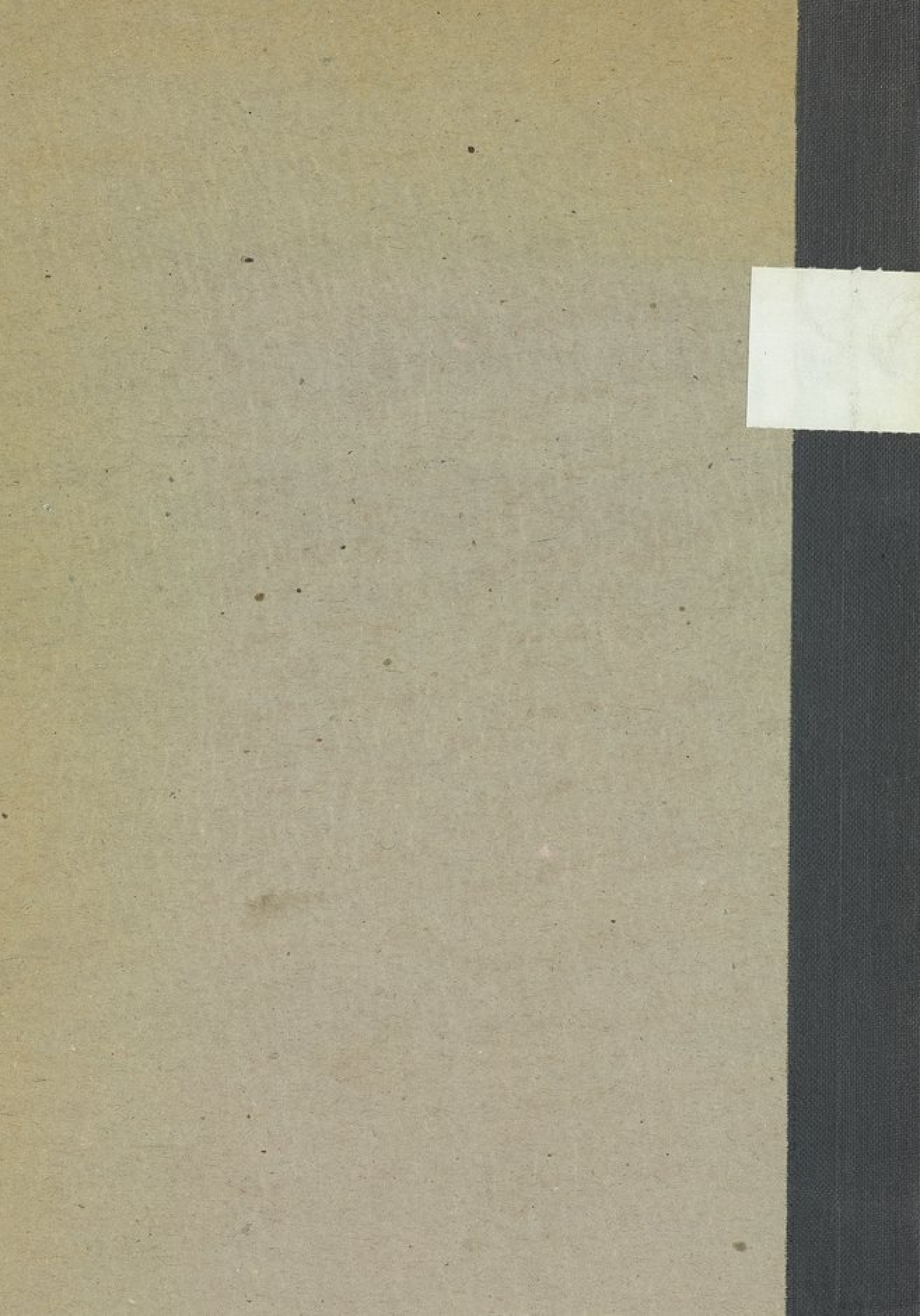
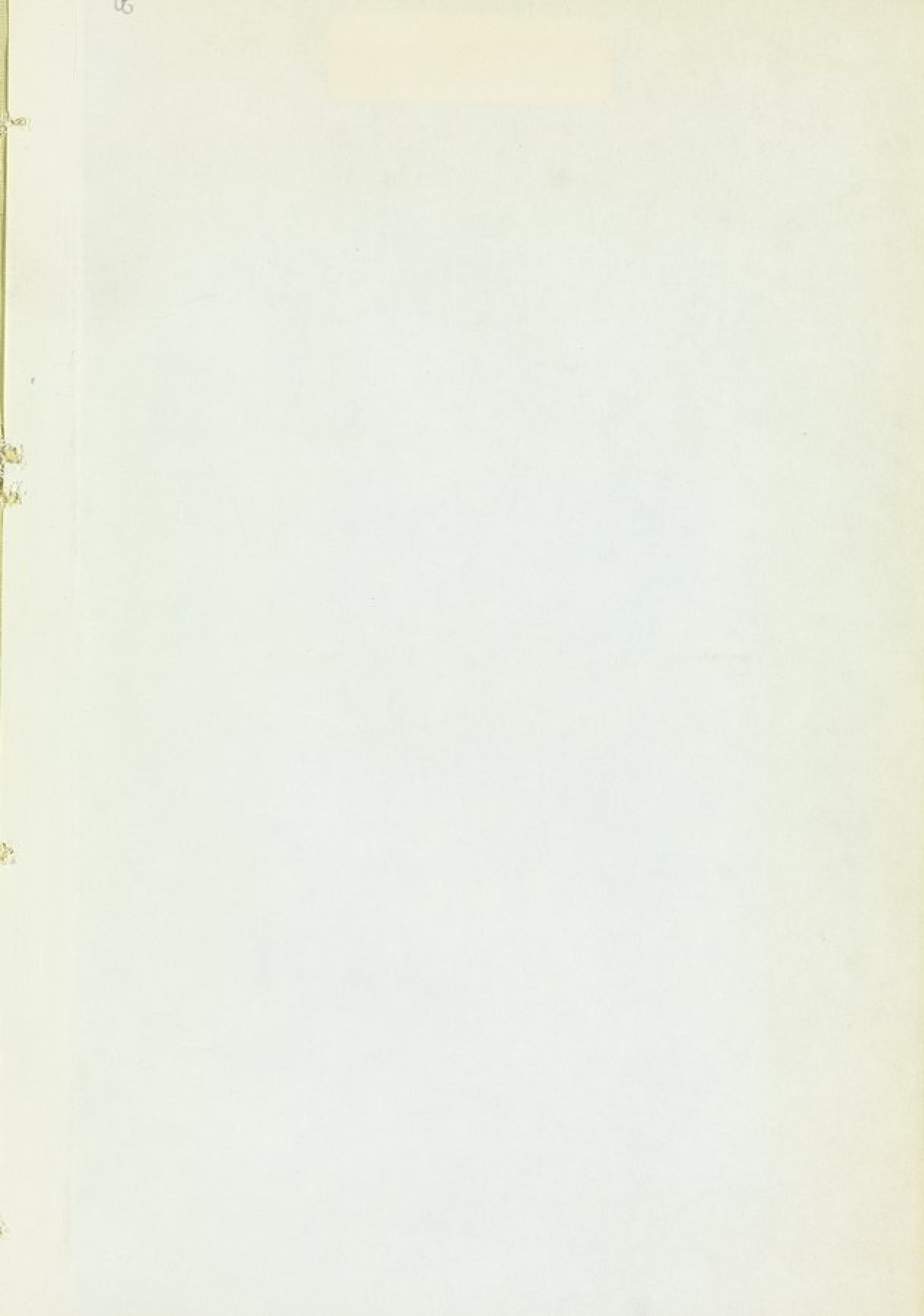


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE





موسى محمود الشابندر



مجموعة من المقالات الوطنية والسياسية والاجتماعية
نشرت من سنة ١٩٢٨ الى ١٩٣٢ بتوقيع

علوان أبو شرارة

خصص ريعه للمجهود الحربي

مطبعة شفيق – بغداد

١٣٨٧هـ
١٩٦٧م



موسى محمود الشابندر



شرارات

مجموعة من المقالات الوطنية والسياسية والاجتماعية
نشرت من سنة ١٩٢٨ الى ١٩٣٢ بتوقيع

علوان أبو شرارة

خصص ريعه للمجهود الحربي

مطبعة شفيق ـ بغداد

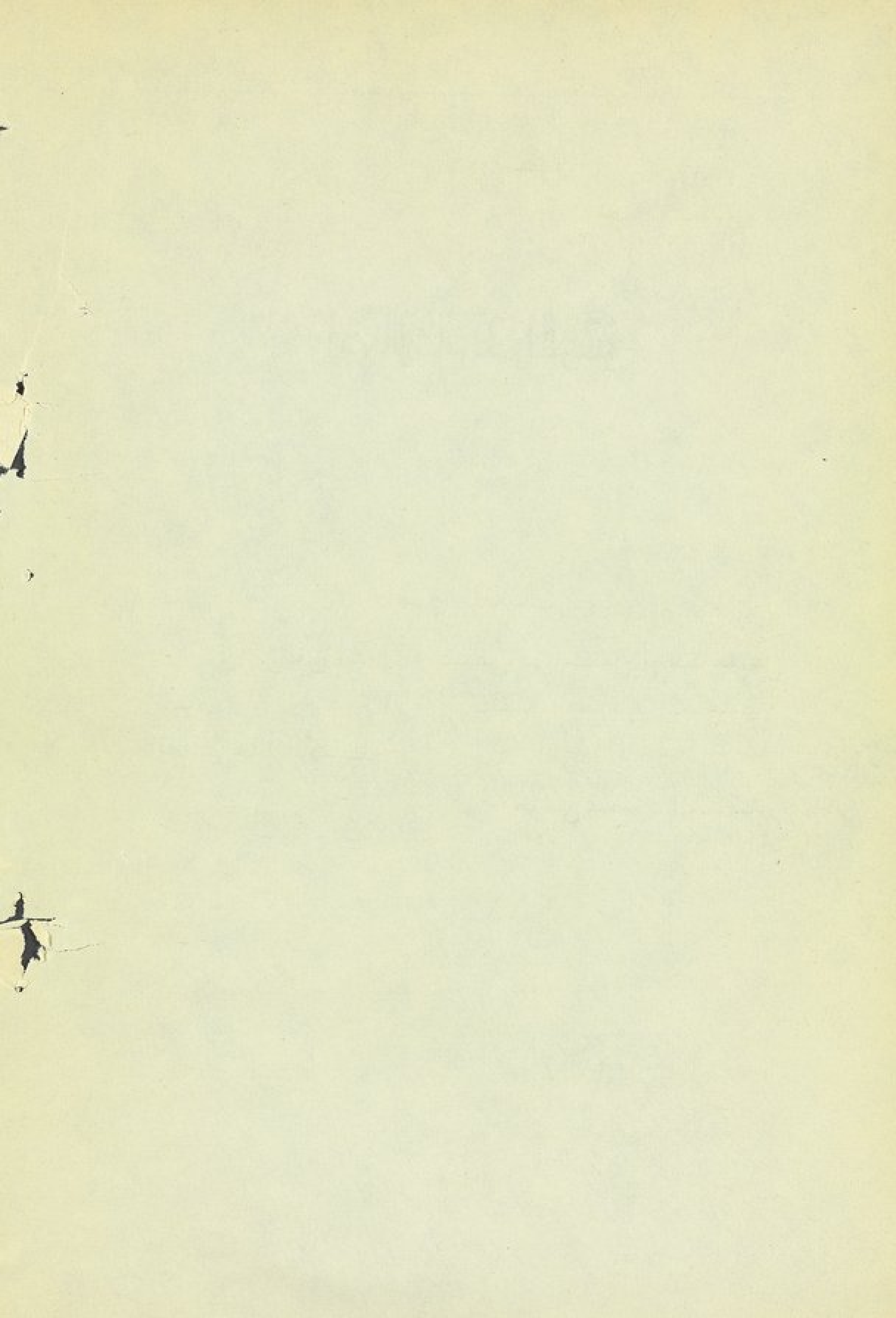
١٣٨٧هـ
١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـداء الكتاب

الى كل من ضحى ويضحي في سبيل الحفـاظ على مصير وكرامة هذه الامة العظيمة الصابرة المجاهدة ·
أهدي هذا الكتاب ·

موسى محمود الشابندر



الكاتب في سطور

بقلم : سالم الآلوسي

ولد الاستاذ موسى محمود الشابندر او « علوان ابو شرارة » ببغداد فى كانون اول من عام ١٨٩٩ ودخل احدى مدارسها الابتدائية فى اواخر العهد العثمانى ، ثم سافر عام ١٩٢٢ الى اوربا للتزود بعلوم معاهدها وجامعاتها حيث درس الاقتصاد فى جامعة برلين ونال شهادة « الدكتوراه » فى العلوم السياسية من جامعة لوزان (سويسرا) . وفى عام ١٩٢٣ سافر الى ميلانو (ايطاليا) لدراسة اللغة الايطالية ، وبعد اكمال دراسته فى سويسرا عاد الى بغداد عام ١٩٣٢ فعين فى السلك الخارجى عام ١٩٣٣ حيث أثمر نشاطه عن تأسيس المكتب العراقى الدائم فى جنيف ، ومن ثم تعيينه بوظيفة السكرتير الاول فى المفوضية العراقية ببرلين عام ١٩٣٥ . وفى سنة ١٩٣٨ انتخب عضوا فى مجلس النواب العراقى نائبا عن العمارة ، فكان فيه ألد خصم للاستعمار وللسياسة الخرقاء ، وكان لخطاباته الوطنية الثورية صدى عميق فى الاوساط السياسية والوطنية ، وعقب حل المجلس النيابى ، اعيد الى الخدمة فى السلك الخارجي ليتولى منصب القائم باعمال المفوضية العراقية فى برلين . وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وما تلاها من قطع العلاقات مع حكومة « الرايخ الثالث » ، عاد الى بغداد وعين مديرا عاما لوزارة الخارجية ، وخلال الثورة الوطنية التى انفجرت ضد الاستعمار عام ١٩٤١ اشترك بوزارة المرحوم الاستاذ رشيد عالي الكيلانى وزيرا للخارجية . وما انتهت الثورة الى ما انتهت اليه ، حتى قبضت عليه السلطات البريطانية فى ايران وسجنته مع رفقائه فى الاهواز ، ثم أرسلته الى المعتقل فى سالسبرى فى روديسيا الجنوبية حيث أمضى سنتين فى الاعتقال بظروف قاسية ، ثم أعيد الى بغداد وحوكم أمام محكمة عسكرية أصدرت عليه حكمها بالسجن خمس سنوات قضى أغلبها فى معتقل « أبو غريب » الرهيب ، كما صودرت جميع أمواله وأملاكه . وبعد أن قضت السلطة الحاكمة باعتبار جريمته اعتيادية فقد الاستاذ موسى الشابندر حقوقه المدنيـة وأصبح « مجرماً عادياً !! » . وبقرار من السلطات المختصة ، صدر بعد عدة سنوات ، اعتبرت الجريمة سياسية .

وتبدلت الظروف وعـين الشابندر سنة ١٩٥٠ وزيراً مفوضاً فى دمشق ، حيث بذل اصدق جهد ، فى سبيل التقارب والاتحاد مع القطر السورى الشقيق ، ولكن ظروفاً خاصة حالت دون انجاز شيء من ذلك . وفى سنة ١٩٥٣ تم تعيينه سفيرا للعراق فى واشنطن حيث قضى خمس سنوات اشترك خلالها فى اجتماعات هيئة الامم المتحدة وسجل مواقف مشهورة فى الدفاع عن القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة وهو الذى اطلق

اسم « الاستعمار الاسود » على الصهيونية العالمية • وعلى أثر موقفه من قضية قبرص ـ التى عرضت اوانذاك على هيئة الامم المتحدة ـ ودفاعه عن مبدأ تقرير المصير ، غضبت عليه الحكومة العراقية بايعاز من السلطات البريطانية ودوائر حلف بغداد الاستعمارية ، استغنى عن خدماته كسفير بواشنطن واستدعى الى بغداد وعلى أثر ذلك ، قدم مذكرة الى الحكومة العراقية طلب فيها احالته الى لجنة انضباط لمحاكمته بسبب موقفه من القضية القبرصية • وبعدها احيل على التقاعد فانصرف الى تدوين مذكراته واتخذ من بيروت مقرا لسكناه •

يتقن الاستاذ الشابندر عددا من اللغات الاجنبية مثل : التركية ، الالمانية ، الانكليزية ، الافرنسية والايطالية، وله المام فى الفارسية والروسية•

وقد كتب مسرحية « وحيدة » عام ١٩٣٠ عالج فيها بعض القضايا الاجتماعية والوطنية • وله أيضا عدد من المؤلفات كان نصيبها أن احترقت مع مكتبته الشخصية أثناء حصار برلين وقصفها فى الحرب العالمية الثانية وقد تركت هذه الحادثة أثرا عميقا فى نفسه •

والاستاذ الشابندر يعتبر من كتاب المقالة القصيرة ، على الغالب ويمتاز اسلوبه بالنقد الساخر والعبارة الجريئة ، وقد سلك فى كتابه طريقة التمهيد للفكرة التى كان يتولى معالجتها أو نقدها ، بايراد بعض الامثال العامية البغدادية الشائعة فى مطلع هذا القرن ، أو بسرد قصة قصيرة تعبر عن المراد ، وعلى هذا لاساس ، سيكون كتاب « شرارات» ليس مجرد مقالات مجموعة ، بل مادة تعين المؤرخين والباحثين على استطلاع أحوال العراق السياسية والاقتصادية كانموذجات للادب السياسى فى العشرينات من هذا القرن وفى مفتتح الثلاثينات • كما ستمد الباحثين فى عالم « الفولكلور » بمعين غزير من الامثال بلغتها وألفاظها العامية البغدادية وبلغات أخرى أجنبية اعتاد البغداديون ترديدها ، فانك أيها القارىء العزيز قلما تقرأ مقالة الا وتجد فيها مثلا أو لفظا بغداديا يفصح عن الفكرة ويعبر عن الغرض وقد سلك الكاتب طريق التخفى وراء اسم مستعار عرف عند قراء جريدة العالم العربى ، ب « علوان أبو شرارة » وأحيانا فى جريدتى الزمان والبلاد باسم « فليفل » ، وان كان معروفا عند الخاص والعام من هو « علوان أبو شرارة » ، وهذا لا يعنى انه اقتصر على هذين الاسمين المستعارين ، فقد نشر عددا من المقالات باسمه الصريح « موسى محمود الشابندر » •

لقد كانت بادرة طيبة من الاستاذ الشابندر ، حين جمع ما تفرق من هذه المقالات النفيسة ، بين دفتي كتاب ارتضى له اسم « شرارات » حفاظا منه على عهد الشباب وثورته ، وهى ترينا نموذجا من كفاح الشباب فى مطلع هذا القرن واسلوب كفاحه ومصاولته للسياسة الاستعمارية •

فللاستاذ الشابندر منا الف تحية وتحية •

المقدّمة

بدأ الصراع بين العرب ومستعمريهم منذ نصف قرن ، وما يزال مستمرا بشتى الاساليب ومختلف الوسائل . وما يحدث اليوم على أرضنا العربية .. انما هو مظهر سافر من مظاهر الكفاح الرهيب فى مواجهة الاستعمار تسلطا وربائبا وعملاء . وقد ارتدى الكفاح - فى أطواره الاخيرة - ما فضح منازع العنف والضراوة والنذالة فى تاريخ الاستعمار البغيض .

والقصد من جمع هذه المقالات ونشرها بين دفتي كتاب .. أن يطلع الجيل المعاصر على وعي الآباء وفطنتهم يوم قاوموا الاستعمار منهجا ومناورة فى أمسهم القريب . وقد يجد الابناء - اليوم وغدا - فى محتوى هذا الكتاب ، ما نسج الاستعمار تكتيكا وستراتيجية من ختل وتآمر وغدر وحقد .. ليقطع السبيل على اتحاد الامة العربية وازدهار واقعها الراهن ، وليطفىء ما ينير - أمامهم - دروب الكفاح والعمل الدائب فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة .

وفى النكسة الاخيرة المؤلمة درس وعبرة ، وفيها ما يحفزنا للجهاد الرصين ومساجلة العدو ، استعمارا وصهيونية، بوسائل علمية متينة تقتضيها ضرورة العصر تلافيا لنكسات أخرى فى يوم آت . ونحن اذ نبذل الجهد الصادق والعزم الاكيد ، بعد الاعتراف بالخطأ ، فى الطريق الطويل الذى سنسلك .. لنجد أنفسنا أقوى من أن نيأس أو نتخاذل . ولنا مع الاعداء حساب ، ومن الله التوفيق .

والجدير بالتنويه ان المقالات التى حواها هذا الكتاب كانت نقدا لاوضاع طرأت على واقعنا ساعة كتبت ، وبالرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة على تحريرها فان هناك ، مع الاسف ، بين أوضاعنا التى تعاشينا - اليوم - ما يناظر تلك الاوضاع على صعيدى النظر والتطبيق .. وفى هذا ما يبيح لي الرسوخ على الاحتفاظ بها لوقوع ما يعزز بقاءها كما هى !.. ولذلك صدرنا هذه المقالات بافتتاح موجز يرشد الى هذه الحقيقة .

ولا يسعني - وقد انتهى الكتاب كما أشتهي - الا أن أحمد عون السيد سالم الآلوسي مدير التاليف والترجمة والنشر فى وزارة الثقافة والارشاد ، وأجازي جهده بألف تحية .

بغداد : فى ٥ تموز ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

موسى محمود الشابندر



رجالنـــا*

[نشرت هذه الكلمة عندما وصـل بعض القائمين بالحكم من رجالنا الى درجة مخزيةمن الخضوع أمام السلطاتالمنتدبة. مثل ذلك ان الحكومة العراقية أقرت جلد الطلاب المتظاهرين ضد زيارة «السر الفرد موند» فكانت هنـالك تصرفات تنـافي كرامة الانسان وعـزة النفس وعليــه انبثقت هذه « الشرارة » الاولى] .

فى العراق طبقة مديرة عجيبة جدا يجب أن يدرسها الشاب العـراقى بكل اتقان . لانها وهى الطبقة المثقفة العليا أخذت على عاتقها ادارة الشعب السياسية والاجتماعية بعد الاستقلال وأصبحت مسئولة عن جميع مقدراته . ومن تلك الطبقة الوزراء والاعيان والنواب وكبار الموظفين والزعماء وأعضاء الاحزاب السياسية وجميع المسئولين عن ادارة شئون البلاد . مع الاسف ان هذه الطبقة المسئولة لم تنجح فى مهمتها بل فشلت كل الفشل وأخذ أبنـاء الشعب ينتقدها ويلومها فسماها «عشاق الكراسى» و « أهل المراتب والرواتب » و « عبدة الذهب الرنان » و « الذين يقولون ما لا يفعلون » الى غير ذلك من الاوصاف والنعوت ...

لا شك ان هذه الحالة محزنة جدا غير ان حلولها كان أمـــرا طبيعيا لا يمكن للعراق أن يتخلص منه واليك الاسباب : ـ

(١) نشأ أكثر رجالنا فى محيط متأخر معنىً ومادةً وكان نصيبهـم من التربية العائلية زهيدا جدا ولم يسمعوا كلمة واحدة فى طفولتهم عــن الوطن والحرية والقومية بل سمعوا كثيرا عن الخـــرافات و « السـعلوات » وغيرها من الترهات ..

(٢) لم تكن فترة دراستهم أسعد حظا من دور طفولتهم اذ أنهم نشأوا

فى معاهد الدور الحميدى الاسود وصار أكثرهم ان لم نقل كلهم من عباد الاصنام وغايتهم الوحيدة هى الوصول بأسرع وقت ممكن الى الغنى والتحكم وظنوا أنفسهم بأنهم على الصراط المستقيم ..

فرجالنا اليوم أكثرهم من هذه الفصيلة الباقية من العهد التركى الحميدى .. لذلك لا يجوز لنا أن نلومهم كثيرا ونسند اليهم عدم الاخلاص . فالذنب ليس ذنبهم تماما بل يعود الى المحيط والزمان والعادات السقيمة التى كانت محيطة بهم وهم أطفال ثم الى المدارس والمعاهد التى تعلموا وتثقفوا فيها ثم الى الادارة القرقوشية فى الدور الحميدى المتفسخ الذى مارسوا فيه أعمالهم . فلما تبدلت الاحوال السياسية فى العالم وجد رجالنا أنفسهم فى أوضاع جديدة لم يتعودوا عليها وأتتهم مشاكل عويصة يصعب عليهم فهمها وحلها ... ومن هنا نشأ التخبط وزادت « الخرابيط » . عندنا اليوم عدد لا بأس من الرجال الاذكياء ولكن تنقصهم الجرأة والتجربة .. ولذا نراهم غير ثابتين فى مبادئهم يتقلبون تقلب الهواء راكضين وراء « الكبكبة والطنطنة » تاركين الاعمال المفيدة والقضايا المهمة تحت رحمة « المستشارين » وهم لاهون بالصعود والنزول على ومن الكراسى الزائفة ...

رجالنا مخلصون وصادقون ولكنهم مع الاسف مرضى عاجزون . هل يمكن شفاؤهم ؟ لا أعتقد ذلك . اذن علينا أن نخلص أولادنا ، رجال الغد ، من هذا المرض .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٦ أيار ١٩٢٨ .

نحن والعجـــم*

[عندما أعلن استقلال العراق بعد ثورة ١٩٢٠ ٠ اعترف عدد كبير من الحكومات بذلك الاستقلال وان كان مثلوما وألغيت الامتيازات الاجنبية التى كانت سارية المفعول فى الامبراطورية العثمانية ٠٠ ولكن الجارة العزيزة ايران التى هى بدورها تخلصت من تلك القيود أخذت وضعا غريبا تجاه العراق وأصرت على عدم الاعتراف الا بعد الحصول على امتيازات خاصة تشبه التى كانت هى نفسها ترزح تحت وطأتها ٠٠ فذلك الموقف العدائى هو الذى دفعنى لكتابة هذه الكلمة] ٠

ارتاح لخلاص ايــران من قيود الامتيازات الاجنبيـة قلب كل شرقى وبالاخص قلب كل عراقى ٠ واننا نهنىء ايران من صميم القلب ونتمنى لهـا مزيد النجاح والرقي ٠ غير اننا استغربنا كل الاستغراب عندما رأينا جارتنا ، حفظها الله ، تريد أن تطوقنا بطوق جديد يشابه الذى كان فى عنقها بالامس فكسرته وأخذت ترقص طربا ٠٠٠ نعم ان ايران لا تعترف بالعراق الا اذا أعطيناها امتيازات كالامتيازات الاجنبية التى أعلنت الغاءها هى قبل بضعة أيام ٠٠٠أليس ذلك من أعجب العجائب ؟ ٠

جاهد أصدقاؤنا وحلفاؤنا كثيرا لاقناع جارتنا وارجاعها عن الخطأ فقال لها البعض : « يا ام الصبي ٠ عَدْلِي بَدْلِي ٠٠٠ نحن جيران وحق الجار على الجار ٠ وليس بيننا فرق » ٠ وقال آخر بعد أن استعوذ بالله من الشيطان : « عجم وين طنبوره وين » ٠ وهددها آخـر : « برو ٠٠ برو ٠٠ خـدا كريمست » ولكن كل ذلك كان هواء فى شبك وايران لم تقتنع ٠ أين العلة ؟

ـ العلة قديمة جدا : لا تتحمل ايران أن ترى حكومة عربية تقوم جنبهـا فتذكرها كل يوم بما جرى فى الاعصر القديمة ٠٠ هذه حالة نفسية طبيعية ٠ الاقوام كالافراد لا تنسى الضربات ٠ الجرح الذى فتحه السيف العربي قبل

الف وثلثمائة سنة في القلب الفارسى لم يلتحم بعد ولن يلتحم . العرب غلبوا الفرس ، هدموا الديانة والمدنيـــة الزردشتية محوا السلالة الساسانيـــة . والعجمى سلم للقضاء والقدر وأطاع أوامر العربى ذي السيف المسلول مئات السنين وقلبه مملوء من الحقد وحس الانتقام . لو دققنـا التاريخ لوجـدنا الفارسى من بعد الاسلام دائما فى المرصاد ينتظر الفرصة لينتقم من العربى . فأول ضربة أنزلها ذلك المسلم الجديد ذو الروح الزردشتية كانت بعد شهادة الامام علي (ع) أى عندما تفرق العرب وقد شجع العجم كثيرا ذلك الخلاف وأخذوا ينتسبون الى المذهب الجديد ليزيدوا النـــار لهباً وليعرقلوا ســير الحكومة الاموية . نعم انتسبت ايران الى مذهب الشيعة وسائقها الوحيد لذلك هو حس المقاومة والانتقام الذى نراه عند جميع الاقوام المغلوبة . فالبرابرة فى افريقية قاموا بنفس الاعمال تجاه العرب الغالبين . فنرى البربري خارجيا فى زمن خلافة قيروان السنية . ونراه شيعيا عندما صارت الخلافة خارجيـة ، ثم رجع سنيا لما رأى الخلافة الفاطمية شيعية فى مصر . كل هذا التقلب لـم يحدث عن اجتهاد فى العقائد الدينية بل الغاية الوحيدة كانت مساعدة الاقليات المخالفة للحكومة . ومما يؤيد ادعاءنا دسائس البرامكة فى زمن العباســيين وسعيهم الى استقلال ايران ، واعلان المذهب الشيعى مذهبا رسميا فى ايــران من قبل الشاه اسماعيل الصفوي الذى لم يقصد من ذلك الا تقويـة العنصر الايرانى وجعل ايران مركزا روحيا « للمعارضين » كلنا نعلـم ان آثـار تشجيع تفرقة العرب لم تمح فى ايران ونعلم ان هناك فى ايران من « لا يكون على الحسين ولكن على الهريسة » . هذه هى الحالة الروحية عند جارتنا منـذ الف وثلثمائة سنة نعم اننا كلنا شرقيون وكلنا مسلمون ، وحق الجار على الجار ، ونحن مغرمون بجارتنا وجارتنا العزيزة تموت بنا حباً . ولكن ... نحن أولاد اولئك العرب الفاتحين ، والعجم أولاد اولئك الفرس المغلوبين ، ولاجل هذا تتراءى لنا علة ايران كعلة « بلاع الموس » لذا لا تريد الاعتـراف باستقلال العراق الا بعد منحها الامتيازات . اللهم عفوك ورضاك ...

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٢ حزيران ١٩٢٨ .

فرهـــود*

[وصل التبذير والاسراف فى العراق الى درجة جعل النواب والوزراء يتراشقون بالتهم فى نفس المجلس ٠ وقـــد وصلت الحالة الى درجة لا تطاق لا سيما فى قضية امتياز اللطيفية ٠ فأتت هذه الكلمة معبرة عن شعور الشباب المتألـــم من تلـــك الفوضى ٠]

جرت محاورة بين أحد المستشرقين اللغويين وبيني على الكلمات العاميــة المستعملة فى العراق ٠ تحدثنا عن كلمة (فرهود) هكذا :

هو ـ عندكم مثلا كلمة (فرهود) فالناس يستعملونها كثيرا ولا سيما فى بغداد فهى على رأس ألسن الصغار والكبار غير اننى ما قدرت حتى اليــوم أن أعرف متى يصح استعمالها ٠

أنا ـ نعم يصعب على الغرباء استعمال هذه الكلمة العامية ولو أنهم أتقنوا اللغة العربية كل الاتقان لان كلمة فرهود تحتوي على « ألوان » لغوية خاصة لا تجدها فى غيرها ٠ فالعراقى يعرف متى يقول (فَرْهَدَ) ومتى يقول سرق، نهب ، سلب ، لفلف ، دعبل ، بلع ، باق ٠٠٠ الخ ٠

هو ـ يا ســلام ! ما أكثر السرقات وأسماءها ! أرجوك أن تأتيني ببعض الامثلة باستعمال (فرهد) ٠

أنا ـ مثلا فى سنين القحط يهجم الجياع على مخازن الطعام ويأخذون كل شيء يجدونه فيقال حينئذ (فرهد الناس علاوي الطعام) ٠

هو ـ ألا يجوز استعمال (سرق) هنا ؟

أنا ـ نعم ، ولكن المعنى يتبدل لان السرقة محـــرمة والســارق يعاقب

ويجازى بينما (التفرهد) ليس محرما بل مكـــروها فى بعض الأحيـــان ومباحا فى بعضها ومستحبا فى أخـــرى وفى مسألة الطعام مثلا (الفرهود) مبـــاح ٠

هو ـ سبحان الله ! سبحان الله !

أنا ـ فى لعب البوكر اذا خسر أحدهم وأصبح مفلسا يقول (فرهدونى يا جماعة) وهنا الفرهود مستحب لان المقصود من البوكر هو هذا لا غيره ٠ وتستعمل هذه الكلمة بين أفراد الطبقة العليا وفى المجالس الخاصة والعامة ومن الممكن أيضا فى مجلس النواب اذ تسمح العادة للنائب أن يعترض على ما يجد من الاسراف فى صرف بعض المبالغ فيقول للوزير هكذا : (هل هذا فرهود) والفرهود هنا مختلف فيه فهو مكروه فى نظر البعض ٠ والكراهية مسندة على ظنهم ان المبالغ المعهودة (طلعت من بيت أبيها ودخلت بيت الجيران) ٠ وهـــو مستحب فى نظر الآخرين الذين (ما يرون هنا الا مجاملة وتسامحا للجـار والله أوصانا بالجار وقال النبى : (جارك ثم جارك) ٠

هو ـ ما أغرب كل هذا ؟

أنا ـ نعم غريب ولكن المسألة اجتهادية ونسبية ٠ ومن أنواع الفرهود الحديث المستحسن مقاولة اللطيفية ٠ تلك المقاولة الطويلة العريضة التى عقدت بين الحكومة العراقية والشركة الانكليزية والاستحسان يأتى من اننا قمنـــا أحسن القيام بواجب الضيافة والاكرام والوفاء تجاه الغرباء وأثبتنا للعالم كله بأننا عرب ٠٠٠ نعم نحن أعطينا معادن النفط هدايا لاصحابنا والآن جلسنـــا على بساط الفقر ولم يبق عندنا سوي الارض التى قدر الله علينا أن نعيش عليها ولكن هذا لا يمنعنا عن الكرم والسخاء فكلما ذكرنا حاتما جدنا ببقعة مـــن أرضنا ٠٠٠ ربما الشركة الانكليزية تقول فى نفسها (وحياة ذقنك فرهدناهم) ولكن ذلك يدل على جهلهم لاننى أعتقد كل الاعتقاد اننا مطلعون تماما عـــلى السياسة الزراعية وعلى هندســـة الري والاقتصـــاد الزراعى ولا نجهـــل

(الدواليب)التى فى المقاولة مثلا : القناة ملك الحكومة ولكن الماء الذى فيهـا ملك الشركة والحكومة تدفع حالا مصاريف فتح القناة الخ والشركة تسد دينها بعد اثنى عشر سنة الخ ...

هو ـ ولكن هل يرضى جميع رجالكم بهذه المقاولة ما دام هذا كلـه معلوما عندهم ؟

أنا ـ لابد ان البعض يرضى وان البعض الآخر لا يرضى . لان الاتفاق لا يتم فى كل شيء . أما الذين يرضون ويوافقون فلا أظنهم يعملون ذلك الا قياما بواجب الضيوف وتبجيلا لاسم حاتم الطائي ومستندا على الحـديث الشريف : (حسنة فى الدنيا تعادل ألف حسنة فى الآخرة) .

هو ـ بارك الله ، ما شاء الله !

أنا ـ الفلاح الذى يكد (والعشاء خباز) والعامل الذى (يبلع العجـاج وغيره يأكل الدجاج) وكل اولئك المساكين الذين يقول البعض عنهم انهـم فى رخاء كل اولئك المساكين يصرخون أحيانا ، ولا سيما عند رؤيتهم أنفسهم محرومي أسباب العيش وحتى المـاء فى حـين ان السخاء الفياض يغمـر غيرهم أى غمر : (فرهود يا أمة محمد . فرهود) ولكن بعض الراسـخين فى العلم والاختبار يجاوبون : ان هذا الفرهود مباح لانه مستند عـلى قـوله تعالى :(وسلطنا بعضكم على بعض) و (فضلنا بعضكم على بعض) .

هو ـ كفى ! كفى !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى وقد أرسلت من زوريخ بتاريخ ١٤ تمـوز ١٩٢٨ .

نحن والعجم*

[رد على مقالى « نحن والعجم » السيد محمود اليزدي من البصرة مدافعا عن وجهة نظر ايران فى طلبها الامتيازات من العراق قبل الاعتراف باستقلاله فكان لزاما علي أن أجيب على ادعاءآته الواهية بهذه الكلمات .]

حضرة مدير جريدة العالم العربى المحترم

سيدى المحترم

قرأت فى جريدتكم الغراء ردا على مقالى « نحن والعجم » للسيد محمود اليزدي فرأيت من الضرورى أن أكتب كلمة أخرى حول هذا الموضوع وها أنا أرسل اليكم ما كتبت راجيا نشره فى العالم العربى خدمة للصراحة والحقيقة . وأشكركم سلفا وأرجو قبول تحياتى واحترامى .

* * *

حضرة السيد محمود اليزدي المحترم !

قرأت ردكم على مقالى « نحن والعجم » فوجدته ناقصا من جهة النقد لانكم تركتم روح القضية والتزمتم السكوت عنها ووجهتم ردكم كله على الفروع . فهذا النقص أوجب كتابة أسطري هذه لكى يظهر الامر بكل وضوح ويزول كل التباس .

اني سعيت فى مقالى أن أبين الاسباب النفسية التى ساقت ايران على عدم الاعتراف بالعراق ولقد بسطت أفكارى بصراحة وأتيت ببعض الادلة التاريخية لاجل التأييد ولكن حضرتكم سكتم عن أساس المقال المذكور واكتفيتم بجرح الادلة التاريخية التى ذكرتها . فهذا نقص . اذ يجب عليكم أن تأخذوا اللب بدل القشور . قلتم : « أنا لا أتكلم حول هذا الموضوع الخ ... » فلماذا لا تتكلمون وهذا الموضوع هو روح القضية التى نحن فيها ؟ فلماذا وجدتم

ان الأسباب التى ذكرتها أنا غير واردة ؟ ولماذا لم تأتوا بالأسباب الحقيقية ؟

هل اكتفيتم وحصلت عندكم القناعة الوجدانية بالاسباب التى ذكرها فى «العالم العربى» ـ صاحب المعالى الممثل السياسى الايرانى؟ فأنا أقول ان الاسباب التى سردها معاليه بوقته هى واهية وغير مقنعة ولقد وافقنى برأيى هذا حتى بعض أصحابى من الايرانيين • ومما قال معاليه انه طالما الحكومات الاوربية لم تتنازل حتى الآن عن الامتيازات الاجنبية فايران تود أن تحصل على مثلها وان الايرانيين كثيرون ومنتشرون فى كل أنحاء العراق وهذا ما يستلزم أن تكون امتيازات وحقوق خاصة لحكومة ايران فى العراق • فهل هذه أقوال مقنعة ؟ الالمان والروس والترك والافغان وغيرهم ما عندهم امتيازات فى العراق فلم لا يتبع العجم مشية هؤلاء الاقوام ؟ لماذا تريد ايران وهى شرقية ومسلمة أن تضيف حملا جديدا على أثقال العراق ؟ وكثرة العجم فى بلادنا دليل ساطع على أن حقوقهم مصونة وعيشتهم مرضية وأشغالهم ماشية والا لما سكنوا عندنا وتركوا بلادهم • فكيف يحق لايران حينئذٍ أن تطلب منا ما لا طاقة لنا عليه ؟

وقلتم : « يزعم الكاتب كما يزعم غيره من الكتاب ان عدم اعتراف ايران بالعراق ناشىء عن بغض الاولى للثانية •• » نعم هكذا أزعم وهكذا يزعم كل عراقى ـ على ما أظن ـ بعد أن أتتنا هذه اللطمة من جارتنا عندما طلبنا منها المساعدة المعنوية : فنحن كفانا ما يأتينا كل يوم من طعنات الغربيين فلا نستحق ولا نقبل ولا نسمح أن تأتى ايران وتلطمنا هى أيضا وكنا نود أن تمدنا جارتنا بهذه المساعدة كما عمل الترك وغيرهم لا سيما والاعتراف للعراق بسيادته القومية لا يضر ايران ولا يكلفها أقل تكليف •

وقلتم : « ايران ترفض أن تعترف بشىء يشكو منه كل عراقى غيور على وطنه » وأنا أقول سبحان الله ! هل تعتقدون ان عدم اعتراف ايران يأتى من كثرة المحبة والشفقة ؟ فهذه شفقة عجيبة ومحبة غريبة ونحن طلبنا من ايران أن تعترف باستقلال العراق وليس بانتداب الانكليز • فيا سيدى كل هذه

التأويلات وكل تلك الادلة التى يأتى بها غيركم هى غامضة ولم يأت بهـا الا لاجـل التملص من الاعتـراف • أنا قلت كل شيء بصراحة فأرجوكم أن تصرحوا أنتم أيضا ولا تتبعوا فى هذه القضية نصيحة شاعركم الاعظم سعدي « دروغ مصلحت آميز بهازراست كه فتنه انگيز »[1] بل قولوا للابيض أبيض وللاسود أسود • لا شك يا حضرة اليزدي من أن هنالك أسبابا غير التـى ذكرها معالى الممثل السياسى الايرانى والتى اكتفيتم بها أنتم • وتلك الاسباب منها سياسية ومنها اجتماعية وفى مقالى ما أردت شرح السياسـية منها خوفـا من حصول التنافر ولقد اكتفيت بتحليل العوامل الاجتماعية والروحيـة ولا أظن انى قد أخطأت فى اجتهادى •

أما دفاعكم عن البرامكة فهذا خارج عن الصدد • ولا تنسوا ان الروايات عن نكبة البرامكة كثيرة ولكل شخص حق الاجتهـاد فى تفسير الوقائـع التاريخية ودرس العوامل المسببة • أنتم نظرتم الى نكبة البرامكة من الجهـة الشخصية بين هارون الرشيد وجعفر بن يحيى وأنا أنظرها من الجهة النفسية بين العباسيين والبرامكة • وأنتم لا ترون سوءا فى سعي البرامكة لفصل ايران وهدم الخلافة العباسية •

وقلتم : « لو سلمنا جدلا ان جعفرا كان يريد فصل ايران واستقلالها لما دل ذلك على بغض العجم للعرب بل يدل على حبهم لوطنهم » • أنا لا ألومكم على هذا الكلام لان حب الوطن من الايمان • ولكنكم أنتم أيضا اسمحوا لي أن أقول ان البرامكة كانوا فى خدمة العـرب وعائشين بنعمتهم فعملهم ذلك يعد خيانة تستوجب القصاص ونعم ما عمل هرون الرشيد •

ما ذكرتموه عن اسماعيل الصفوي هو صحيح وأنا لم أخالفكم بل أتيت بذلك الحادث استشهادا على قولى ان اعلان المذهب الشيعى مذهبا رسميا فـى

---

(١) هذا البيت للشاعر والفيلسوف الفارسى سعدى • وفحواه ان الكذب فى سبيل المصلحة خير من الصدق الذى يثير الفتنة •

ايران لم ينشأ عن اجتهاد دينى وفلسفى بل عن غاية سياسية . أما وصفكم الاتراك بأنهم يهجمون على أوربا كالذئاب على قطيع الغنم) يستحق أن أقول فيه أى أكرر لكم عبارتكم الموجهة لي فى ردكم : « يخ ! يخ ! لك أيها المصلح الكبير والمعجب بنفسه » لانى أرى حنوكم على الاوربيين وتشبيهكم اياهم بالغنم التى تفترسها الذئاب الاتراك لا يدل على حسن نية تجاه جارتكم الشرقية المسلمة . وفى الختام أرجوكم المعذرة عن اطالة الكلام مؤملا ان قد حصلت عندكم القناعة بأنني لم أمش وراء العواطف واننى أود من صميم القلب اتحاد الشرقيين واتفاقهم على أن يكون العدل والانصاف أساس ذلك الاتحاد . *

---

* حررت بزوريخ بتاريخ ٣١ تموز ونشرتها جريدة العالم العربى فى ١٤ آب ١٩٢٨ .

شتاء وصيف على سطح واحد*

[قاسى العراق كثيرا من سياسة النفط وجشع الشركات وظلم المستعمرين المؤيدين لها . انهم استولوا على مواردنا الطبيعية بأبخس الاثمان ولم تستح صحفهم فوق ذلك أن تنال من كرامتنا وتجرأ على وصفنا بالوحشية .. وما نشرته الديلى اكسبريس الا مثال واحد من تلك الحملات القاسية .]

قبل بضعة أيام ، كنت قد قرأت فى الديلى اكسبريس خبرا تحت عنوان « امتياز النفط فى العراق » تقول الجريدة المذكورة : « ان الاتفاق على تقسيم النفط فى ولايتى بغداد والموصل بين الشركات النفطية المختلفة قد تم على هذه الصورة » :

فى المائة	
٢٣/٧٥	الى الانگلو برشيان كومباني .
٢٣/٧٥	الرويال دوج شل .
٢٣/٧٥	جماعة شركات أميركانية .
٢٣/٧٥	الشركة الافرنسية .
٥	المسيو گلبنكيان (أرمنى روسى) .
١٠٠/٠٠	

تقسيم عادل والحق حلو فلا لوم ولا عتاب . نحن رأينا وسمعنا وسكتنا والسكوت من ذهب ! نعم سكتنا ولم نزل نسكت ولكن .. كما يقول الكردي « دردك بالبطنك » ويا ليت الشغلة خلصت هكذا . نعم يا ليت الجماعة يأخذون نفطنا وأرضنا وما ملكت أيماننا ويسكتون كما سكتنا . يقال اطعم الفم تستحي

العين ولكن الديلي اكسبريس ترينا اليوم ان ذلك غلط لانهـــا كتبت كلمةً قاسيةً حول فشل مؤتمر جدة هذا تعريبه :

« ليفتح دافع الضرائب البريطاني عينه على العراق الذى سيكلفه كثيرا اذا ثارت حرب بين العراقيين الذين هم وحوش وبين النجديين الذين هـــم أوحش منهم ، فتكلفه كثيرا تلك السياسة التى جعلت لنا علاقة بأرض خاوية ، ما يسكنها الا بعض العشائر العربية الوحشية التى لا شاغل لها سوى الحرب . سيمل البريطانيون من الرقابة والارتباك القائمين بين اولئك العرب غـــير انه يمكن ازالة ذلك الملل بدفع قائمة ثقيلة » .

افكر أيها القارىء كيف اجتمع العنوان على صحيفة الديلي اكسبريس . من جهة تهجم الشركات علينا وعلى أراضينا هجوم الزنابير على الدبس ومن وجهة أخرى يقال اننا وحوش وأرضنا خاوية ! أنا لا أريد أن أثبت لذلك المحـــرر البارع (؟) بأن العراق غني وبأن العراقيين ليسوا وحوشا كما يزعم ولا أريد أن أشرح الاسباب السياسية التى أدت الى فشل مؤتمر جدة ، وذلك قبـــل تصديق المعاهدة البريطانية ـ العراقية ولكنى أريد أن أقول للمحرر المذكور هذه الكلمة :ـ

يا مستر ! انك كتبت هذه الاسطر بعد أن أخذت رأسك بين يديـــك وصفنت ـ والصفنةُ اليك ولامثالك ـ ثم اعتقدت بكل اخلاص فيما كتبت فأنت يا مستر ! نائم ورجلاك بالشمس(١) وأنا أسأل الله أن يساعدك . ولكن اذا كتبت ما كتبت وأنت عالم بما يختفي وراء الغطاء فحينئذ قد قلدت فى هـــذه المسألة تلك العجوز التى جعلت الصيف والشتاء فى ليلة واحدة على ســطح واحد والتى عليها اللعنة تجوز طول أيام السنة وليس فقط فى شهر تموز .

آمـــين .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٨ ايلول ١٩٢٨ .

(١) مثل شعبى يقال للغافل .

القائممقام والطرشي*

[كان التهالك على الوظائف أيام الانتداب آخذا بالتزايد بشكل مخيف فتذكرت قصة واقعية حدثت لاحد الموظفين فى الدور العثمانى وجدت نشرها مفيدا ومنبها فى تلك الايام .]

كان تلعيب اليد فى زمن عبد الحميد داءً قد ابتلى به الرجال كلهم ... نعم كلهم من جاويش البلدية وانت صاعد . وهذا لم يكن فقط بين الرعية والموظفين بل كان جاريا حتى بين أولي الامر أنفسهم فالصغير منهم كان يداري الكبير والكبير يداري الاكبر حتى يصل ذلك « الخيط المشمع » الى سراي السلطان . هذه كانت العادة والويل كل الويل لمن لم يتبعها فى ذلك الزمن ! فان جلده يروح للدباغ !

اسمح لي أيها القارىء بمثال حقيقى : أحد القائممقامين البغداديين فى تلك الايام تأخر فى تشميع الخيط وتقديم الهدايا اللازمة . فعزله الوالي حسب الاصول المرعية . فانقضى شهر .. شهران .. ثلاثة أشهر ، والوالي لم يزل حانقا ساخطا ، وطبيعى ان جيب القائممقام أخذ يقرأ (يا ليلي) وكانت تقتضى العادة بأن المنكوب اذا « ضربه جويريد » يأخذ « عباته وعصاه » ويسافر الى استانبول ليحصل على وظيفة جديدة . فبمقتضى هذه العادة المألوفة سافر « أخونا بالله » الى استانبول ...

فى استانبول : استدعاءات (عرضحالات) طول النهار « اصعد پايه وانزل پايه » هدية الى اليمين ، هدية الى اليسار تلعيب يد ومداراة الى المحسوبين وغير المحسوبين ، رجالا كانوا أم خصيانا ! أشهر عديدة على هذا المنوال .. وفى يوم من الايام ـ لاجل تقضية الوقت ـ اشترى القائممقام حقه خيار وذهب بها الى البيت وعمل (طرشي) ولكن من هذاك الطرشى العال الذى يسيل لعاب

الفم لذكراه . فلما رأت خادمة البيت الرومية ان القائممقام عنده استعداد كهذا استغربت كل الاستغراب وقالت له :

« يا بك ! عندك هذه الصنعة وهذه المقدرة وانت مشغول ليلا ونهارا على تحصيل وظيفة ؟ فوالله ان الطرشجي أكثر سعادة وأرغد عيشا من القائممقام بل من الصدر الاعظم نفسه .. »

ولكن القائممقام لم تعجبه هذه النصيحة الباردة التي دخلت في أذن وخرجت من الاخرى مسخنة دمه فغضب على الخادمة وسلمها الباب .. هذه القصة سمعتها قبل عشر سنوات والآن أتت الى بالي لاني رأيت شبابنا مائلين كل الميل الى الوظائف . وخوفي من أن أرى يوما العراقيين المنورين كلهم موظفين لا غير ! وهذه ليست علامة خير ! أنا لا أريد أن أقول للقائممقامين وغيرهم من الموظفين يا جماعة اتركوا كراسيكم وخذوا كل منكم (انجانه)[1] طرشي واصرخوا (للدوخه دواء) لا حاشا ثم حاشا لا أقول ذلك لانني أعتقد ان الامة محتاجة الى القائممقامين والمتصرفين والنواب والمحامين والوزراء والاعيان أكثر من احتياجها الى الطرشجية انما غايتي من كتابة هذه الاسطر تشجيع شبابنا على اختيار الصناعة والزراعة والتجارة ، فانها في نظري مقدسة ومباركة . فعلى مدرسي المدارس أن يلقنوا أولادنا ويزرعوا بذرة حب المهن الحرة في قلوبهم وعلى رجالنا ألا ينسوا هذا المثل المعروف :

« السفينة تغرق اذا كثرت ملاليحها » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٥ ايلول ١٩٢٨ .

(١) الانجانه باللغة العامة هي الوعاء المصنوع من الفخار أو الخزف .

« غلط وزّانها وضاع الحساب* »

[لم تكن الحالة المالية أقل سوءا من الحالة السياسية فى العراق • فالكل كان يشتكى والكل يطالب الاصلاح ولكن ليس من مجيب • وهذه كانت صرخة من آلاف الصرخات •]

لا أقصد هنا من (الحساب) الميزانية العامة التى صدقها مجلس النواب بعد أن قامت عليها القيامة ولا أقصد من (الوزان) وزير المالية الذى هجم عليه وعلى اقتصادياته أكثر من واحد • فالميزانية هى كأخواتها من قبلها ومعالى الوزير اذا (غلط) فذلك ليس بعار لانه من البشر والبشر يغلط ويصيب وزيرا كان أم (وزّانا) ••• وأنا أقصد الحالة العمومية فى العراق مع انني أجهل تماما من هو (الوزان) أما الحساب فقد ضاع وهذا لاشك به ولا شبهة ! يكفينا اليوم أن نقيس أنفسنا مع الاتراك • قبل عشر سنوات كانوا مثلنا وكنا مثلهم • ثم انفصلنا عنهم وعند ختام الحرب كان الاتراك مغلوبين ونحن كنا ما شاء الله غالبين مع حلفائنا ، وكانوا مفلسين وكنا مثرين وكانوا من المغضوب عليهم وكنا محبوبين ، وكان الحلفاء واليونان ينزلون على رأسهم الضربات الواحدة تلو الاخرى وكان ــ ولم يزل والحمد لله ــ البريطانيون يساعدونا ويرشدونا ويلاطفونا ••• الى أن دقت الساعة وفار التنور فثار العرب وثار الاتراك ! الاستقلال ، الاستقلال •• ثم انتهت الثورات وانطفأت نار الحرب ونال العراق استقلاله قبل اليوم بسبع سنوات وطردت تركيا الناهضة أعداءها واستقلت قبل خمسة أعوام ولكن •• (عرب وين طنبوره وين) نحن بقينا (يرنده صاي)[1] ثم ارتبك أمرنا فصرنا كالسلحفاة تخبط وترجع الى الوراء بينما الاتراك أخذوا يسرعون كالغزال نحو الحضارة الغربية والرقي حتى

---

(١) أمر عسكرى باللغة التركية يعنى رفع الاقدام دون التقدم • أى المراوحة •

العراقى لا يقل ذكاءً وشجاعةً عن التركى . وان كانت تركية أكثر منا نفوسا أصبحوا أقوى وأغنى مما كانوا عليه قبل الحرب ومما يزيد الاستغراب هو ان فأرضنا أخصب وأغنى من أرضها. وان كان لتركيا حكومة برلمانية ديموقراطية فنحن أيضا عندنا مثلها وأحسن منها . فهى عندها (وكلاء) ونحن عندنا (وزراء) وهى عندها (مبعوثون) ونحن عندنا (نواب) وفوق هذا عندنا أعيان ، مرشدون وعندنا مندوب سامٍ ، وعندنا مائتا انكليزى لاجل المساعدة والمشاورة وعندنا كل وزير (مبطن) بمستشار ، وكل متصرف (مسنود) بمفتش ادارى وعندنا هنود وزنوج وأرمن وعندنا من كل رطب ومن كل يابس ومن كل فجٍ عميق ...

فلماذا نرى الاتراك قد سبقونا برغم كل ذلك ؟ - هذا سر من الاسرار !

ان تركيا لها اليوم جيش قومي ، ولها اسطول يحمى سواحلها ، ولها سكك حديدية تركية ولها مدارس منظمة تزداد كل يوم ، ولها بعثات علمية فى أوربا مهمة ولها اعتبار بين الحكومات الغربية والشرقية ، ولها... ولها..

أما نحن فلم يبق اليوم عندنا الا بساط الفقراء ذلك البساط المخوف المفروش لنا برغم اخلاص الوطنيين وارشاد المرشدين ! ونحن - مع الاسف - على وشك القعود عليه ! سألت ولم أزل أسأل كل من أراه عن سبب هذه الحالة المؤلمة . فأجابنى أحدهم متفلسفا :

« لا تدوخ رأسك هذه شليلة وضايع رأسها » وقال لي الآخر وهو من الاقتصاديين « لا تدوخ رأسك ، هذه مسألة فحيم . نسدها من هوني تنفتق من هوني » . وقال لي ثالث وهو من المتصوفين « لا تدوخ رأسك هذه حكم حارت البرية فيها ... » كلها لا تشفى ولا تقنع . ويوما صادفت شيخا من الاميين لا صلة بينه وبين العلماء ولا يعرف الزعامة ولا الزعماء وليس له أدنى اطلاع لا فى السياسة ولا فى الاقتصاد ، ولم يكن حتى الآن نائبا أو وزيرا .. هذا الرجل البسيط أجابنى على سؤالى هكذا :

« يوما من الايام قرر الثعلب والذئب والقط أن يتحالفوا مع الاســــد ليحميهم ضد الحيوانات الاخرى . فعقدوا ميثاقا مع الاسد وأصبحوا حلفاءه .. وذات يوم افترس اولئك فريسة وأتوا بها الى السبع ليقسم بينهم بالحق . فقام هذا ومزق الفريسة الى أربعة أقسام ثم قال « أنا آخـــذ الحصة الاولى لانى حليفكم » وبعد أن أكلها ولم يشبع قال : « والحصة الثانية ترجـــع الي لانى حاميكم » وابتلعها . فلم يكتف فقال : « والحصة الثالثة آخذها بدلا عن أجرة القسمة » وأكلها . فشبعت بطنه ولكن لم تشبع عينه فأشار الى القطعة الاخيرة قائلا : « وهذه القطعة اذا مسها أحدكم فويل له » .

تركت ذلك الشيخ الحكيم وأنا أقول فى نفسى : غلط وزّانها وضـــاع الحســـاب !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى ١٣ تشرين الاول ١٩٢٨ .

بدل مشيتك وزين لحيتك*

[ينطبق هذا المثل البغدادى على عدد غير قليل من رجـال السياسة فى تلك الايام وفى ضمنهم بعض أهل العمائم الكبيرة والذقون المنفوشة ـ فالاخلاق المتينة لا تحتاج الى المظاهر . كما ان الاخلاق الضعيفة لا يمكن أن تستر وراء لفات الرؤوس أو تسريحات الذقون .]

اختلف النفسلوجيون العراقيون ـ وفى العراق علماء من كل الفصائل ـ فى هذا المثل العامى فقال بعضهم ان تبديل المشية يستلزم حلق اللحية. وأنكر ذلك غيرهم . أما الداعى (ولو اننى لست من العلماء) فأرجح الشق الثانى[1].

نعم . أنا لا أرى أية رابطة بين الذقن والمشية . فالعراقى مثلا يمكنه اليوم أن يبدل مشيته وأن يغير أخلاقه وأفكاره السياسية والاجتماعية من غير أن يقطع شعرة واحدة من لحيته .. أنا رأيت عددا كبيرا من أصحاب الذقون المنفوشة يتقلبون مع الهواء بل وأسرع من الهواء وهم محافظون على ذقونهم . ورأيت أيضا من بدل كسوته وشغّل الموسى على لحيته من غير أن يتبدل ويتقلب . فهذا دليل ناصع على أن اللحية فى زماننا لا تعمل فى حياة المرء سواء صغرت أو كبرت .

فالشىء بالشىء يذكر ... أنا أعرف رجلا بدل مشيته أكثر من مرة وهو لايزال يمشط لحيته ويمسدها وينفشها وينتفخ كما ينتفخ الطاووس .. رأيت ذلك الرجل يوم اعلان الهدنة بين الاتراك والانكليز فكلما هتف هؤلاء بالانكليزية هتف هو بأعلى صوته بالعربية ناسيا خليفة المؤمنين والاتحاديين الذين كان ينتسب اليهم بالامس ... ورأيته أيام الثورة وهو (كالحمص فى

---

(١) انعكس هذا المثل على الشعر الشعبى العراقى . فقد جاء فى قصيدة الشاعر الشعبى الكبير المرحوم الملا عبود الكرخى :

لو تزين لي لحيتك لو تبد لي مشيتك ... الخ .

كل طبق ينبص) وكان أكثر تحمسا من غيره وهو يدعي الزعامة الى أن قال يوما : « الانكليز ••• ! پو وووف ! نخرجهم باليمنيات » • وهنا نسي تماما يوم الهدنة ••• ثم استقل العراق فأخذ ذلك الرجل يسبّح طول الليل والنهار باسم الوطن والامة •• والامة والوطن ••• والوطن والامة ••• فالمسكين كان يحترق قلبه على الامة والوطن وكان لا يترك صغيرة أو كبيرة الا واعترض عليها ولام الوطنيين الآخرين وأسند اليهم الجبن والخيانة و••• و••• وهمه الاكبر كان وجود المستشارين والمرشدين وغيرهم فى العراق فكان يهجم عليهم ـ طبيعى فقط بالكلام •• ثم أتى يوم ـ والدنيا (جرخ فلك) يوم لك ويوم عليك ـ فأصبح ذلك الاسد خروفا • وتلك الجمرة المتوقدة بنار الوطنية صارت (تفسفس) كالفحمة • وقد نسي الوطن والامة !!! فما قولك أيها القارىء ؟ أما ترى ان النفسلوجيين[1] الذين أنكروا صحة المثل العامي قد أصابوا ؟ وان النظرية القديمة هى باطلة ؟ واختلف نفس اولئك العلماء فى تشخيص العلة والمسبب لتبديل المشية • فمنهم من قال ان العامل الاصلى هو الحب مهما كان نوعه مثلا حب الوطن أم حب الدراهم أم حب الشهرة أم حب المخاطرة بالنفس ، وقال بعضهم ان السبب الاهم هو الضعف الذى يعترى الشبكة العصبية من حين الى آخر • وادعى بعضهم ان العامل الوحيد هو ضعف الجيب والله أعلم بالصواب •

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٨ •

(١) النفسلوجيون ـ تعريب الكلمة الافرنجية سايكو لوجست ، او العلماء النفسانيون •

صاموط لاموط كلمن يتكلم يموت*

[كانت مكافحة الصحف وكم الافواه من الامور الاعتيادية المستندة الى ما ورثناه من القوانين العثمانية ... وتعطيل الصحف يحصل تقريبا كل يوم مما يشغل وقت مديرية المطبوعات كله ... ومع ذلك استمر النقد والجهاد الصحفى بدون هوادة .]

هذه هى المادة (٢٣) من قانون المطبوعات العثماني المعدلة بالتعبير البغدادى العامي ... صاموت لاموط كلمن يتكلم يموت[1] . وقد تتكلم الجريدة الفلانية أو الفستكانية فتموت مدة من الزمن ثم تنزل عليها الرحمة فتبعثها حية .

نحن ورثنا ، ولا نرث اليوم ، من العثمانيين (قلاقيل مكسرة) كثيرة . القوانين الهرمة والطربوش الاحمر والالقاب الفارغة ، وهذه المادة المنحوسة ، وبينما اليوم الاتراك استبدلوا كل تلك « القرائض القديمة »[2] نحن بقينا محافظين عليها متمسكين بها كما يتمسك الاعمى بشبابيك المزارات ... وما أدري أيأتى ذلك من كثرة الوفاء أم من ضعف القلوب ؟ أما المادة (٢٣) المعبودة فهى ولا شك « سلعة أم سنون » ولا أعلم سر بقائها على حالها مع اننا حاربنا الاتراك وحصلنا على استقلالنا وأصبحنا اليوم أمة مستقلة ديموقراطية دستورية . فما لنا اليوم وهذه السلعة التركية الاتحادية ؟ فاذا بقينا على هذا الترتيب يصح فينا ذلك المثل : « يهريز ويأكل طرشي » . أنا أكره الفوضوية وأكره المغالاة والتطرف فى كل الامور ولكن الزائد كالناقص ، وأرى هذه المادة لا محل لها من الاعراب فى يومنا هذا ولا تأتلف مع حالتنا السياسية . قيل ان حرية الصحافة فى العراق هى أوسع بكثير من الحرية التى تتمتع بها

---

(١) الصاموط : من الصمت وهى كلمة تتردد كثيرا فى الامثال العامية .
(٢) القرايض : هى العادات المقروضة البالية .

الصحف في بعض البلاد الاوربية . هذا صحيح ولكن قياس العراق بتلك البلاد غلط كبير فلا نسبة اليوم بين العراق وتركيا وايطاليا وروسيا الخ ... من الممالك التي قضت على الحرية الفكرية لتقوية «الرجيم»[١] والحكم الجديد الذي حل محل الحكم القديم فهنالك ضرورة حيوية . فالجمهورية التركية الجديدة تدافع بكل قوتها ضد السلطنة والخلافة ، والفاشيزم[٢] يصرف كل جهده للخلاص من الشيوعية ، والبولشفيزم[٣] يرتكب أكبر المظالم وأشنعها لامحاء الفكرة الاريستقراطية السقيمة ، فاذا زالت حرية الصحافة في تلك البلاد فالسبب يعود الى التطاحن القائم بين ضدين لا يجتمعان .

أما نحن فعن أي « وضع » نريد الدفاع ؟ أعن النظام الديمقراطي الدستوري أم عن الوضع « الشاذ » الذي لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ؟

فاذا كنا ديموقراطيين يجب أن نقيس حرية الصحافة عندنا بالحرية السائدة في البلدان الديموقراطية الاخرى مثلا : انكلترا ، فرنسا ، سويسرة ، ألمانيا الخ ... واذا عملنا ذلك سنرى ان النسبة ستكون كنسبة البرغوث للجمل . أما اذا كان المقصود هو الدفاع عن الوضع (الشاذ) فهذا أمر آخر لا يعرف سره الا الله ..

قيل ان بعض الصحف العراقية كتبت ما يخل بالامن الخارجي والداخلي ! يا سلام سلم ! ويا لطيف لطفك ! ..

ولكن ولله الحمد والمنة ، الامن الخارجي لم يختل ، والصلح سائد اليوم في القارات الخمس وعلى وجه الارض ، ولربما سبب ذلك هو عدم معرفة اللغة العربية في تلك الاصقاع .

---

(١) Regime .

(٢) الفاشيزم ـ هي الفاشية التي تبناها موسوليني في ايطاليا .

(٣) البولشفيزم ـ أو البلشفية ، جناح الاكثرية في الحزب الشيوعي السوفيتي .

والأمن الداخلى أيضا ـ ربك حميد ـ بقي على حاله لأن المنورين مـــن الافندية والبگوات والباشوات الذين يقرأون الجرائد أعصابهم مخـــدرة لا يحركها القلم وربه بل جميع الاقلام وأربابها . وأما العامة والبدو فلا يقرأون ولا يكتبون والحمد لله ، فهم «كالاطرش فى الزفة» ... ولذا علينا أن نتمسك بقليل من المنطق ولا نحاول قتل القملة بالسيف !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٣ تشرين الثانى ١٩٢٨ .

خير انشاء الله*

[كان مجلس النواب يعكس احيانا الفوضى السائدة فى أكثر نواحى الحياة فالنواب أكثرهم يأتون بالتعيين لا بالانتخاب والوزراء يعينون ارضاء للاشخاص والجماعات دون اعتبار الكفاءة والمقدرة . وبعض الامور كانت تجرى وكأنها تمت فى الاحلام ...]

الحلم شيء غريب ... الفيل يطير والاسد ينقلب فأرا ... ترى بغداد فى باريس ولندن فى خان لاوند ... ترى ديكاً وعليه منارة وفوق المنارة ديك وفوق الديك منارة وفوق المنارة ديك ... وأنت فوق كل ذلك . والحاصل ترى أشياء لا رأس لها ولا كعب أشياء مفرحة ... وأشياء مخيفة ... هذا لا سيما اذا كنت « متخوما » .

وها أنذا أيها القارىء أقص عليك ما رأيته فى الحلم ليلة أمس ، فقل معى « خير انشاء الله » رأيت اننى كنت فى مجلس النواب .. والغرابة اننى لم أره حتى الآن فى اليقظة ، لاننى فى زوريخ وهو فى بغداد ... فالمجلس الذى رأيته فى الحلم كان عبارة عن غرفة كبيرة مستديرة تعلوها (طارمة) مستديرة أيضا وكان تارةً يشبه « الزورخانة » . وطورا يشبه المسرح ، ولكن من غير (شانو) وبعضا كنت أراه كمحكمة كبيرة وفى وسطها حوض ماء .. نعم خرابيط ! ولكن معلومك المنام هو عبارة عن خرابيط بخرابيط ...

والنواب والوزراء والمستمعون كانوا كلهم مخلوطين « هرج مرج » .. وكان بعض الناس نائمين على تخوت من خشب وبعضهم « يكرز حب » وبعضهم يأكل « أبيض وبيض »[1] . والرجال والنساء والاولاد كانوا يدخلون ويخرجون من غير انتظام مثل خان جغان ! ـ بلا تشبيه ـ وفى الحقيقة

---

(١) أكلة شعبية بغدادية تتكون من البيض المسلوق وبعض الخضروات .

(٢) سوق الذهب القديم فى بغداد وله عدة منافذ يدخل اليه الناس ويخرجوا منه دون أية مراقبة ، ويضرب به المثل للتعبير عن الفوضى .

اني ما رأيت قط حلما مخربطا مثل هذا الحلم .

والجلسة كانت (فوق العادة) وقد عقدت لمناسبة انتخاب وزير جديد والوزارة كانت « وزارة الفنون الجميلة » . والانتخاب كان قد جرى فى فضوة الميدان والمجلس كان قصده تصديق ذلك الانتخاب .

وبعد بضع دقائق سمعنا دق الطبل والنقارة ثم دخل المجلس أناس ـ أشكالا وأجناسا ـ يحملون على أكتافهم رجلين .. أحدهما معمم والثانى مطربش .. ولا أقدر أن أصف تعجبى عندما رأيت ـ فى الحلم ، دائما ـ ان المعمم ما هو الا الملا (ح) استاذ اللغة الفارسية فى مدرستنا زمن الاتراك والمطربش هو المسيو (س) معلم الفرنساوية فى ذلك العهد .. فقلت يا سلام سلم . وحمى دمي وغضبت غضبا شديدا !

كيف لا واننى أعرف ان السيد (ح) والمسيو (س) ـ الله يذكرهما بالخير ـ ليس عندهما أدنى المام بالفنون الجميلة !! فالاول كان يدرس (الگلستان) و (العلم حال) ونحن درسنا عليه ثلاث سنوات من غير أن نتعلم شيئا وكنا نقضى الدرس ونحن نضحك وهو يسب ويشتم ويضرب ... والثانى كان يدرس اللغة الفرنساوية بلهجة (سوق حنون) ونحن كنا خلال الدرس نأكل فستق عبيد ونرمى عليه القشور . وعندما يزعل كنا نضربه بالمخدات على رأسه الى أن يترك الصف .. وأظن ان كل طلاب مدرسة السلطانى ، البغداديين يعرفون من هو السيد (ح) والمسيو (س) فهما رجلان طيبان ولكنهما طرطوران بكل معنى الكلمة .. فأين هما وأين الفنون الجميلة ؟

وبينما نحن (نتدارد)[1] على الطارمة حول هذا الامر . اذ قام رجل وفى يده موسى وحلق ذقن (ح) وشوارب المسيو (س) ثم خلط شعرهما ثم اقترح تقسيم الوزارة بين الاثنين والاكثرية قبلت هذا الاقتراح .. ولكننى لما رأيت الفنون الجميلة أصبحت بين أيدي الرجلين المسكينين المذكورين ازداد غضبى

---

(١) نتدارد : بمعنى نتذاكر ونتدارس الامر .

وتأثري فصرخت بأعلى صوتي « مو مالك ! مو مالك !) وهكذا أفقت من نومي وأنا أرتعش غضبا .. حكيت لاحد الاصدقاء ما رأيته في المنام فقال لي ستحدث أمور غريبة عجيبة في المجلس النيابي عما قريب . ولربما ينفصل عن المجلس والوزارة بعض الرجال . لان الموسى في المنام عبارة عن اللسان ، والحلق معناه « فرم بصل » والشعر معناه الدراهم .. وان لم يحدث كل ذلك فمنامك باطل و « معدتك خربانة » وعلى كل الاحوال خير انشاء الله .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٨ .

مكتـــوب*

[الخرابيط أحيانا تصل الى درجة تخلق اليأس فى النفوس مما يجعلها تستسلم الى القضاء والقدر ولو الى حين ... فالشعور بالعجز كان يعترى أحيانا الشباب الناهض أمام سلسلة طويلة من التصرفات الفاشلة ولكن تلك الحالة النفسية لم تكن الا موقتة فيعود الاعتماد على النفس والشوق الى الكفاح بشكل أقوى ... وسلاح أمضى ...]

كان ايماني بالقضاء والقدر ركيكا جدا ... فلم أكن أفهم فلسفة (مكتوب ، مقدر) وكنت أظنها ناشئة عن العجز والكسل والمسكنة .

حمارك يعثر وتنكسر رجله فيفطس ـ .

ـ مكتوب ! ...

أحد أبناء الحلال يسرق كيسك ـ .

ـ مكتوب ! ...

زعفرانة فى المطبخ تكسر صحنا ـ .

ـ مكتوب ! ...

كل شيء مكتوب « غصبا عن خشمك » و « وبالرغم عن ارادتك » .

فهذه « الكتابة » ما كانت تدخل فى عقلى تماما . وكنت أفكر ان الذنب مثلا ـ فى مسألة زعفرانة ـ اما انه يعود على زعفرانة لانها بلهاء ، واما على الصحن لانه (فرفوري وليس چينكو) .

نعم كنت فى ضلال مبين وفى جميع الامور كنت أفتش عن السبب والعامل الاصلى وكنت أرجح فلسفة « الشط من حفره ؟ والنغل من بزره ؟ وفلان أغا من صهره »[1] على فلسفة « مكتوب » .

---

(١) مثل بغدادى قديم يشير الى كثرة التدقيق والتعميق فى الامور .

أما الآن فقد رجع ايماني الى صدري ـ الحمد لله ألف مرة ـ وصرت أعتقد أن لا ذنب على زعفرانة لانها المسكينة قد كتب الله عليها قبل ملايين وملايين من السنين أن تكسر الصحن الفلاني في اليوم الفلاني في الدقيقة الفلانية • كما انه قد كتب على الصحن في نفس الزمن أن يتزحلق من بين يدي زعفرانة ويصير « خرده خشخاش »[1] • رجع ايماني الى صدري لاني رأيت ذلك ضروريا للحياة • والذى عنده ايمان قوي يستريح ويصير «دهريا ويسمن ويثخن •••» ، أقول لمن لا يؤمن بالقضاء والقدر انظر نظرة واحدة الى حالة العراق فهذا يكفيك ويشفيك ويزيل عن قلبك وساوس الشيطان •••

وعمل هذه النظرة كعمل « دهن الخروع » في باديء الامر تلعب نفسك وتشمئز روحك •• ولكن بعده تستريح !••

لاجل هذا لا تخاف بل افتح عينيك والق نظرةً واحدة على بلادك ـ ويا للاسف ـ ترى : استقلالا أعرج واقتصاد أعور ، نفوسا قليلة ، جيوبا فارغة ، زعامات وتزعمات لا تنتهي ولا تشبع • مباديء تتغير كل يوم زراعة تذكرك بالقرون الوسطى ، تجارة تتراجع الى الوراء ، معارف مناهلها لاتروى ولا تشبع ، جهلا مطبقا في معظم الانحاء ، سفالات مؤلمة ، الاموال تصرف في غير محلها ، الصناعة صفر ، الادخالات تكسر الظهر ، الاصدارات (عطسة في سوق الصفافير) امتيازات تدوخ الرأس ، التعصب قامة ورفعة يد !!!

ترى كل ذلك وترى أشياء أخرى أتعس وأمر وفي أول وهلة تلعب نفسك ـ كما قلت ـ ولكن بعده ينشرح صدرك ويرجع ايمانك فتقول : « مكتوب » مكتوب ! وتستريح وتترك التفتيش والنبش •••

ولكن اذا بقي الشيطان يوسوس ولم يرجع ايمانك فسيعتريك داء عصبي يجعلك تشق ثيابك وتركض في الجادة « دورت نعل » •

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٨ •

(١) خرده خشخاش ـ بمعنى انكسر الشيء الى كسرات عديدة •

جنابى من جنابك صار ممنون*

بين الجـــد والهزل

[ان المهازل المؤلمة التى كانت تمثـل فى المجلس النيابى كانت كثيرة وقضيـة امتياز أصفر وامتياز اللطيفية هى انموذج من تلك الحـوادث المضحكة المبكية فى آن واحد ٠٠ وهكذا كان الانتداب يحصل على مايريد بالرغم من المعارضات والاحتجاجات وقيام القيامات ٠]

رأينا كيف قامت القيامة فى المجلس الموقر عـــلى امتياز أصفر وكيف اتحد المعارضون والموافقون على أن ذلك الامتياز كان على البلاد بلاءً أســودا أشد سوادا من الطاعون ، ورأينا كيف هبت عاصفة شديدة على وليد أصفـــر امتياز اللطيفية فقال المعارضون هـــذا بلاء لا يقل سوادا عن أبيه ٠ وقـــال الموافقون هذا أهون الشرين ٠ ورأى الاولون فى ذلك جبانة وخيانة ٠ ولـم يــر الآخرون الا سياسة وكياسة ٠٠٠

ورأينا المجلس الموقر بالرغم من الاســـتياء العام يمنح امتياز اللطيفيـة للشركة الانكليزية خـــدمة للسياسة أمـــام وجوه المعارضين المصفرة غضبا وتأثـــرا ٠٠٠

ثم رأينا نفس ذلك المجلس الموقر يقرر سوق الوزارة التى منحت امتياز أصفر والد اللطيفية الى المحاكمة ٠٠٠ رأينا كل هذه الاعمال المتضادة وقلنـا (عيش وشوف) ٠٠٠

أنا لا أشك فى ان السائق الوحيد لكل هذه « الخرابيط » هو حب الوطن فهذا الذى ساق رجالنا السابقين الى اعطاء امتياز أصفر ٠ وهو الذى يســوق رجالنا الحاضرين الى اتهام السابقين ٠ وهـــذا الذى سوف يسوق يوما رجالنـا اللاحقين الى تقبيح أعمال رجالنا الحاضرين ٠

فذلك الحب القتال جعل الوزير يوقع على امتياز أصفر • ونفس ذلك الحب صيره اليوم يمنح امتياز اللطيفية • وهذا الحب ذاته سينزل يوما على قلب الوزير اللاحق فيجعله يوقع ـ والله أعلم بما سيوقع ـ اسمه بدون تبصر !•••

والحب أمره عجيب ينزل على قلب الكبير والصغير والغنى والفقير • وهو غدار يعمى الابصار ويسوق المرء أحيانا حتى على الانتحار • فيحق لرجالنا اليوم أن يترنحوا « بسته » جديدة « سودنتنا هالمحبة »[1] كما يتغنى المغنون والمغنيات ! سودنوني ها النصارى والغرام داء ليس له دواء والغناء قد يخفف الالم •••

أما تحليل المسألة من الجهة الاقتصادية فهو أمر بسيط جدا • فالجماعة حفظهم الله استبدلوا العصفور بالزرزور • كان امتياز أصفر عصفورا يرمينا بحجارة من سجيل وامتياز اللطيفية ما هو الا زرزورا يرمينا بحجارة أخرى • ولا خير في أسود تنازل من أصفر ••• وبعد كل هذه «الدخلات والطلعات» انتهت المسألة ولكنها تركت لنا نغمة جديدة فى الطنبور وهى سوق الوزارة العسكرية الاولى الى المحكمة العليا ! على العين والرأس ولكن القبض ؟!••• فالمجلس الموقر سينعقد والمحكمة العليا ستتشكل واللجنات ستجتمع الواحدة ضمن الاخرى على ترتيب « طاسة ببطن طاسة » والوطنيون سيبح صوتهم والمستمعون سيستمعون ، والقيامة ستقوم وبعد كل ذلك سيلقي أحد الخطباء خطبة اجتماعية فلسفية لها تعلق مثلا بروسية واسبانيا والصين أكثر من تعلقها بالموضوع والناس سيفتحون أفواههم متعجبين وتنتهى القضية على العادة • والنتيجة ستكون :

المرشدون الاختصاصيون لم يذنبوا فلا لوم عليهم ولا عتاب •

---

(١) معناها جننتنا هذه المحبة •

الذنب كله على نهر ديالى الملعون ومنابعه البخيلة . وعليه يجب تجزية الفــــرات !

الوزراء السابقون لم يخطئوا لانهم ليسوا اختصاصيين وعليه يجب أن يتصافح الحاضرون مع السابقين قائلين « جنابي من جنابك صار ممنون » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٧ تشرين الثانى ١٩٢٨ .

قريب أفنـــدى*

[كانت خطابات العرش عبارة عـــن
مواعيد تكرر عند افتتاح مجلس النــواب
وتبقى حبرا على ورق الامر الذى كان يبعث
الملل الى النفوس فتبقى الفوضى والمماطلة
والتسويف على حالها والامور تتقدم خطوة
وترجع خطوتين الى الوراء ...]

جزاك الله خيراً أيها « المتفرج »[1] مقالك حول خطاب العرش ذكرنى أياما مضت قبل سبع عشرة سنة. آخ على تلك الايام اذ كنت لا همّ لي ولا شاغل غير «الآفرين» و «التحسين» و «التوقيف»[2] . وكنت لا أفكر لا فى الحكومة ولا فى الامة ولا فى مجلسها وكنت لا أكــره أحدا ولا شيئا ما عـدا درس « العلم حال » بالتركية وشرب « دهن الخروع » ... وكنت أحب جميــع البشر . وألــذ شيء كان عندى الركوب عـــلى « زمال حساوي » وأكــل الـ «جقجقيدر يامعجون»[3] أيام العيد ولكن الآن «اسكت وخليها» . ولنرجع الآن الى قصة «قريب أفندى» . قبل سبع عشرة سنة كنت فى المدرسة الابتدائية وكان مدير المدرسة رجلا طيبا « صائم مصلي » ولكنه « عقل عتيق » أعتق من اليخني . بقينا فى تلك المدرسة ثلاث سنوات وبعد اكمال الامتحــان النهائى نجحنا كلنا ـ أى تلامذة الصف الثالث ـ وتركنا المدرسة وصرنا ننتظـــــر « الشهادتنامات » التى تأتى من استانبول . وكان المدير دائما يبشرنا بأنهـــا ستصل عما قريب ...

أما نحن ـ انتظر لا تنتظر ـ عجزنا ومللنا . لان الايام والاسابيــــع والاشهر والسنون صارت تتوالى ونحن بقينا « من غير قبض » فصرنا كلمـــا

---

(١) صاحب جريدة العالم العربي المرحوم سليم حسون .
(٢) علامات ينالها التلاميذ فى المدارس تقديرا لجهودهم .
(٣) نوع من الحلوى كان الباعة المتجولون ببغداد يبيعونها على الاطفال .

صادفنا مديرنا في الطـــريق هجمنا عليـه ولكنه ـ المسكين ـ كان يتملص بمواعيد فارغـــة ويقسم بكسر الهاء : « واللهي قريب باللهي قريب » الى أن صرنا نسميه « قريب أفندي » .

أما الشهادتامات ـ الله من طرفك ـ حتى يومنا هذا لا رأينا وجهها ولا رأت وجهنا ! فلما رأيتك « أيها المتفرج » تشكى وتتألم من المواعيد التـــى تكررت أكثر من مرة في الخطابات تذكرت مواعيد « قريب أفندي » وقلت في نفســـي :

وقع عليك كل الخير أيها المتفرج ! أنسيت اننا في العراق وان العجلة من الشيطان الرجيم والتأني من الرحمن الرحيم . فاذا كانت شهادة المدرسة الابتدائية تبقى متأخرة ١٧ سنة ـ والخير الى القدام ـ فالمصرف الزراعـــى والعملة العراقية والتجنيد الاجباري والاستقلال الكامل وغيرها من المسائل المهمة تستلزم وقتا من ١٥ سنة وانت صاعد ... فلا لزوم اذن للتألم والتأثر ...

أما أنا فقد قطعت كل أملي من الحصول على الشهادة ولان « قريب أفندي انتقـل الى رحمة ربه . وبغداد انفصلت عن استانبول . ثم ـ الكلام بينـــي وبينك ـ الشهادات في يومنا « كوم بفلس » وليس لها أدنى أهميـــة وعليـه مسحت يدي ونسيت هذه القضية تماما ...

أنصحك نصيحة لله « أيها المتفرج » لا تدوّخ رأسك من الآن . بـــل انتظر عشرين عاما واذا بقينا طيبين ان شاء الله فاكتب حينئذٍ مقالا لاجــــل التسلية تحت عنوان « بعيد أفندي » أما الآن فغنّ معي « كل يوم اگول اليـوم باچر يبينون » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١ كانون الاول ١٩٢٨ .

الكلمات الخمس*

[كان الوضع الاقتصادى فى العراق يحتـاج الى معالجـة جـذرية وكانت الاستيرادات أضعاف أضعاف الصادرات ، والصناعة الوطنية غير نامية وليس هنالك من يشجعها ويدفعها الى الامام ، الامـر الذى جعل الطلاب العرب فى أوربـا يتخذون قرارات لمعالجة الموقف ومنهـا كانت الكلمات الخمس ...]

أخبرني صديق بأن لفيفا من الطلاب العرب فى ألمانيا عقدوا اجتماعا فى شهر آب الماضى فى برلين لبحث الحالة الاقتصادية فى البلاد العربيـة ولدرس الاسباب المفيدة لمكافحة الفقر فى تلك البـلاد . ثم انهم قرروا بث دعايـة اقتصادية مستندة على خمس وصايا أسموها « الكلمات الخمس » وهى :ـ

١ ـ استعمل المنتوجات الوطنية .

٢ ـ اشتر جميع حوائجك من بائع عربى .

٣ ـ ساعد بكل قواك التاجر والصانع والزراع العرب .

٤ ـ ابتعد عن الكماليات والزخرفات .

٥ ـ اثبت فى جهادك فالثبات أكبر معين .

وقد أقسم كل من حضر ذلك الاجتماع على اتباع هذه الوصايا وعـلى نشرها بين طبقات الشعب . وقد حصل تأثير حسن من هذه الحركة المفيدة فى مصر وفلسطين وسورية . وأحد العراقيين أرسل نسخة النداء العام الى احدى صحف بغداد راجيا نشره وبث هذه الدعاية الاقتصادية .

أما عندنا فى العراق فيمكن بكل سهولة تطبيق الوصايا الخمس لا سـيما اذا كانت الحركة منظمة ومعتدلة .

فيجب أولا ـ تأسيس جمعية اقتصادية يتعهد جميع أعضائها باتبـاع الكلمات الخمس .

ثانيـــا : بما ان الصحافة هى أكبر عامل فى بث الدعاية يجب عـــلى الصحف العراقية أن تشكل جبهة قوية وتعمل « دعاية » متوالية بلا انقطاع •

ثالثـــا : يجب على الحكومة أن تكون المثل الاعلى فى هذا الجـــدال فتقضى على الجيش والمدرسين والموظفين أن يستهلكوا المنتوجات الوطنية •

وهذه المسألة لا تحتاج « روحة عند القاضى » بل انها بسيطة ويمكن لكل شخص تطبيقها من غير كلفة • فالعـــراقى الشاب يتـرك الويسكى والجنّ ويستبدل السكاير الاجنبية بسكاير وطنية « تتن شـاور عال » • وزنوبـــة ورقوشة وعواشة يتركن البودرة والحمـرة والعطريات الاوروبيـة ـ ولو ان رسمها الكمركى قد هبط ـ ويرجعن حضراتهن الى السبداج والديرم ومـاء الزهر[1] وهذا كله لايحتاج الىوطنية متوقدة ولا الى زعامة ولا الى خطابات فارغة و « لغوات مكسرة » فعلى العراقى المنور أن يهدي العراقى غير المنـــور ويريه فائدة هذه الحركة المباركة وعلى كل العراقيين رجالا ونساءً أن يتحدوا ويشكلوا كتلة واحدة رصينة لمكافحة السقوط الاقتصادى •

فهنا محك الوطنية الصادقة و « أبو گ ••• يبين بالعبر » •

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٨ كانون الاول ١٩٢٨ •

(١) من مواد الزينة والتجميل المستعملة من قبل نسوة بغداد في الاوساط الشعبية •

عصـــاة موسى*

[ان الامور التى كانت تزداد عسرا وصعوبة كل يوم كانت تحتاج فعــلا الى مـــا يشبه المعجــزات ··· وأنى تأتى المعجزات وكنا بصراع مستمر ··· نحن نسحب طولا وحلفائنا يجرون عرضا··· والكل يخبط خبط عشواء ·]

قلت ان الخرابيط التى فى العراق والتى صارت تزداد كل يوم هـــى « مكتوبة » وبما ان المكتوب مكتوب ولا يستطيع أحـــد أن يغيره فكل مساعى رجالنا وزعمائنا هى عبارة عن « قطرة فى شط » لاجله نحن فى أشد الاحتياج الى « المعجزات » التى لا تكلف شيئا وتعمل كل شىء بسرعة برقية ···

الداعى فتشت فى تاريخ الاديان القديمة والحديثة فوجدت هنالك مـــن المعجزات أشكالا وأنواعا وفى الاخير قررت على التشوق الى « عصاة موسى » ·

نعم هذه العصا شغلها غير شغل فهى « ملحم للجرح » ·

تصور أيها القارىء عصا موسى عندنا ! ترميها على الارض فتنقلب حيـة وتبلع قبل كل شىء جميع بلاعي الحرام من كبيرهم الى صغيرهم · وبعـد ذلك ترجع على جميع الكاذبين فى زعامتهم ووطنيتهم « فتكمل حساناتهم » وأمـــا الصادقون فلا « تقارشهم » · ثم تروح وتعقد لنا معاهدة « الند للند » · ثـــم نرسلها الى البصرة تبلغ سلامنا وكلامنا الى بعض من الناس قيل انهم لا يسعون الى الوحدة العراقية · وبعد رجوعها من البصرة ترتب مسألة الموظفين الغرباء وترسلهم الى أوطانهم بالسلامة ·

ثم ترجع على بعض الموظفين الوطنيين الذين عملــوا « قارش وارش » وتقول لهم « وين همايلكم » وبعد ذلك تروح الى نجد تتموج أمام الامـــام وأعوانه حتى « لا يحرك أحد ساكنا » · ثم نرسلها تحكم بيننا وبين أصحاب الامتيازات المختلفة حتى تريهم ان المسألة ليست « فرهود » ثم تروح تنظـــم حالتنا الاقتصادية بحيث لا يتجاسر أحد على القول ان اقتصادياتنا مبنية عـــلى

« الحمرة والبودرة بلاش والفلاح ذبحه حلال » • وكلما ساعدها الزمان تروح « تبختر » فى وسط المجالس والمجتمعات وتذكر الناس ان « حب الوطن من الايمان » والحاصل هذه العصا المباركة تعمل كل شيء وتصلح كل فاسد وتعدل كل أعوج ونحن ننظر ونتعجب ونفرح ونطرب ونغنى « قمرة وربيعة يا ولد »(1) •

نعم ان عصا موسى مقتدرة على جعل العراق فى مدة بضعة أيام على أربعة وعشرين حبة • فهى التى لعبت « شاطي باطي » بالمصريين القدماء وأغرقت فرعون وجنوده فى البحر الاحمر ••• نعم كل هذا مطلوب ومرغوب •

غير ان هنالك مشكلا واحدا وهو :

من أين نأتى بتلك العصا العجيبة التى غابت عن وجه الارض مع سيدنا موسى قبل خمسة آلاف من السنين • ومنذ ذلك اليوم لم يسمع أحد عنها !

يقال ان أولاد عمنا بنى اسرائيل يخرجون كل سبت الى باب المعظم والى باب الشرقى والى طابية الشيخ عمر يفتشون عن عصاة موسى • أما أنا فلا أصدق بهذا القول :

أولا ـ لان أولاد عمنا اسحق لا يحبون أن يتلهوا « بسوالف مكسرة » مثلنا ويضيعوا الوقت والنقد الثمين •

وثانيا ـ لانهم يعرفون ان سيدنا موسى لم يأت الى العراق ولم يسكن أبدا لا فى أبى سيفين ولا فى سوق حنون •

وثالثا ـ لانهم لا يمشي عليهم قرش قلب (فهم لا يجهلون انه اذا حظي أهل العراق باعجوبة فائقة بالعصاة أم المعجزات فسيحدث فى هذا الجيل الاعوج والشرير أمران : أما أن أولاد أبى شبل يأخذونها فيلعبون بها « عودة وبلبل » واما أن ترسل للمتحف البريطانى لاجل الحفظ !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ كانون الاول ١٩٢٨ •

(١) أغنية شعبية ، ترمز الى العيش الرغيد والسعادة فيمثل الحياة بليلة مقمرة وربيع زاهر •

لابـــان ويعقـــوب*

[أكثر حلفاؤنا أيام المعمعات بالوعود المعسولة ولكن بعد الانتصار أخذوا بنكث تلك العهـود وتنصلوا من الوعود وعـاد العرب بخفي حنين ... وكانت معاملتهم معنـــا أقسى من معامــــلة لابان ليعقوب والتاريخ يعيد نفسه .]

سبحانك يا ربي ! الدنيـــا تماما مثل « چرخ الفلك » حوادثها تتشابـــه وتتقارب وان مرت السنون وتوالت الاعصر .

هذه أمامنا قصة « لابان وابن أخيه يعقوب . وهي مذكورة في أقدم تاريخ بني اسرائيل ولا تحتاج الى الرواح عند القاضي ، فان كل أحد يقدر أن يفتح ذلك التاريخ ويقرأ فيه هذه الحادثة بكل تفاصيلها أقول بالكلام العامي الفصيح ان يعقوب ضحك على ذقن أخيـــه البكر عيشو واشترى منـه حق البكورية بصحن عدس ـ والضحك على الذقون موجود منذ خلق الباريء عز وجـــل سيدنا آدم عليه السلام ـ غير ان عيسو « لما حس بالصواب » غضب غضبا شديدا وأراد أن يقتل أخاه يعقوب وصار يفتش عنه . ولكن يعقوب سمع بالامـــر واحتاط له كل الاحتياط فترك بيت أبيه وسافر بعيدا فالتجأ الى خاله لابان . وكان لابان المشار اليه « فورد » زمانه . عنده أباعر وغنم وحمير وعبيد وحشم وخدم وكان خبـــيرا « بدواليب التجارة » ولا يدوس عـلى « تخته چورك » لاجله صار ابن أخته يعقوب من ثاني يوم يرعى الغنم ويشتغل بخدمته ...

وكان للابان ابنتان : البكر « ليـة » وكانت بشعة المنظر وعمياء أو نصف عمياء بينما « راحيل »أو « راشيل » الصغيرة كانت أجمل وأكمل من البـــدر التمام وبحكم الطبيعة كان يعقوب يحب الجميلة وجمالها . وكان حبه الطاهر لا يجعله يأكل ويشرب وينام . وفي الاخـــير ذهب الى لابان وأخبره بذلك

الحب وطلب يد الحبيبة « راحيل » . ولكن لابان على ترتيب من يأخذ « من الحافي نعل » . فرض على يعقوب أن يخدمه أولا سبع سنوات من غير أجرة . ثم يعطيه ابنته وبما ان « الحب قتال » وافق يعقوب على هذا الشرط وصار يشتغل ليلا ونهارا كعبد مملوك لجلب رضا لابان .

وبعد أن انقضت السنوات السبع ذهب الى لابان وقال له :

« يا خالي .... الله يطول عمرك ! ... هذه السنوات السبع المحددة قد انقضت وهذه ثروتك قد تضاعفت من حسن خدمتي . ـ والحمد لله ـ والآن بلا أمر عليك دبر لي مسألة الزواج » .

فأجابه لابان بالقبول قائلا : « غالي وطلب رخيص » ثم أمر أن يعملوا ضيافة وهوسة وكل ما يلزم لافراح العرس ... وبعد أن أكلوا وشربوا وهوسوا أخذ لابان صهره وذهب به الى غرفة العروس ...

ولكن لا تسأل عن عجب العريس الجديد عندما رأى هنالك « لية » بدلا من « راحيل » فالمسكين عقله طار من رأسه والتفت حالا الى لابان وقال له :

ـ يا خالي ! هذا مو خوش شقا ـ .

لابان ـ « شقا ... مقا ماكو لازم تتزوج ليه » .

يعقوب ـ « يا خالي ! دخيل أمان ! نحن شرطنا كان على راحيل الجميلة ... خاف ربك » .

لابان ـ « لا تطولها ! عندنا الاصول هكذا . أولا البكر تتزوج وبعده أختها . فاذا تريد راحيل أيضا فاخدمني سبع سنوات أخرى بلاش » .

يعقوب ـ « خدمتك سبع سنوات وشعلت لك أصابعي العشرة ، وفوقها تريد تزوجني العمياء . أهذا هو العهد والميثاق ؟.. »

لابان ـ « أقول لك لا تطولها . اذا تريد راحيل لازم تقبل بهذه الشروط والا فاضرب رأسك بالحايط » .

وبعد القيل والقال خضع يعقوب أمام القوة القهارة . وصار يخدم لابان من جديد كعبد مملوك لاجل عيون راحيل ...

أزف هذه الاسطر الى اولئك البسطاء الذين يلومون الغربيين « الاقوياء » على نكولهم بالعهود للشرقيين « الضعفاء » وأكرر عليهم ان هذه الامور كانت تجري بين أعاظم بنى الانسان الاولين . فهل يصح أن نلوم اليوم « الاقوياء » على أعمالهم ؟ ـ ويا للاسف ـ هذه سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا .

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٦ شباط ١٩٢٩ .

لحيـــة قاضى اصفهان*

[القضية هنا تتعلق بالحكم المزدوج : من جهة الملك والحكومة العراقية ومن جهة أخـــرى السفير البريطانى أو المنـــدوب السامـــى وحاشيته من المستشـــارين وبين هاتين السلطتين ضاعت قضايانا كما ضاعت لحانا بين حانه ومانه ...]

كان ما كان الله ينصر السلطان ...

كان فى اصفهان قاضٍ له زوجتان : الاولى عجوز محتالة ومكارة تذهب بك الى الشط وترجعك عطشان . والثانية شابة طرطورة ومعجبة بنفســـها أكثر من اللازم .

ولـــم يكن بين الاثنتين أقل وفاق أو أدنى اتفاق . بل فى كل الامـــور كانت الاولى تجر بالعرض والاخرى بالطول فاذا أرادت العجوز مثـــلا أن تطبخ « حامض شلغم » اعترضت الشابة عليها وقلبت القدر . لانها تحب أن تأكل « تشريبايه » . واذا قالت الشابة هذا أبيض قالت العجوز هذا أســـود وهلـــم جرا ...

وكانت نتيجة هذا (الحكم المزدوج) فى دار القاضى أن يبقى هـــذا المسكين أكثر الايام من غير عشاء ...

ودامت هـــذه الحالة أياما طوالا ذاق القاضى خلالها أشد المرارة وأقسى العذاب فصار لا يقدر أن يأكل ويشرب وينام مثل الاوادم ..

فالدراهم نفذت والاوانى انكسرت . ولم يبق فى الـــدار الا الشقاق والنفاق وبساط الفقر غير ان المسألة لم تنته هنا ... فالقاضى كان عنده لحيـــة « رز وماش » كبيرة . وكانت هذه اللحية المنفوشة أحسن وأثمن شىء عنـــد القاضى ...

وكانت زوجته الاولى تود أن تكون لحية القاضي بيضاء ناصعة ، في حين ان الثانية كانت تكره الشعر الابيض وكانت تتمنى أن يكون لزوجها لحية سوداء كاملة ... ويوما من الايام كان القاضي مضطجعا فجاءت اليه زوجتاه وصارت تمشطان لحيته وتمسدانها ثم أخذت العجوز تنتف الشعرات السود والشابة الشعرات البيض . والقاضي كان « منشعا » فلم يحس بالقضية حتى انتهت العملية ... اذ وجد نفسه منتوفا محفوفا وليس في ذقنه شعرة واحدة !! ... فصار يلطم ويكفخ على رأسه ويدق صدره ... ولكن « بيش يخرج » ؟

هذا الذي لقيه قاضي اصفهان من وراء حكم الاثنتين ! اللهم احفظ لحانا ! من الحكم المزدوج .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢٠ نيسان ١٩٢٩ .

انشقت الدشداشة*

[الضجة التي قامت بشأن استبدال الاتفاقية العدلية بيننا وبين حلفائنا باتفاق عدلي جديد لا يمكن تفسيرها الا بتشبيهه بقصة قتال البرغوث بالسيف ...]

ضجة .. قرقعة .. طوشة .. قيل وقال .. دق طبول ...

– خير ان شاء الله ؟ الكتاب يكتبون ... والمترجمون يترجمون ... الناقدون ينقدون ... والمفسرون يؤولون ويشرحون .. والمنعم عليهم يتهانؤن ويتفاخرون على ترتيب « قتال القملة بالسيف » ... والمغضوب عليهم يلومون ويعاتبون و « يگزگزون » أسنانهم ويسبون ويشتمون ... الحاصل هرج مرج والقيامة قامت ...

كل هذا لان أصحاب المصالح طلبوا من عصبة الامم مساعدة لاستبدال الاتفاقية البريطانية – العراقية العدلية باتفاق بريطاني عراقي عدلي جديد يستوي فيه الاجانب على اختلاف جنسياتهم . أمام المحاكم العراقية ... فلا يكون امتياز خاص مثلا للانكليز والفرنسيين دون الالمان أو الايرانيين .. لان الالمان أو الايرانيين أو غيرهم يكرهون هذا الامتياز كل الكره ... هذا « خوش كلام » ولكن هذا التبديل تشترط فيه ، قبل كل شيء ، مراعاة مسألة « اسكي حمام اسكي طاس » فيما يختص بتصدير الحكام الانگليز في المحاكم العراقية . وهذا أيضا محتمل !... ولكن يقال ان الاتفاق الجديد سيكلف خزينة العراق أموالا طائلة لان عدد الحكام البريطانيين سيزيد ... لان العدالة تقتضي ذلك .. لان بعض الاجانب الذين يحبوننا ويريدون خيرنا يودون أن يمشي كل شيء عندنا مثل الساعة .. ومعلومك ان المشي مثل الساعة « يكلف فلوس » .. و «الفلوس في جيب العروس» .. و « العروس في الحمام » و « الحمام يريد قنديل » ... و « القنديل واقع في البير » ...

و « البير يريد حبل» ... و « الحبل على الجرار » !!!

كل هـــذا مفهوم ! وكل هـــذا على العـين والرأس ! ولكن لماذا كل هذه الضجة ، لماذا كل هذه الطبول والنقارات ؟ ثم لماذا كل هذه « التعزنات » البادية في عصبة الامـم ؟ فالمسألة بسيطة وصريحة لا تحتـــاج لكل هـــذه الفرقعات ! ... أقول بسيطة لانها ـ بلا تشبيه ـ مثل مسألة «دشداشة المعيدية» اذا انشقت الدشداشة ـ يومـــا ـ فصارت المعيدية تصرخ وتلطم وتريـــد « نفنوفا »[1] بدلا منها . ولما أتاها « النفنوف » صارت تركض و « تعنفص » من شدة الفرح حتى سقطت ـ محشوم السامع ـ وتأذت ...

وفي نظر الداعي ـ ولو ان الداعي لست من الحقوقيين ـ الدشداشـــة والنفنوف شيء واحد سوى ان النفنوف يكلف أكثر لان فيـه « كراكيش » و « دناديش » ... تمام ؟ لو لا ؟

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢٠ نيسان ١٩٢٩ .

(١) النفنوف معناه البدلة النسائية باللغة العراقية الدارجة .

الى متى هـذا العمش* ؟

[اختلط الاستعمار بالاستقلال فى العراق بشكل كان يتعذر معه تفـريق الواحد من الآخر فكان الوضع شاذا ليس له مثيلا . وكان العراقيون فى حيرة من أمرهـم مثلهم كمثل السكارى الـوارد ذكرهم فى هذه الكلمة .]

الى أين نحن سائرون ؟ ما ذا سيحل برأسنا ؟

هل مستقبلنا خير من حاضرنا ؟

ـ لا أحد يقدر اليوم أن يجيبك على هذه الاسئلة .. لاننا كلنا نجهـل مصير بلادنا .. لاننا بعضنا أشد عمشا من البعض ... لاننا صرنا كلنـــا « دوشيش » .. والدوشيش يرى أشياء وأشباحا تتحرك ولكنه لا يقـدر أن يشخص لا المحرك ولا المتحرك . فهو يرى الحمار حصانا والقط أسدا « واذا رأى تفلةً يحسبها أم ستة فلوس » حالة مؤسفة ! حالة مؤلمة !...

هذا الامر المحزن يذكرنى بقصة السكارى وهى : ذهب ذات يـوم رجلان الى احدى « الميخانات » وبعد أن سكرا سكرة موت خرجا بعد نصف الليل الى الجادة وصارا « يتمندلان » ـ حايط يأخذهما وحايط يجيبهما حتى وصلا جسر مود ... وهناك كان القمر فى وسط السماء وكان نهر دجـلة مزدهرا بالانوار الفضية .. فقال أحدهما :

ـ أبو نجم ! شايف ! الله على هل الگمرية !

فأجاب الثانى :

ـ گمرية شنو ؟ .. ولك هذه الشمس .. آخر أعمى انت ؟ ...

ـ لك شلون شمس ؟ سبحان الله ! عيونك صايرة دوشيش !

ـ وانت صاير سي باليك ما تفرق بين القمر والشمس ...

وهكذا انفتح باب الجدال فالاول يقول هذا قمر والثانى يدعي ان هذه

شمس ••• ثم اشتغل السب والشتم ثم وصلت المسألة الى اليمنيات ••• وفى تلك المعمعة رأيا رجلا قادما اليهما من « هذاك الصوب » وهو يتمندل أيضا على الجسر فلما وصل اليهما سأله أحدهما :

ــ عمشري ! الله وياك ••• من غير زحمة •• قل لنا بالله عليك ، هذا قمر أم شمس ؟ فأخذ هذا السكران الثالث ينظر الى السماء ثم الى ساعته وبعد برهة قال :

ــ والله ما أدري •• داعيكم من خرنابات مو من بغداد !

أما نحن فقد أصبحنا كهؤلاء السكارى فى كل أمورنا ••• فأحدنا يقول : « هذا استقلال » وآخر يقول : « هذا استعمار » وغيره يقول : « العلم عند الله » ••• والايام والاشهر والسنون تمضى ونحن لا ندري •• ونحن سوف لا ندرى •••

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٤ نيسان ١٩٢٩ •

حاجي علي أم حاجي محمد* ؟

[من أمثلة سياسة التفقير التى كانت متبعة عندنا فرض ضريبة المكس على الملح واعفاء المساحيق والبودرة المستوردة من الخارج .. بحت الاصوات احتجاجا على هذه التصرفات وكان جواب المسئولين عن السياسة المالية بأن سيأتى يوم عما قريب يأكل الفلاح الزبدة والدجاج بلا حساب .]

خلق الله تعالى بعض الناس علة على القلب .. علة قتّالة ... علة تطلع ايمانك من رأسك اذا قلت لهم مثلا : ٢ + ٢ = ٤ يقولون : لا هذا غلط ٢ + ٢ = ٥¼ أى نعم خمسة وربع ان يعجبك أو ان لا يعجبك ...

واذا أبنت لهم مع الدلائل والوثائق ان جيب العراق صار يقرأ « يا ليلي » وان الفلاح سوف يموت جوعا يقولون : ــ لا ! لا ! على بختك ! الفلوس كثيرة والفلاح « معدته خربانة من أكل الدجاج » . واذا أثبت لهم ان الملح أكثر فائدة للحياة من البودرة يقولون : ــ لاتكفر ! يا معود لاتكفر ! لولا البودرة لهلكت الناس وبالمختصر المفيد يورمون قلبك بهذه « النظريات » المكسرة وذلك ليس عن اجتهاد اقتصادى أم سياسى بل لوجه الله تعالى .

يقال ان فى الزمن القديم كان فى بغداد بزاز اسمه « حاجي علي » وكان هذا الرجل مشهورا جدا لانه فى أيام صباه كان شقيا من أكبر الاشقياء ... « أبو جاسملر ورجال من صدق » لاجله اسم « حاجي علي البزاز » كان معلوما عند الكبير والصغير ما عدا جاره أُوسطة يوسف الخياط الذى صار له عشرين سنة يشتغل فى دكان جنب دكان الحاج علي ولكنه لم يتعلم اسمه اذ كان يسميه دائما « حاجي محمد » . تصور أيها القارىء : عشرون سنة جارك ويسميك « حاجي محمد » بينما اسمك « حاجي علي » . فالحاج على الذى

كان قلبه وارما من هذه المسألة أراد يوما أن يدخل المسألة في رأس أُوسطة يوسف فقال له : ـ يا أوسطة ! روحي وصلت الى خشمي ؟ أنا اسمى « حاجى علي » ! ووالدي المرحوم أعطاني هذا الاسم لان هو كان اسمه (حسين) . وعندنا في الطرف كانوا يسموني «علوكي » و « أبو حسين » ... ولما صار عمري ثماني عشرة سنة داعيك صرت أشقياء وكان الناس يتراجفون مثل السعفة لما يسمعون اسم « علي أبو شامة » ...

حتى الوالي نفسه كان يخاف مني ... وكذلك السلطان كان يخاف مني .. ثم راح يوم وجاء يوم فصادوني بحيلة وحبسوني !.. ولكن صرت في السجن رئيس المحابيس وبعد الحبس رحت الى مكة وتبت وعندما رجعت الى بغداد فتحت هذا الدكان وصرت بزازا ومنذ عشرين سنة كل واحد في بغداد يعرف من هو الحاج علي البزاز .

أتدرى أيها القارىء ما كان جواب اوسطة يوسف ؟ ان الاوسطة « صفن » أولا ثم هزَّ رأسه وقال لحاجي علي :

ـ « قصتك غريبة يا حاجي محمد » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٤ نيسان ١٩٢٩ .

يا ابليس حل الكيس*

[كانت بعض القضايا تدخل في دوامة لا نهاية لها . ومنها على ما أذكر قضية الاتفاقيتين العدليتين التي انتهت في الاخير كما أرادها حلفاؤنا .]

المسألة طالت وعرضت وكبرت وثخنت فلم يبق لها لا طعم ولا لذة ... صار لنا أشهر وسنون ونحن نأخذ ونعطي ـ طبيعي على العادة نأخذ واحد ونعطي عشرة ـ ونريد أن نحسم مسألة الاتفاقيتين بالتي هي أحسن ...

رجالنا ذهبوا من بغداد الى لندن ورجعوا الى بغداد ، حكومة راحت وحكومة أتت . وعميد راح وعميد جاء ، عقلاؤنا صرفوا كل ما يملكون من المقدرة والمهارة والتساهل . وعقلاء الانكليز أيضا درسوا القضية وقلبوها ونبشوها ولكن كل ذلك وكل هذا « بوش » .. والشغلة بقيت هذاك الطاس وهذاك الحمّام ! والآن يقال ان الجماعة سيبتدئون من جديد والحمد لله على السلامة . لا شك ولا شبهة في أن هذه المسألة هي من المسائل « المعصعصة » ولكنا نعرف ان المسائل المعصعصة لا يفيدها لا عقل ولا منطق ولا سياسة ولا كياسة ، فلاجله يجب علينا أن نجد صورة حل جديدة ...

أنا أتذكر اننا عندما كنا أطفالا كنا اذا فقدنا شيئا وفتشنا عنه فلم نجده نأخذ خيطا ونعقده ـ « عقدة ونصف » ـ ثم نرميه على الارض ونبتدىء نصرخ : « يا ابليس حل الكيس مو مالنا . مال الناس ! » وكنا هكذا نبقى نصرخ ونكرر هذه الكلمات الى أن ابليس يصير رأسه مثل الطبل من هذه « الدوشة » ويرمي « الام ستة فلوس » أو « الودعة » المفقودة ... وكنا حينئذ نجدها في احدى الزوايا .

فالآن المسألة المعهودة لا بد من أن لابليس اصبعا فيها . اذ ليس من المعقول أن تصبح معصعصة بهذه الدرجة لا سيما ونحن الحمد لله حلفاء

وأصحاب ونموت حبا في بعضنا ... لاجله لا أرى بأسا اذا جربنا هـــذه المرة مسألة الخيط المعقود .

فعلينا أن نعقد خيطا ونرميه على الارض ونأخذ بأيدى أصحابنا ونعمل حلقة على شاكلة حلقة ذكر مصري . ونتوكل ونصيح قائلين :

« يا ابليس حل الكيس » الى أن يـــدوخ رأس ابليس ونفســه تلعب وتنحل المسألة ! ....

أنا متأكد ان رجال اليوم قد جربوا هذه العملية عندما كانـــوا أطفالا بالامس وبما ان المجرب أحسن من الحكيم فعليهم الآن أن لا يترددوا وأن يكرروا تلك العملية خدمةً للوطن ... « وليش لا ؟ »

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١١ آيار ١٩٢٩ .

المنجـــم وابنـــه*

[المحسوبية والحزبية والقرابة كانت العامل الاكبر فى التوظيف وملء الشواغر المرغوبة ـ أما المقـــدرة والكفاءة وحسن السلوك فكانت تعد من الامـور الثانوية لا تحل ولا تربط .]

مسألة المحسوبية والخاطر موجودة فى جميـــع البلدان ، لان الانسان مفطور عـــلى الحب ، والحب أنواع وأشكال : حب الاهـــل والاقرباء ، حب الاصحاب والاصدقاء ، حب الدراهم والهدايا حب الكشخة والنفخة الخ ... غير ان الحب مهما كان نوعه يجعل الانسان يقدم ويؤخر من غير حق . لان معلومك ان الحب شيء والحق شيء آخر ... فالامور الغريبة العجيبة التـــى نراها فى مسائل الموظفين ناشئة من هـــذا « الزاغور » أعني « زاغور الحب »

نرى مثلا رجلا مستقيما عنده شطارة ومقدرة وكل الناس تشهد فيه « خوش آدمي » ، ولكن مع كل ذلك يقضى أوقاته « بصيد الذبان » لانه لا يقدر أن يحصل على وظيفة . واذا ربك ساعد ووجد وظيفة يبقى طول عمره « يرنده صاي » مع انه يشتغل ويسعى مثل « حمالة الحطب » ! ـ لماذا ؟ ـ لانه ما عنده « ظهـــر » !

ثم نرى رجلا آخـــر مخه ثخين ، وعنـــده « قارش وارش » ويأكل الخنزير من خلفه ، ولكنه مع كل ذلك ، عنده وظيفة « مال أوادم » ويـــده « طامسة فى الدهن » لان ظهره مسنود ، والذى ظهره مسنود لا خـــوف عليـــه .

قلت ان هذه العلة موجودة فى جميع البلاد ولكن بعض الناس يطلعون المسائل من الباب الآخر ويتجاوزون الحدود .

واذا استمر بنا الحال هكذا ، ربما صرنا نشبه ذلك المنجم المشهور الذي

كان فى معية أحد السلاطين فى الزمن القديم . فالمنجم المذكور كان عائشا مع الطفيليين فى سراي السلطان ولكنه كان طماعا جدا ، وعليه أراد أن يجد وظيفة لابنه فى البلاط . وهذا الولد كان « طرطور سرسري » بكل معنى الكلمة . غير ان الاب الخنون صار يسعى ويتوسل ويقبل الايدى والاقدام حتى تعين الابن المحروس معاونا لابيه فأصبح « معاون منجم السلطان » .

ووظيفة المنجم الوحيدة كانت بلف أمير المؤمنين . فكان المنجم يذهب كل يوم الى السراي وينجم عن حالة الهواء لليوم الثانى . وكان دائما يأخذ جائزة اذا صدق . ولاجل تأمين المصلحة صار يرسل ابنه أيضا كل يوم الى البلاط مع التعليمات اللازمة . فكان الابن يقول دائما ضد ما قال الاب . فاذا قال الاب المنجم « بكرة مطر يا أمير المؤمنين » يقول الابن المعاون « بكرة شمس يا أمير المؤمنين » . والذى يصدق منهما كان يربح الجائزة وهكذا أصبح شغلهما « مسوكرا » وكانا « مبربعين » دائما طلعت الشمس أم لم تطلع !...

اذا صارت مسألة الوظائف عندنا على هذه الصورة فعلى الدنيا السلام ؟

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٨ آيار ١٩٢٩ .

(١) مسوكر ـ من الكلمات الاجنبية التى دخلت العربية ومعناها مضمون أو المؤمن عليه .

الطبقــة المديرة*

[ان مسؤولية ما حل بالعراق مـــن تبلبل وفوضى وتساهل تقع بالدرجـــة الاولى على أكتـاف الطبقة المديرة التـــى تدعى المقدرة والثقافة ... فالانانيـــة كانت القائد الاساس لتلك الطبقة الحاكمة، هذا اذا استثنينا النخبة المجاهدة المؤمنة التى كافحت وقاومت وان كان قليـــل عديدها .]

منها يأتينا الخير والشر !

لكل حركة من حركاتها انعكاس شديد فى حياة البلاد ومستقبلها !

هى التى ستقدسها أم ستعلنها الاجيال المقبلة !

هى كالرأس بالنسبة الى الوجود ...

ان كانت هذه الطبقة مخلصة وقوية وسالمة من الامراض الاجتماعيـــة ، فالشعب يسعد تحت ادارتها ويرتقي . وان كانت ضعيفة الاخلاق ، قليلـــة الاخلاص فالشعب يشقى ويمرض ويموت ويدفن وتقرأ عليه الفاتحة ...

فعلى الشعوب أن تدرس حالة مديريها . وعليها أن تقرأ فى أعمق خفايا قلوب اولئك الرجال الذين أخذوا على عاتقهم ادارة شؤونها وبيدهم حياتهـا ومماتهـــا ...

ما هى « الطبقة المديرة » ؟ وما هى أمراضها الاجتماعية ؟

ـ الطبقة المديرة عندنا هم « الخواص » وهذه كلمة عامة تشتمل عـلى الحكومة مـع كل أركانها وموظفيها ، وعلى الاعيـــان والنواب والرؤســـاء والصحافيين والمحامين والاطباء والتجار والكتاب والادباء وأساتذة المدارس وتلامذة المدارس العليا وعلماء الدين الخ ... فهؤلاء (الخواص) يديـرون أمور الشعوب ـ السياسية والاجتماعية حسب القواعد والنواميس التى خلقتها

المجتمعات البشرية • أما أمراض « الطبقة المديرة » عندنا فهى كثيرة واليك المهم منها :

١ ـ «الوطنية الكاذبة» • وهذا مرض نشأ عندنا من بعد «الاستقلال»• والمبتلون بهذا المرض وهم كثيرون لا يحصى عددهم ـ يعملون كل شيء باسم الوطن وحبا للوطن • يأكلون ويشربون ، يلفلفون ، ويدعبلون ، ويلعبون ، ويتقلبون مع الهواء باسم الوطن وحبا للوطن ••• وكم هناك من الذين يخدعون الناس ويكذبون ويرتكبون الخبائث باسم الوطن وحبا للوطن • وكل حركة من حركاتهم هى ضربة قتالة فى قلب الوطن المسكين فهم فى الحقيقة ، لا يهمهم الوطن ولا الشعب ولا البشر بأسره ! هم لا يحبون سوى المنافع الشخصية •

٢ ـ « الجبن الاجتماعى » • أقول «الاجتماعى» لكيلا يحصل اختلاط مع الجبن العصبى فبعض الناس يخافون من الجريدى وبعضهم من « السعلوة » وبعضهم من « فريج الاقرع » •••

فهذا الخوف العصبى لا يهمنا هنا •• أما الجبان فهو الذى يفقد عزة نفسه ويتذلل ويتبصبص على ترتيب « كل ما يقول لك الصاحب ••• قل ••• يس » فلم تبق عنده شخصية ولم يبق له أثر من الاباء ••• ومنشأ هذا المرض هو الطمع •••

فالجبان الاجتماعى يرتكب أكبر الخبائث لاجل نيل مقصده ••• وعندنا ـ مع الاسف ـ من هؤلاء « الرجال » عدد كبير ، نراهم كل يوم وفى كل مكان •••

٣ ـ (الرعونة) وهذا مرض قديم لم نزل نراه فى كثير من الرجال ••• والمبتلي بهذا الداء يكون على الاكثر عقله « ترللي » ويفتكر فى نفسه (الله من فوق وهو من تحت) فهؤلاء المساكين يفضلون الالقاب الضخمة

والكبكبة والطنطنة على الأعمال الجدية المفيدة ... فهم يعدون الناس بمواعيد خلاّبة . غير ان كلامهم كله لغوة فى لغوة .. يصح فى هذه الجماعة قول الشاعر الالمانى « غوته» المشهور : « تظن فى نفسك انك تقود ، ولكنك انت فى الحقيقة المقود » .

٤ ـ (عدم الثبات) . هذه علة قتّالة . لقد ابتلي بها الكثير من الطبقة المديرة . فترانا فى كل أعمالنا الكبيرة والصغيرة لا نقدر أن نثبت أو ننهى ما بدأنا ... نحن نستعجل ونرتبك فى بادىء الامر .. ولكن نبرد ونترك ذلك الامر قبل الختام .. فهذا نقص كبير جدا وخطيئة لا تغتفر !...

٥ ـ (الكسل) وهذا داؤنا الاكبر ! العطالة أم السفاهات .. اذهب الى المقاهى والاوتيلات والى المجالس الخاصة ترى الشبان المنورين والمتجددين ، والشيوخ المحافظين وغيرهم من الافندية والبگوات والباشوات جالسين يقتلون أوقاتهم اما بلعبالبوكر والرامي ، واما بسوالف مكسرة لا نفع منها ولا فائدة ... فالعطالة هى التى سببت انتشار القمار والسفاهة ، بين صفوة الخواص على اختلاف أنواعهم ومسالكهم ... بينما الفلاح يسعى ويكد والعامل يشتغل ليلا ونهارا ، نرى اولئك « المنورين » يأكلون ويشربون وينامون ويلعبون ... فاولئك (المنورون) هم جراثيم الامراض الاجتماعية ، فهم المسؤلون عن فساد أخلاق الشعب وانحطاطه . وهم الذين قال الله تعالى فيهم « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فدمرناها تدميرا » . هذه بعض أمراض « الطبقة المديرة » التى أخذت بيد شعبنا المسكين لتنجده وتوصله أعلى أوج الرقي والرفاه والسعادة !...

ليت شعري كيف تتمكن من هذه الاعمال الجليلة اذا كانت هى مريضة مشلولة ؟ فالشعب العراقى ينظر اليوم بعين دامية الى (الخواص) .. فى حين ان البلاد منكوبة بنكبات التأخر والفقر والجهل والخسران ... الحالة مظلمة ،

والاستقبال مجهول ... ومع كل هذا لا تهتم الطبقة المديرة جد الاهتمام ، ولا تتململ ، ولا تتزحزح !...

الشعب الجاهل المسكين يتحمل كل ذلك ، وسوف يتحمل كل ذلك ، ولكن اذا كان لكل يوم حساب فلابد أن يحظى (العوام) بيوم يحاسبون فيه (الخواص) ويطالبون الطبقة المديرة بحقوقهم المهضومة .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي فى ١ حزيران ١٩٢٩ .

رب يسر ولا تعسر*

[كان لانتصار حزب العمال فى انكلترة بعد انتخابات سنة ١٩٢٩ أثر بعيد في جميع العالم المرتبط بشتى الروابط مع بريطانيا . حاولت فى هذه الكلمة التحذير من التفاؤل الزائد والتشجيع على المطالبة بحقوقنا المهضومة]

فى سنة ١٩٠٠ لم يكن فى (بيت العوام) البريطانى سوى نائبين من حزب العمال وهذه السنة عدد (العمال) فى المجلس نحو الثلثمائة ! وهى مظفرية عظيمة للعمال الدمقراطيين وخسران مبين للمحافظين الذين خلقهم الله تعالى ليحافظوا على أموالهم وعلى أموال غيرهم ... علامة خير لكل من له علاقة مع الانكليز .. علامة خير لكل الدنيا .. انتصار الدمقراطية المرنة على الشدة والظلم .. انتصار الحق على القوة .. نحن لا نجهل ان الانكليزى ـ مهما كان حزبه ومهما كان نوعه ـ مفطور على حب الاستعمار والاستعباد . غير ان (السوسياليست)[1] الانكليزى هو أليف وأنعم من أخيه المحافظ ...

فالمحافظ (خشمه) مرتفع الى السموات ودمه أبرد من الزمهرير بينما الاشتراكى (يأخذ ويعطي كلام) ويتأمل الانسان أن يفهمه « درده » !

قد يطرب اليوم لغالبية العمال قلوب البشر ـ طبيعى ما عدا المحافظين ـ لان الاكثرية يعتبرون هذه الغالبية بمثابة الفجر لصبح الحرية والعدالة اللتين كانتا قد دفنتهما السياسة الاستعمارية الغربية منذ عدة عصور ... لهذا السبب يرتاح لظفر العمال الكثيرون من الذين لهم علاقة مع الامبراطورية البريطانية. وطبيعى ان هذه العلاقات تختلف وتتنوع . فمنها الاستعمار ومنها الانتداب ومنها التحالف ومنها الوصاية ومنها الحب لوجه الله تعالى ... فكل هذه العلاقات هى عبارة عن سلاسل وأغلال ربط بها المستعمرون أيدى الشعوب

(١) Socialist أى اشتراكى .

الضعيفة ليملكوها ويستثمروا ما عندها ! ...

سوف لا يحصل تبدل كبـــير فى السياسة الخارجية البريطانية بارتقاء العمال منصات الحكم . فهم بلا شك سيحافظون على كل شبر أرض وعلى كل درهم من مال ، وعلى كل ذرة يستلمونها من أسلافهم المحافظين !

أولا : لان أكثريتهم ليست مطلقة .

ثانيا : لان الشعب الانكليزى لا يعد من الشعوب الاشتراكية . فالانكليزى قد خلق محافظا أما اذا أصبح اشتراكيا فلا يكون فى الحقيقة سوى محافظ معتـــدل ! ... ففى هذا الاعتدال آمال الكثيرين ، وفى هذا الاعتدال علامة الخير ... فيمكن مثلا للمصريين أن يطالبوا العمال بعض حقوقهم . وليس من المحال أن يرجع البرلمان المصرى والوفد الى الحكم وهكذا تحصل مصر على حريتها المحـــدودة التى زالت بمنازعات بعض أبنائهـا ودسـائس الحكــم « المحافظ » ...

ونحن أيضا سوف يمكننا أن نبسط قضيتنا أمـام العمال الدمقراطين ، ولربما تحصل على قسم من مطالبنا وحقوقنا ، وليس من المحال أن يتساهـل العمال مع رجالنا اذا أثبتنا لهم اننـــا مظلومون ومغبونون ، واننا مخدوعون ومفرهدون ، وان أرواحنا وصلت الى خشومنا . فعسى أن يستفيد رجالنا من هذه الفرصة ، وعسى الله أن ييسر لهم أمرهم ويحل عقدة من لسانهم ، ويقوي قلوبهم كى يتكلموا ويطالبوا ولا يخاف بعضهم خوف الاطفال من «السعلوة» ، ففى هذه الدنيا « الذى يقوي عينه يأكل پلاو [1] والذى ينتظر الرحمة يموت جوعا » ... فعلينا كلنا أن نسعى ونطالب بحقنا بكل الوسائل فالسعى هـــو الواسطة الوحيدة للنجاح .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٥ حزيران ١٩٢٩ .

(٢) پلاو ـ كلمة أعجمية معناها الرز .

« المتخـــــدرون* »

[كلما نشط الاستعمار في بلادنـــا
ازداد عـــدد المتساهلين المتخدرين فـــي
الطبقات المديرة . هذه صرخة في وجـــه
اولئك المائعين الخاملين .]

لا لوم على العراقيين الاحرار الذين جعلهم اليأس يتأوهون ويتحسرون لانه قد كتب عليهم أن يخلقوا أو يعيشوا في هذه البلاد التعسة الحظ ... هذه البلاد التي عجز أولادها عن القيام بواجبهم نحوها فأصبحت معرضةً للبـــلايا الطبيعية والمصطنعة !... معرضـــة للضربات واللطمـات ! معرضـــةً ـ ويـا للاسف ـ «للكفخات والتفلات كرأس اليتيم» . العراق يذكرنا اليوم بمصر ، يوم كانت بيد فرعون وقد أرسل الله اليها موسى ومعجزاته العشر ، فصير مياهها دماً وأنزل عليها البرد والنار والتـــراب والرماد والجـــراد ، وأهلك الزرع والضرع والاشجار وقتل كل مولود بكر .. فالذي رأته مصر قبل خمســـة آلاف من السنين يجري اليوم بشكل مصغر في عصر النور الوضاح وعالـــم الحقيقة الناصعة !...

فعندنا اليوم من كل بليـــة زوجان : الطغيان والعطش ، والانتـــداب والاستعمار ، الفقر والسفالة ، الجراد والطاعون ، البرد والتراب ، الـــذل والاسارة ، النفاق والشقاق ، الكسل والتخدر ... الخ ... فكيف لا يتأوه اذن العراقي الحر ؟ كيف لا يتحسر ـ برغـم خشمه ـ لكونه عراقيا ؟ كيف لا ينفطر قلبه تألما من رؤية بلاده في هذه المحن ؟ كيف لا يتمنى أن يكـــون له وطن غير وطنه المنكود الحظ ؟ ... وقد رأى العراق من العز والرفـــاه والعظمة ما لم يره قطر آخر من العالم ، لا من قبله ولا من بعده !

ورأى أيضا من الذل والشقاء أياما معدودات في زمن المغول ولكنه لم ير حتى يومنا هذا حالةً غريبة كئيبة كحالته الحاضرة !...

فهو لم يتعود أبدا هذا التذبذب بين أيدى الغرباء والدخلاء ، ولم يكن له أبناء كأبناء اليوم « المتخدرين » الجامدين الذين لا طاقة لهم على أن يدافعوا عنه وعن كرامته • فهم ـ والحالة هذه ـ يجبرون العالم النشيط على أن ينظر اليهم نظرته الى الصم البكم العمي الذين لا يفقهون ! مسكين أنت اليوم أيها العراق !•• وتعيس أنت اليوم أيها العراق الحر !•• وأسفاه !•• واحرقة قلباه !!!•••

قبل سبعة أعصر كان قد هجم علينا المغول على يد هولاكو فقتلوا ونهبوا وهدموا •• فنحن لا نعاتبهم على ذلك لانهم كانوا وحوشا بكل معنى الكلمة•• لا نعاتبهم لاننا لا نقدران نعاتب الحيوانات المفترسة على أعمالها • ولكن الآن نحن فى عصر المدنية والرقي ••• نحن مستقلون ••• نحن محالفون لاكبر وأعظم وأغنى أمة فى العالم • فما معنى هذا التقهقر يا ترى؟ فما معنى هذا الموت البطىء فى حين ان الشعوب الاخرى كلها ناهضة تمشى بخطوات واسعة نحو الحياة والرقي ؟

أهذا هو كل الاستقلال الذى أفدى لاجله العرب أموالهم وأرواحهم ؟

ان الحر وكل حر يفضل بلا شك سيوف المغول ورماحهم على هذا الموت البطىء • على هذا السم المخدر !

لدينا مع الاسف فى طول البلاد وعرضها من جعل الله غشاوةً على أبصارهم فصاروا لا يفرقون بين العز والذل وانتفخوا وظنوا أنفسهم أسودا لانهم يتعيشون بفضلات السباع ••• فهل من بلية أشد سوادا من هذه ؟ •••

أجل ان الحر وكل حر يفضل الاعادى المتوحشين على الاصحاب المخادعين والاخوان المتذللين ، ومما يزيد الآلام ويفتت الاكباد هو ازدياد عدد « المتخدرين » عندنا فى كل يوم فأصبح هذا الداء يفتك كفتك الوباء بين صفوف الشعب ولا سيما ذوي الكلمة والجاه • فيجب على (المنبهين) أن

يكافحوا بكل قواهم هذا الداء كي لا نصير من أولنا الى أخـــرنا مصابـــين بالنعاس والسبات ... فليأخذ البصير منا بيد الاعمى ، والعالم بيد الجاهـــل والغنى بيد الفقير والشاب بيد الشيخ والصادق بيد الكاذب ، واليقظان بيـــد النعسان ولنمشِ كلنا ـ يدا بيد ـ نحو النجاة ...

فالخير لا يأتينا عفوا ، لا من السموات ولا من الحلفاء ولا من (المتخدرين) ... انما علينا أن نخلص أنفسنا بأيدينا وذلك قبل أن يتسع الخرق عـــلى الراقـــع !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٢ حزيران ١٩٢٩ .

عندنا جوز ولكن ليس لنا اسنان*

[تكون النعمة نقمة أحيانا اذا كفرنا
بها ولم نحافظ عليها وندافع عنها من
كيد الخصوم وجشع الطامعين .. فنصبح
كالذى عنده جوز وليس في فكه اسنان .]

عراق اليوم يشبه ذلك الشيخ « المگرگم » الذى أعطاه الله جوزا بعد أن قلع كل أسنانه فصار يتحسر ويتألم ... فنحن أيضا عندنا الجوز واللوز والبندق والفستق ولكن مع الاسف أسناننا ركيكة و « مطرقعة مثل كاروك أم المصايب » لاجله صرنا نمصمص القشور فقط « على الملوحة » بينما أصحابنا وحلفاؤنا وجيراننا والذى يعرفنا والذى لا يعرفنا أخذوا « يكرزون » ويأكلون هنيئا مريئا ... « عوافي وماء صافي !.. »

هذا شغل ربك ، وهو تعالى العليم الحكيم ! أما السر فان أدركناه أم لا ، فعلى كل حال « يتعب أبو كلاش ويأكل أبو چزمة » . عندنا المياه العذبة والاراضى الخصبة وآبار البترول الزاخرة ، وعندنا « استقلال » ورجال أذكياء وحكومة دستورية ومجالس عليها العمل ... وعندنا (مرشدون) ومعاونون ومفتشون ... وعندنا ألف شيء آخر .. ولكننا مع الاسف لا نستفيد من كل هذا ! ولا نعرف أن نستفيد منه ومن غيره ... وتلك النعم كلها انقلبت فصارت نقما وبلايا !...

نحن نعطش فى الصيف ونغرق فى الشتاء . الاراضى الخصبة التى كانت فى الامس كجنة عدن ما هى الآن الا قفراء خاوية لا نبت فيها ولا انس ولا جان ...

والبترول ــ ذلك الذهب السيال ــ وهو فى يد الغير ، وصار أحد أسباب شقائنا اذ لولاه لما لزق بنا الغير كما يلزق القير بجزة الخروف يمنعوننا من أن نتململ أو أن نتنفس ... والاستقلال على العين والرأس ! ولكن القبض ؟

ـ فاستقلالنا يشبه السراب الذى يغش العطشان ويجعله يركض وفى النتيجة يقتله من العطش ....

ورجالنا المخلصون هم « بركة » ولكن القسم الاعظم منهـــم يشتغلون الرياح. أما غير المخلصين فهم أيضا كثيرين . ويستعملون ذكاءهم فى الباطل ، ويركضون وراء غاياتهم المعينـــة . وطبيعى انهم لا يدخلون فى الحساب لان حسابهم غـــير حساب ! ويا لذلهم وخسارتهم يـــوم تسود وجوه وتبيض وجـــوه ...

والاساليب الدستورية والطـــرائق الدمقراطية أقـــول فيها ـ وأنا فى زوريخ ـ « اسمع بالمعيدي خير من أن تـــراه » لان السمع ليس كالعيان . ومن بعيد يظن الانسان ان (ماكينة) التدبير عندنا هى تشتغل مثل الساعـــة والحكم والامر والنهي بأيدينا ـ .

ولكن فى الحقيقة ان ساعتنا موجودة وهى فى أيدينا ، ولكن « الزنبلك » نراه فى يد الغير ....

أما الاستشارة والارشاد الذى يقال فيه :

« لولاه لانقلبت الارض على السموات » فانه بقي مسماه فى واد واسمه في واد فيا لهذه المغالطة ويا لهذا الشذوذ السائر الى الازدياد .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ حزيران ١٩٢٩ .

فلسفة أم اقتصــاد*

[هنا ترى الفوضى الضاربة أطنابها
على السياسة الاقتصادية ... وزير المالية
يرفض استغلال موارد القير في الرمادي
لان أتاه الوحي من المستشار بذلك ...
كما انه أمر بتخفيض الرسوم الكمركية عن
الكماليات والتشديد على مهربي الملــح
حتى أجاز تفتيش جيوب النساء البدويات
القادمات من الارياف ... ولله في خلقه
شــئون !! .]

لا شك في أن كل من سمع بمسألة قير الرمادي تعجب واستغرب . أما أنا فلم أتعجب ولم أستغرب واليك الاسباب :

في كل بلاد الارض تكون السياسة المالية مبنية على أسس فنية ونظريات اقتصادية مثبتة وقويمة .. في كل بــلاد الارض غاية السياسة المالية هــي استثمار الموارد الطبيعية التي في البــلاد وتأمــين رفاه الشعب واستقلاله الاقتصادي ...

في كل بلاد الارض وزراء المال ينتخبون من بين المحنكين في الاقتصاد ومن بين اولئك الابطال الذين يأخذون من الحافي نعلا !

هذا ما هو في بلاد الارض كلها ما عدا العراق ! فعندنا كل شيء له شكل غريب ووضع شاذ . فسياستنا المالية مستندة على نظريات « فلسفية » غريبــة في بابها لا يفهمها الا الراسخون في « التفلسف » منها مثلا نظـرية تخفيض رسوم البودرة والحمرة والعطريات الاجنبية لمنع التهريب ؟!... ونظــرية وضع رسوم باهظة على الملح وتفتيش المرأة البدوية التي يمكن أن تحمل في جيوبها « ! ! » عشرات الكيلوات من الملح مع ان في ثوبها لا يوجد ولا جيب واحــد !...

ونظرية زيادة رسوم التتن العراقي لاجل تشجيع زراعته ؟ ... ونظرية

البقرة الحلوب؟... ونظرية فساد معدة الفلاح من أكل الدجاج والزبدة؟!.. ونظرية تنوع الاعشار من تخمين وذرعة وتعداد ومقطوع !... ونظرية عدم وضع رسوم كثيرة على المشروبات الروحية الاجنبية حتى يمكن لكل أحد فى العراق أن يشرب الويسكى والجن ... نظرية جلب بغال من الاندلس لاصلاح «خلقة» بغال العراق ؟! ... ونظرية تقديم الاكراميات والتعويضات ليس الى علو وجلو ولكن الى من هو كبير كالمستر «براش» بعد ثبوت عدم الفائدة منه وعدم قيامه بواجب الوظيفة !!... هذه ومائة نظرية أخرى مثلها هى الحجر الاساسى فى سياسة الاقتصاد العراقية !

أما استثمار الموارد الطبيعية عندنا فمسئلة فيها نظر وغرامنا هو بسيط جدا وأساسه هو الكرم الحاتمي لخاطر الشركات الكبرى ... فنحن نعطي لهذا النفط ونعطى لذلك الارض والماء ... وأما المعاشات والهدايا والمخصصات التى تستحق علينا لهذا وذاك فلم يسمع الانسان بها حتى ولا فى ألف ليلة وليلة ! أما معالي وزير المال عندنا فالداعى وان لم أتشرف بمعرفته شخصيا غير اننى – حسبما سمعت وقرأت فى هذا الموضوع – أظن انه فيلسوف بحاثة أكثر من كونه عفريتا فى الاقتصاد . لاجله داعيكم لم أتعجب عندما قرأت فى الجرائد ان معاليه يجيز أن يقلبوا اعلى الرجل الذى تعامل – بمقاولة رسمية – على شراء ٢٠٠ ألف طن من القير فى الرمادى ... لم أتعجب لان أفكار الفيلسوف ليست كأفكار التاجر .

يقال ان عمل معالي الوزير هذا لا يأتلف مع العدل وقانون التجارة . ويقال أيضا انه ليس من شأن أى وزير أن « يضرب دبّه » كهذه أو غيرها ، فى المعاملات لان ذلك يخل فى سمعة البلاد . ويقال أيضا ان الخزينة العراقية وعرب الدليم محتاجون كل الاحتياج الى الالكاك الكثيرة من الروبيات التى ينفقها مستخرجو القير ومشتروه والنواب والصحف أقاموا القيامة على رأس معاليه ... ولكن الله لا يستحي من الحق ... الناس فى هذه المسألة

مخطئون ومعتدون « والله على اليعتدي » فالناس والصحف أثبتوا ان في هذه الامور العميقة نظرهم قصير جدا ...

فهم نسوا النظريات التى بنيت عليها سياسة البلاد المالية . وفوق ذلك نسوا أيضا ان معالى وزير المال له نظر غير نظرهم فى هذه القضية ...

فهل يليق للفيلسوف أن يتدخل ويبيع ويشتري المواد الوسخة كالقير والزفت والنفط ؟ . لاجل هذا أظن ان معاليه رأى من المناسب أن يجيز القلب على المشتري ـ بالوجه الذى يريده معاليه وبارشاد فلسفة الفن ـ فتخلص بذلك سمعة العراق من الاتجار بالمواد القذرة الكريهة كالقير والزفت ... وتخلص أيضا بعين الوقت خزينة العراق من ألكاك الروبيات التى هى فى نظر الفلاسفة « وسخ الدنيا الدنية » !

فاذا كان الناس لا يفهمون هذه النظريات فالذنب ليس على الوزير ! فالرجل ـ الحق يقال ـ عمل الذى عليه . والناس لا يخجلون ولا يستحون . وأنا لو كنت الآن وزيرا لجلبت فى الحال من اسبانيا أو من ألهماوند دوزينة « فلاسفة » لاصلاح جنس البشر فى العراق .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٦ تموز ١٩٢٩ .

اقتـــراح*

[هذا اقتـــراح على أمانـة العاصمة
لتبديل أسماء بعض الشوارع والمؤسسات
الغربية بأسماء عربية لاننا اذا تأخرنا فى
كل شيء عن غيرنا على الاقل لا يستطيع
أحد أن يسبقنا بأمجاد الماضى وأسمائه
الخالــدة .]

ربما تبتسم أيها القارىء من هذا العنـوان وتقول فى نفسك : « مسكين أبو شرارة من يسمعك ومن يدير باله على اقتراحك واقتراح غيرك فى هـذا البـلد ؟ » .

ـ الحق معك أيها القارىء ! ووداعيك لا أجهل ان الاقتراحات عنـدنا سواءً كانت فى المجلس أم خارج المجلس . وسواءً كانت مفيـدة أم غـير مفيدة ... أمرها لا يمشى ولن يمشى الا اذا قطع عقل « الصاحب » فيها ... فطالما عقـل « الصاحب » ما يقطـع يبقى كل اقتـراح « عطسة » فى سوق الصفافير . والعلاوة التى فوق الحمل هى عادات بعض رجالنا الذين يجرون بالطول والعرض ويعمون العين اذا أرادوا أن يكحلوها ...

أنا أعرف كل هذا وأعرف أكثر من هذا ولكن أريد ان أتوكل عـلى الله وأقترح مع المقترحين اقتراحا جزئيا ... المسألة حظ يانصيب ! ولكن عندى « شوية » أمل لان اقتراحى ما يكلف ولا آنة واحدة . وبما انه بسيط جدا . فلا يحتاج الى مناقشـات ، ولا الى اجتماعات فوق العـادة ، ولا الى خطب رنانة ، ولا الى لجان ، ولا الى استشارة ولا الى طبل وزمارة ، ولا الى حبل وقنارة ...

اقتراحي لا (يغث) الوزراء ، ولا يزعـل النـواب ، ولا يقلق بال المرشدين والاصحاب .. اقتراحى أقدر أن أقول فيه « رخيص وكويس » . لاجله يمكن أن يمشى والتسهيل على الله !..

هذا هو اقتراحي ومن الممكن أيضا ليس هو مبتكرا أو جديدا ..

نحن العراقيين ـ والحمد لله ـ ضيعنا « الاكو والماكو » في ساحة الماديات . وأصبحنا صفرا في ساحة المعنويات . ولكن بقى عندنا شيء واحد .. بقى هذا الشيء الوحيد عندنا لاننا لا نقدر ان نفقده ... هذا الشيء الوحيد هو ماضينا ، ذلك الماضي الذي فيه من المجد ما لا يملك مثله الا بعض الاقوام ...

ولكن مع الاسف نحن نزلنا الى آخر « پايه » من التذبذب فنسينا ذلك الكنز الثمين أي نعم .. نسينا ماضينا ، نسينا أجدادنا ، نسينا تلك الاسماء الجليلة كلها !

عار علينا أن يكون في بغداد اليوم أسماء عجمية مكسرة . وأن لا يكون اسم واحد يذكرنا أيام عزنا ومجدنا ! ...

عار علينا أن يكون في عاصمة العراق الناهض : « القاطر خانة » ، « العباخانه » ، « الاكمكخانه » ، « السنك » ، « القراغول » ، « قره شعبان » . وغيرها من الاسماء المكسرة بدلا من أن يكون عندنا مثلا : « شارع الرشيد » ، « محلة المأمون » ، « مستشفى ابن سيناء » ، « جسر الطاهر » و « مدرسة الغزالي » الخ ... الخ .. من الاسماء التي يحق للعراق وللعرب أن يفتخروا بها ...

عار علينا أن يكون عندنا : «رويال سينما» و « سنترال سينما » و « كراند اوتيل » و « ماجستيك » و « وولنكدن » وغيرها من الاسماء التي تدل على قلة ذوق بعض المقلدين الذين يظنون أنفسهم متجددين بدلا من أن يكون لنا : « سينما ابن رشد » و « حديقة الفارابي » و « فندق أبي نؤاس » ، وغيرها من الاسماء الكبيرة الكثيرة التي تفيدنا في ساحة المعنويات ...

فلذا انني أقترح ، مع لفيف المقترحين ، على أمانة العاصمة أن تستبدل

جميع « الأسماء المكسرة » بأسماء تاريخية جليلة ، فتصبح بغدادنا الحديثة مع فقرها وتأخرها عن أخواتها من البـــلاد والعواصم لا تخجل ولا تحمر ... انما تهش وتبش مفتخرة بأن فيها على الاقل « أسماء » جميلة لا يملكهـــا غـــيرها !..

* نشرتها جريدة العالم العربي فى ١٤ تموز ١٩٢٩ .

وسلطنا بعضكم على بعض*

[هنا درس حول وضع أوربا الاقتصادى بعد الحرب العالمية الاولى. ومما يلفت النظر الاشارة الواردة فى سبيل تأسيس «الحكومات العربية المتحدة» وكان ذلك قبل ٣٦ سنة .]

كما سلط الله « البزون على الجريدي » والغرب على الشرق والبيض على السود ، والجراد وغيرالجراد على العراق ، ووزراء المال على دافعي الضرائب ـ سلط ، سبحانه وتعالى الآن « أمريكا » على أوروبا ... لحية «أوروبا» هى الآن فى يد أمريكا وهذه صارت تجرها وتعرها وتنتفها كيفما أرادت هذا لان «أوروبا» مديونة لامريكا وطامسة فيالديون «قامة ورفعة يد» ومع ان أمريكا تساهلت مع الحلفاء وعفت عن قسم كبير من ديونهم لها ـ مثلا عفت عن ايطاليا ٧٥٪ من أصل ديونها و٦٠٪ من ديون فرنسا و٢٥٪ من ديون انكلترا ـ فهؤلاء لم يزالوا تحت أثقال الديون الباقية ، وألمانيا المسكينة التى خسرت الحرب صارت تسعى ليلا ونهارا وتدفع للغالبين وهؤلاء الغالبون يدفعون كل ما يقبضوه الىأمريكا على ترتيب « سَلِّمْ بَلِّمْ » . هذا التسلط الاقتصادى صار يشمل التجارة والصناعة الاوروبية ، وجعل حكوماتها تنظر الى أمريكا نظرة المفلس الى الغنى . ونظرة المحكوم الى الحاكم ، هذه الحالة أثرت كثيرا فى الرجال السياسيين فى أوروبا ولا سيما «فرنسا» . لاجله رأينا أخيرا المسيو « پونكاريه » يتكلم كل يوم من الصباح الى المساء لاقناع البرلمان على تصديق الاتفاقية التى تحسم مسألة الديون وتجعل فرنسا تتعهد لمدة ٦٠ سنة على دفع الاقساط التى تمثل الدين الباقى عليها .

أما البرلمان فيريد أن يضع بعض الشروط والقيود فى تلك الاتفاقية غير ان « الامريكان » لا يقبلون بذلك قائلين « هذا عيب ! قد تركنا لكم ٦٠٪ من

دينكم والآن تريدون « تضربون دَبَّه » على الباقى ! امضوا حالا والا نعلن افلاسكم » •

أما ايطاليا فقد سلمت للقضاء والقدر فأصبحت سياستها المالية تدار بدراهم « أمريكا » وظهرها الاقتصادى مستورا اليوم بدولارات « نيويورك » وأقل حركة تبديها يمكن أن تدهورها الى الافلاس و « انجلترة » هى فى وضع « بلاع الموس » فهى ساكتة وتدفع الملايين كل سنة الى الخزينة الامريكية وقلبها يحترق ولكنها تستحي من الناس •••

هذا الاستيلاء المالى جعل أخيرا المسيو « بريان » يفكر فى خلق «الحكومات الاوربية المتحدة» والمقصد من ذلك أولا تأمين الوحدة الاقتصادية ، مثلا توحيد نظام الجمارك وخلق الاسواق لاجل الصناعة الاوربية ومكافحة البلاء المالى « الامريكى » • وبعد الحصول على هذه الغاية الاقتصادية سوف يسعون على تكوين الوحدة السياسية وجعل (أوروبا) حكومات متحدة يرتبط بعضها ببعض كالحكومات الامريكية المتحدة • هذه وأفكار أخرى مثلها ترينا مليا شدة قلق الاوروبيين وخوفهم من أمريكا •••

فيا ليت تنتشر هذه الفكرة عند الاقوام الآسيوية والافريقية ليتحدوا هم أيضا فيما بينهم ، ويكافحوا الاستعمار الاوروبى • ويا ليت نحن العرب تستفيد من مثل هذه الدروس ونعتبر فنتحد ونقوى ويكون عندنا « الحكومات العربية المتحدة » •

هذه أوروبا العظيمة صارت الآن مثل « القرقص » تقوم وتقعد « تعنفص » و « تضرب ازواج » خائفة على مستقبلها لانها مديونة •••

فماذا نقول نحن الذين ضيعنا كل ما نملك فلم يبق لدينا سوى « عصاتنا وعباتنا »والله أكبر ؟

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٧ تموز ١٩٢٩ .

تصفية الحساب فى مؤتمر لاهاي*

- ١ -

[كتبت ثلاث مقالات متتالية في معالجة مؤتمر لاهاى الرامي الى تصفية معضلة التعويضات الالمانية شارحا موقف الانكليز وتخوفهم من تطور الاوضاع التى قد تؤدى يوما الى التقارب بين الالمان والافرنسيين وهذا بدوره يفتح بابا لاتحاد أوروبا ... الامر الذى كان لا يتفق مع السياسة البريطانية .

ان المتتبع لتاريخ ما بعد الحرب العالمية الاولى ومسألة التعويضات الالمانية قد يجد متعة فى مطالعة هذه الدراسة .]

لا نبالغ اذا قلنا ان مؤتمر لاهاى الذى انعقد قبل أربعة أيام هو أهم مؤتمر عقد من بعد الحرب حتى يومنا هذا .

لا شك ان مؤتمر فرساي كان مهيبا وعظيما جدا غير ان أساس المعاهدات التى أقرها لم تكن مبنية على العدل والانصاف ولاجله قبل أن تمر بضعة أشهر على تصديقها ابتدأ الخلاف والشقاق والنزاع بين الغالبين والمغلوبين وحتى بين الغالبين أنفسهم . هذا لان الغضب والحقد كانا اذ ذاك غالبين على حس الانسانية والرأفة فى قلوب الغالبين . بينما المغلوبون كانوا يرتجفون خوفا وقلقا . أما الممثلان لالمانيا فى ذلك المؤتمر وهما الهر (موللر) الرئيس الحالى للوزارة والهر (ارزبرجر) لم يذهبا لاجل المذاكرة والمداولة أو لاجل المناقشة والتفاهم ، بل ذهبا لوضع امضائهما على المعاهدة المشهورة . وكانت تحرسهما الشرطة مدة اقامتهما فى فرنسا خوفا من اعتداء الجمهور عليهما وكان فى حالة هياج شديد . ونزلا الممثلان فى فندق متواضع فى فرساي ينتظران أوامر الدول القاهرة .

وفى اليوم الثانى ذهبا الى مقر فرساى حيث دعاهما الحلفاء لاجل

الامضاء . وفي نفس ذلك الصالون ـ صالون المرايات ـ الذي عرف عظمة بسمارك عندما دخله ظافرا يملي أوامره سنة (١٨٧٠) دخل ممثلا ألمانيا المغلوبة الهر « موللر » والهر « ارزبرجر » يجران أقدامهما أمام عيون الوفود للدول المنتصرة ، التي كانت تحدق بهما من كل جانب . وكان الامر هينا صعبا .. فالاوراق ، أوراق الحكم على ألمانيا كانت حاضرة مرتبة تنتظر الامضاء . فوضع « موللر » اسمه تحتها بيد ترتجف ، وقدم الى زميله « ارزبرجر » قلما ذهبيا ليمضي به ، فألقاه رافضا ، وتناول من جيبه قلما من أقلام عامة الناس أتى به من منزله . بعد هذه العملية بقي الهر « موللر » أياما ثلاثة مريضا في السرير من تأثير تلك الدقيقة العصيبة ، ولقي المسكين الهر « ارزبرجر » الموت على يد المتطرفين من الوطنيين حين عودته الى ألمانيا .

أما اليوم وقد مضى دور فوران الدم وملت الناس عواقب الحرب ونسيت العشرة ملايين من الانفس التي ذهبت ضحية تلك الجناية المهولة . فمؤتمر لاهاي غير مؤتمر فرساي .

ان رجال الحل والعقد عزموا الآن على تصفية حساب الحرب تصفية نهائية على أساس المساواة والعدل والانصاف فأرسل المنتصرون وفودا متشكلة من أكبر رجالها يصحبهم جماعة كبيرة من الاخصائيين . وأرسلت ألمانيا وفدا لا يشابه أبدا ذلك الوفد الذي وقع معاهدة « فرساي » . اذ هو يتشكل اليوم من خمسة وزراء يرأسهم الهر « شتريزمان » ويصحبهم أكثر من خمسين اخصائي .

سيجتهد مؤتمر لاهاي ، في حل قضية التعويضات وتخلية «منطقة الرين » بصورة نهائية وينتظر ان الغالبين والالمان سيصرفون كل قواهم ليحصلوا على نتيجة مرضية حاسمة وبذلك تخلص أوروبة من الازمة المالية وترجع الصناعة والتجارة على ما كانتا عليه قبل الحرب فتتخلص من استيلاء « أمريكا » المالي الذي صار يزداد كل يوم .

واذا تم كل ذلك ستتكلم الوفود حول الاتحاد الاوروبي الذي سيكون مقدمة لاتحاد سياسي وخلق فكرة « الحكومات الاوربية المتحدة » ولكن !...

« زعيب خرّاب اللعيب » وزعيب هذا المؤتمر المهم هو انكلترة التي رأيناها هذين اليومين تتكلم بلسان مندوبها (سنودن) وزير المالية ، فتريد أن تهدم مشروع « يونغ » الذي هو الحجر الاساسي لمؤتمر لاهاي .

ما هي مقاصد انكلترة ؟

سنراها في المقال الآتي .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٦ آب ١٩٢٩ .

تصفية الحساب فى مؤتمر لاهاى*

- ٢ -

قلنا فى المقال السابق ان المستر « سنودن » الذى يرأس الوفد الانكليزى فى مؤتمر لاهاى هو « زعيب خراب اللعيب » فالحوادث أرتنا ولم تزل ترينا اننا لم نبالغ ولم نغالط .. المؤتمر هو الآن فى بحران عظيم ولم يزل على وشك الانفجار وذلك بفضل المستر (سنودن) الذى هجم من أول يوم على مشروع (يونغ) بكل مرارة وحرارة والذى استعمل كلمات قارصة وجارحة لا تستعمل أبدا فى المؤتمرات الدولية ولا تألف مع الاصول الدبلوماسية ...

ان المستر سنودن مثل حقيقة دور « لو دمى لو دمك » فى مؤتمر لاهاى ... مؤتمر تصفية الحساب ... مؤتمر الصلح والوحدة الاوربية .. عمل المستر سنودن هذا جعل الاعضاء الباحثين فى حيرة وأوقعهم فى ورطة مشكلة فصاروا يتعجبون من هذا الانكليزى ذى الدم « الفائر » ويرون فيه رجلا غريبا لا يشابه اخوانه الانكليز الذين اشتهروا ببرودة الدم وطول البال ...

هجم المستر سنودن فى بادىء الامر على مشروع يونغ هجمة قتّالة وطلب اعادة النظر فيه وتبديله وتعديله بصورة عامة غير ان الحلفاء الآخرين وقفوا كالبنيان المرصوص ورفضوا هذه المطاليب غير المعقولة ولما رأى المستر سنودن ذلك بيّن ثلاثة نقاط مهمة فى المشروع لايمكن للانكليز قبولهاوهى :

١ - مشروع يونغ يقضى على انكلترة أن تضحى بـ ٤٨ مليون مارك سنويا من حصتها فى التعويضات . فالانكليز ضحوا كثيرا حتى هذا اليوم . ومع ان الاخصائيين الانكليز قبلوا بهذه التنزيلات فالمستر سنودن لا يوافق على ذلك ويريد أن تبقى حصة الانكليز على حالها . واذا تجاسر أحد وأراد تنقيصها فهو سيترك المؤتمر ويطالب بأكثر ويفسخ المعاهدات القديمة و.. و..

٢ - ألمانيا تدفع سنويا ٧٥٠ مليون مارك تحت عنوان « التعويضات غير المقيدة » وهى مقابل التخريبات التى حصلت أثناء الحرب فى بلجيكا وشمال

فرنسا وللانكليز من هذا المبلغ ٨٠ مليون مارك وفى مؤتمر الاخصائيين قد انزل المبلغ الى ٦٦٠ مليون مارك وانكلترة تنازلت عن حصتها الزهيدة • واقتراح التنزيل بوقته كان قد أتى من قبل الاخصائى الانكليزى السر (ستامب) أما الآن فالمستر سنودن لا يوافق على ذلك ويريد ابقاء حصة الانكليز على حالها •

٣ ـ ان ألمانيا بموجب معاهدة فرساى تسلم كمية عظيمة من المعادن والمصنوعات الى الحلفاء تحت عنوان «التعويضات المادية» على حساب التعويضات الحربية هذا لانها لا تستطيع أن تسلم جميع مبالغ التعويضات كلها ذهبا ـ وهى ملياران من ماركات الذهب سنويا لمدة ٥٧ سنة ـ فمشروع يونغ مدد مدة التعويضات المادية عشر سنوات أخرى • أما المستر سنودن فلا يوافق على ذلك لان هذه التعويضات المادية توقف التجارة الانكليزية وتزيد الاخراجات الالمانية • وعلى هذا الترتيب ستعطى ألمانيا مليونا من الاطنان من الفحم الى ايطاليا • وستسلم المكاين والمراكب الى فرنسا وبلجيكا وغيرها من الحلفاء • وانكلترة ستبقى عاطلة عن الشغل !•••

هذه هى النقاط الثلاث التى تشكل السلاح الانكليزى فى مؤتمر لاهاى • فالانكليز لهم كل الحق ان يدافعوا عن مصالحهم ، غير ان الذين يسعون الى تصفية الحساب الاوربى وتأمين السلم العالمى يرون ادعاء انكلترة ليس فى محله ويقول البعض منهم ان الاخصائيين الانكليز قبلوا مشروع يونغ • ثم ان ثمانية واربعين مليون مارك لا تهجم بيت الانكليز ـ اولئك الانكليز الذين كانوا يدفعون مليون باون كل يوم فى زمن الحرب ـ والذى يريد الصلح والسلم العالمى يمكنه أن يضحى قليلا فى ساحة السلام • لاجله جميع السياسيين فى أوربا وأمريكا ـ ما عدا الانكليز طبعا ـ ينتقدون بكل اشمئزاز أعمال المستر سنودن وسعيه الى تخريب المؤتمر لاجل هذه الاسباب المالية !••

ولكن ••• الذى يدرس المسألة بصورة عميقة يرى ان هنالك سببا

آخر لم يذكره المستر سنودن وهذا السبب مهم جدا وهو سياسى لا اقتصادى ! ... ذلك ان الحساب اذا تصفى وفاز المؤتمر بالتوفيق والنجاح فسينشأ ائتلاف سياسى بين فرنسا وألمانيا وهذا يزعج الانكليز ولا يعجبهم ... فالانكليز يجب عليهم بأى صورة كانت أن يخربطوا الامور حتى تبقى فرنسا وألمانيا دائما فى خلاف وشقاق ...

هذا هو السبب الاصلى الذى جعل سنودن يقيم القيامة على بضعة ملايين من الماركات ... ان الحلفاء سيسعون الى ارضاء المستر سنودن فى ساحة التعويضات الحربية ولكن مع ذلك فالعلائم تدل على ان المؤتمر سوف لا ينجح فى أعماله لان الانكليز سيجدون حججا أخرى وسيعملون كل شىء لاجل أن يخربوا فكرة « تصفية الحساب » التى هى مقدمة الاتحاد الاوربى !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٤ آب ١٩٢٩ .

حـــول مؤتمر لاهاى

لم يزل مؤتمر لاهاى بين الحياة والموت ••• لم يزل يقترب كل يـــوم من الفشل ويبتعد عن النجاح • الظواهر ترينا ان أول ايلول سيأتى وسترجع الوفود بخفي حنين من غير أن توفق الى اقناع الوفد الانكليزى الذى يرأســه المستر (سنودن) • قلنا من أول يوم افتتح فيه المؤتمر ان المستر (سنودن) هو (زعيب خراب اللعيب) فهو حضر الى المؤتمر وفى نيته هدم أساس مشروع (يونغ) فان كان حتى الآن لم يوفق لهدمــه بكل معنى الكلمة ، فهو بـــلا شك موفق لتأمين فشل المؤتمر فى الوقت الحاضر •

ان مطالب الانكليز لا تساوى أكثر من ثلاثة فى الالف من الميزانيـــة البريطانية • وهذا ما جعل الناس يتعجبـون ويدهشـــون من تعصب المستر (سنودن) والحاحه فى الحصول على هذا المبلغ الزهيد ، الذى هو بالنسبة الى ثروة بريطانيا العظمى كنقطة فى بحر •

غير ان الراسخين فى السياســة الاوربية أخــذوا يبحثون عن السبب الحقيقى الذى جعل المستر (سنودن) يتصلب بهـــذه الدرجة غير ملتفت الى الصلح والسلم العالمى • فقال بعضهم ان للمستر (سنودن) ســياسة وغاية شخصية ، فهو يريد أن يتألق نجمه ، وأن يسطع اسمه حتى يحصل عـــلى تأييد حـــزبه واعجـاب أصحابه وبذلك يصبح رئيس الحـــزب بدل المستر « ماكدونالد » •

وادعى آخرون ان المسألة ان هى الا مسألة مبـدأ ، فالمستر (سنودن) أقام القيامة وأثار الضجة على مبلغ زهيد حتى يشهد للعالم البريطانى ان العمال الذين يتهمهم المحافظون بقلة الوطنية هم كغيرهم انكليز ، وهم كانكليـــز يحافظون على المصالح البريطانية •

وهنالك من يرى فى هذه المناورة احتجاجا ومظاهرةً ضد المحافظين الذين تساهلوا كل المساهلة فى مسألة الديون الحربية مع فرنسا ، ولا سيما مع

ايطاليا . فالعمال الاشتراكيون لا يحبون فرنسا لانها تملك جيشا لا يزاحمه أى جيش فى البلاد الاوربية ، ولانها صنعت لها من المعاهدات صلة وطيدة مع الحكومات الشرقية فأصبحت وكأنها الحاكم المطلق على أوربا . والعمال بلا شك يكرهون الفاشيزم فى ايطاليا ولايرتاحون لقنابل موسولينى الفارغة!..
من أجل هذا كله يريد المستر (سنودن) تعديل بل تخريب مشروع (يونغ) الذى منح لايطاليا قسما كبيرا من مطالبها ، ولم يكلف فرنسا الا القليل من التضحية .

وبعض الناس يرون أبعد وأعمق من ذلك ، ولربما هم أقرب الى الصواب من غيرهم . اذ هم يقولون ان نجاح مؤتمر لاهاى ان هو الا مقدمة للتقارب والتفاهم الفرنسى ـ الالمانى ،وهما فاتحة للاتحاد الاوربى الذى تشمئز منه انكلترة ، ويقلق بال كل انكليزى ، لانه لا يتفق وصالح الامبراطورية التى تقضى بعدم صفاء الجو الاوربى . فاذا فشل مشروع يونغ فسيبقى مشروع « داوس » الذى يجعل الارتباك فى مالية ألمانيا ويشل حياتها الاقتصادية فيجعلها دائما تكره فرنسا وتبتعد عنها سياسيا ، واذا عجزت ألمانيا يوم من الايام عن الدفاع وأفلست فتستعمل فرنسا القوة العسكرية وتبقى فى (الراين) للدفاع عن حقوقها وهكذا تبقى الجارتان وهما فى حالة أشبه بحالة « القط والفار » وبهذا يرتاح بال الانكليز !

هذا هو خافي الامر وباطنه !

فالمستر سنودن لا يبكى على الحسين ولكن على الهريسة !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٣١ آب ١٩٢٩ .

جنيف بعـــد لاهاي*

[بعد زوابع مؤتمر لاهاى وجـــد
الاوربيون أنفسهم في جو هادىء فى مؤتمر
جنيف بفضل سياسة بريان ـ ماكدونالد
ـ شتريزه مان ـ وهذا المؤتمر يعد تتمة
الى ما قبله وان لم يوفق تمام التوفيق ٠]

هدأ الجو السياسى كل الهدوء بعد تلك العواصف التى كادت أن تهدم مؤتمر لاهاى ، ففى جنيف الآن لا يسمع الانسان الا عبارات المجاملـــة والكلمات المنمقة وقد نسى الزعماء قنبلات المستر سنودن التى أوشكت أن تحدث فى أوربا ارتباكا عظيما • فالخطابات التى ألقاها المسيو بريان والمستر مكدونالد والهر شتريزه‌مان وغيرهم تدل على الوفاق التام والمحبة الصادقة ما بين الحكومات الاوربية •

أما نحن فيسرنا أن يصفو الجو السياسى فى العالم ونغتبط لان الاوربيين توفقوا بعـــد تلك المشكلات على تصفية حساب الحرب وأخذوا الآن يسعون للحصول على السلم العالمى والذى يرأس هذه الحركة السلمية هو المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية وهو شخص اشتهر فى العالم بحبه للصلح والمسالمة • وفى خطابه البليغ الذى ألقاه فى عصبة الامم أثبت للعالم أجمع بأنه لا يريد الا الصلح والسعادة والرفاه لجميع الامم • وتكلم أيضا حـــول « الحكومات الاوربية المتحدة » وبعد ذلك دعا سبعة وعشرين شخصا ـ من وزراء خارجية ورؤساء وفود ـ يمثلون سبعا وعشرين حكومـــة أوربيـــة مشتركة فى عصبة الامم الى وليمة غداء فخمة وكان لهذه « الوليمة الاوربية » أهمية عظمى اذ هى أول خطوة رسمية نحو تأسيس الوحدة الاوربية ، وهنا شرح المسيو بريان لضيوفه هذه القضية المهمة التى تشتمل عـــلى الوحـــدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وسر أكثر المدعوين بذلك ووعدوا المسيو

بريان بأنهم سيتذاكرون مع حكوماتهم حول هذا الموضوع الجليل والنظريات المتعلقة به ...

غير ان كلاً من اولئك الرؤساء يرى مليا مقدار خطورة هذه الفكرة وما ستلاقيه من العقبات والمصاعب . فمنهم من يحذر كل الحذر من تشكيل كتلة سياسية أوربية تقف وقفة المزاحم لامريكا . ومنهم من هو مرتبط ارتباطا قويا مع مستعمراته التى لا علاقة لها مع أوربا ومنهم من يرى ان الوحدة السياسية تخل بالسيادة القومية ولذا لا يوافقون الا على الوحدة الاقتصادية التى تقضى برفع اصول الكمارك والحدود الكمركية وتوحيد العملة وطوابع البريد وغيره مما يتعلق بالامور الاقتصادية فقط . هذه وملاحظات أخرى مثلها ترينا ان الامر ليس هينا . فان نظريات المسيو بريان ستبقى زمنا طويلا وهى « نظريات » ليس الا !...

غير اننا نود أن نسأل أبطال جنيف ـ أبطال السلم العالمى اليوم وأبطال الحروب والارتباكات فى الامس ، (ومن الممكن أيضا فى المستقبل !) ـ نود أن نسألهم سؤالا واحدا :

ـ هل تعتقدون بمتانة السلم العالمى طالما يوجد أقوام عديدة أخرى ... أقوام ضعيفة تئن تحت أثقال الاستعمار ؟

لنترك الامم الاخرى ولندرس قضيتنا ـ قضية العرب فقط ...

الاقطار العربية اليوم كلها منفردة ومنقسمة فمنها ما يدخل فى فصيلة الاستعمار . ومنها ما يرجع الى الانتداب الذى هو شقيق الاستعمار . ومنها ما يعود « للحماية والوصاية والرعاية والصداقة ... » .

ومهما اختلفت الصفات وتنوعت الاسماء فالبلاد العربية ما هى الا لقم سائغة فى حلوق الجشعين . هذا هو نصيبنا ونصيب كثير من الاقوام الآسيوية والافريقية ...

هذا هو نصيب الضعفاء الحالمين الذين لا يملكون تلك المدافع وتلك

الطيارات وتلك السموم التى تملكها الاقوام الاوربية المستعمرة ـ تلك الاقوام التى ترأس حركة السلم العالمى ! ـ فالمسيو بريان والمستر مكدونالد هما بطلا الصلح والسلم العالمى وفرنسا وانكلترة هما أكبر المستعمرين فى الارض ! ... هذا هو ما يسمونه « يهريز ويأكل طرشي » هـذا هو الذى لا يدركـه عقلنـــا !

اذ أن العالم هو ليس أوربا فقط والاقوام غير الاوربية لها حق الحياة . ولها حق السيادة القومية ولها كل حق يتمتع به الانكليزى والفرنساوى فى بلاده ... اذن ما معنى السلم العالمى ، وهناك ملايين من البشر يعيشون فـــى قيود الاسر والاســـتعمار ؟ .. فاذا كان القصد من كل هـذه « الدواليب » تأسيس كتلة مستبدة ومستعمرة ضد الضعفاء فبئست تلك الفكرة ، وشلت كل يد تسعى الى بنائها !

أما اذا كانت الغاية هى فى الحقيقة السلم العالمى ، فوجب اذن عليكم أيها الابطال أن لا تنسوا الاقوام الاخرى ، الاقوام التى لا ذنب لها سوى الاعتماد على عهودكم ! ... الاقوام التى لا تريد سوى الحرية والاستقلال والسلم ..

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢١ ايلول ١٩٢٩ .

العراق وعصبة الامم*

فلنفتح عيو نـــا !

[عندما أتى العمال الى كراسى الحكم فى بريطانيا حصل تبدل ملحوظ فـى سياستها فى الشرق الاوسط . وفـى العراق أخـذت السـلطات البريطانية والحكومة العراقية تبحث عن قضية دخول العراق الى عصبة الامم وزوال الانتـداب ... فى هذا الامر فوائد كثيرة اذا عرفنا كيف أن نتصرف وفيه أيضا أضرار كثيرة اذا سلمنا أمرنا الى حلفائنا دون قيـد أو شرط .]

موافقة انكلترة على دخول العراق فى عصبة الامم سنة **١٩٣٢** حـادث مهم جدا ... هذا أول نجاح سياسى ناله العراق منذ « يوم الاستقلال » ... هذه خطوة كبيرة نحو الاستقلال الحقيقى التام ...

فيحق للعراق أن يغتبط الآن لهذا النجاح ولاسترجاع قسم من حقوقه المهضومة . وعليه اننا نهنىء رجالنا الذين تصلبوا وطالبوا حتى نالوا هـذه الموفقية السياسية . وأن نذكر كذلك بالخير اسـم المرحوم السر جلبـرت كلايتن الذى سعى وأقنع الحكومة البريطانية على ترك السياسة القديمة، سياسة المحافظين وأعوانهم المستعمرين . الفرح طيب ولذيذ غير اننا لا نريد أن نفرح أكثر من اللازم فننسى ما يجب أن لا ننساه ... دخولنا فى عصبة الامـم ورفع كابوس الانتداب عنا أمر لا يستهان بهما .. أمران مفيدان كل الفائدة اذا عرفنا أن نستفيد .

أقول لمن يظن اننا « سوينا الذى علينا فلنقعد الآن ونتربـع » اننا يجب علينا أن نفتح أعيننا أكثر من قبل لاننا الآن أمام قضية جديدة لها خطـورة

عظيمة وتأثير كبير فى حياتنا السياسية والاجتماعية . علينا أن ندرس المسألة هذه درسا عميقا قبل أن نخوض هذه الحياة الجديدة ...

ان ترشيحنا بل دخولنا فى عصبة الامم لا يعني اننا نلنا الاستقلال التام . وأمامنا اليوم مثلا الهند . فهى مشتركة فى جمعية الامم ولكنها لم تزل مستعمرة بكل معنى الكلمة ! وهناك المستعمرات البريطانية الاخرى وكلها داخلة فى الجمعية الامية .

فهذه وأمثلة أخرى مثلها ترينا ان الاشتراك فى العصبة لا ينافي عدم وجود الاستقلال الحقيقى . فعلينا أن نحقق من أى باب سندخل وعلى أى كرسى سنجلس وذلك « قبل أن نشترى بطاقة الدخول » و « قبل أن ندفع ثمنها » .

ثم ان رفع الانتداب لا يتم اذا كنا لا نتباعد كل التباعد عن امضاء معاهدات جديدة « تقوم مقامه » لانه لا فرق بين « خوجة علي وعلي خوجة » فلأجل تأمين العملية ـ الناشئة عنها الافراح والمسرات والسعادات التى تغبطنا عليها الشقيقات العزيزات كسوريا وغيرها ـ ولكى لا يحصل قيل وقال فى المستقبل ، يجب على العراق أن يرشح نفسه من الآن للاشتراك فى عصبة الامم . ويجب على انكلترة أن ترفع تقريرا رسميا بهذا الخصوص من الآن ـ وليس فى سنة ١٩٣٢ ـ الى سكرتيرية الجمعية وتحصل على الموافقة خطيا .

رب قائل يقول : ولماذا هذا الاحتياط ؟ الجواب : لان وزارة العمال « ليست دائمية » ولا يظن أحد أنها ستعيش أكثر من سنة واحدة ، فماذا تكون الوضعية اذا رجع المحافظون الى دست الحكم ؟

لا يمكن للانسان هنا أن يعطى جوابا « مثبتا كان أم منفيا » . فمن الممكن ان المحافظين سيؤيدون سياسة العمال نحو الشرق عامة والعرب خاصة . ومن الممكن أيضا انهم يضربون بتلك السياسة عرض الحائط فيرجعون الى

سياستهم القديمة . والحوادث أرتنا ولم تزل ترينا كل يوم هذه التبـدلات في السياسة البريطانية : رأينا المحافظين يمزقون بروتوكول جنيف الـذي أمضاه العمال سنة ١٩٢٤ ورأينا آخيرا المستر سنودن في لاهاى يهجم بكل قواه على مشروع يونغ الذي صدقه السر « ستامپ » بموافقة المحافظين ...

ولا شك في أن المحافظين يسخطون أشد السخط على سياسة العمال في الشرق . وها ان أمامنا تشرشل يعلن بأعلى صوته ان أكبر مسبب لحوادث فلسطين هو عزل اللورد لويد والتساهل البريطاني مع حكومة مصر !

فماذا يكون اذا رجع المستر تشرشل وأعوانه الى الحكم ؟ وماذا يكون ثمن العهود والمواعيد المقطوعة من قبل العمال ؟

ونحن ما لنا وكل هذه المشكلات ؟ ما لنا نترك بلادنا ومستقبلها ألعوبة في أيدي الاحزاب السياسية الاجنبية وأهوائها ؟

أليس اذن فرضا علينا أن نضمن « نسوگر » شغلنا من الآن ونستفيد من هذه الفرصـة ؟

فلذا نرى ترشيح العراق من الآن ضروريا . وتحصيل الموافقة المقتضاة لدخوله العصبة في سنة ١٩٣٢ .

واذا تم لنا ذلك يمكننا حينئذ أن نعقد معاهدة جديدة ينتهي حكمها حينما يدخل العراق في عصبة الامم . ويمكننا أيضا احضار معاهدة أخرى لما بعد سنة ١٩٣٢ على أن يكون تصديقها منوطا بدخولنا في الجمعية . هذا لاننا لا نريد أن نتعهد من جديد ويدخل رأسنا في الدولاب كما جرى علينا في الماضي ! فلتكن سياستنا منذ اليوم ! « سلّم بلمّ » ولنطرد من صدورنا ـ ولو لمدة من الزمن ـ شيطان الطمع الخاص والاستفادة الشخصية ـ حتى ننال غاياتنا الوطنية العامة التي ستعود بخير كثير علينا جميعا .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٥ تشرين الاول ١٩٢٩ .

موقفنا الجـــديد*

[تبدل الوضع بين العراق وبريطانيا
صار يبعث الامل فى القلوب حول زوال
الانتداب ودخولنا عصبة الامم ونيلنـــا
الاستقلال . وفى هذه الكلمة تنبيـــه
للاخطار وتشجيع على الاستفادة مـــن
الفرص ...]

ومن الناس من يقول ان تبدل السياسة الانكليزية تجاه العراق لـــم ينشأ من تصلب الزعماء العراقيين بل هو نتيجة ميل حزب العمال على اتخـــاذ سياسة معتدلة فى الشرق . ومنهم من يدعى ان ذلك التبدل لم يحصل الا من جهد وزارة السعدون وانه لولا حزب التقدم لهلكت الناس ... فمنهم مـــن يتطرف وينكر ، ومنهم من يغـــالى ويتحمس ولكن فى نظـــرنا ليس لذلك التطرف ولا لهذا الغلو اليوم محل من الاعراب .

ان تبدل السياسة البريطانية فى الشرق وفى العالم كله أمر لاينكره أحد . ولكنا اذا أنصفنا لا يمكننا أن ننكر فائدة وقفة السعدون وتصلبه فى مداولاته مع السر هنري دوبس والحاحه على الحصول ولو على قسم من حقوق البلاد ... هذا لاننا لا نزال نتشوق الى رؤية زعماء يعرفون أن يقفوا وقفات فيها خير ... هذا لان بلادنا ـ مع كل الاسف ـ مملوءة من أناس يركضون وراء غايات شخصية فلا يهمهم من البلاد أمورها سواء أرجعت الى الوراء بضع سنوات ، أم الى ما قبل الطوفان ... كما اننا أيضا ما زلنا نعجب بمشاهدة من يتجرأ من أصحاب الفخامة ويضرب بالكرسى وبالفخامة عرض الحائط ، اذا كلّ صبره ولم ينفتح أمامه الباب الذى كثيرا ما طرقه .

أما اليوم وقد انفتح ذلك الباب قليلا لان حارسه الاصم الابكم قد ذهب ولان حارســه الجديد ســمع تلك الطرقات فيحق لنا أن نعتبر ان العـــراق

غرس ، والسر جلبرت كلايتن سقى ، ووزارة العمال تسامحت فلا تريد أن تقتل هذه الشجرة التى لاول مرة منذ الاستقلال أورقت فأثمرت ••• نعم ان الشجرة هى ضعيفة الآن وثمرها هو من نوع « خلال الطوش » الا أن هـذا بلا شك ، « أحسن من الماكو » ــ ولكن هذا الثمر يمكنه أن يحلو وينمو فيكون من أطيب الثمار وأينعها !

غير اننا لا نؤمل حصول كل هذا اذا بقينا هكذا أحدنا يجر طولا وآخر عرضا • واذا كنا لا نعتبر فنبقى راكضين وراء المنافع الشخصية فقط ••

اننا اليوم فى موقف جديد ، فى موقف خطر جدا ••• اننا اليوم أمام الباب الذى يؤدي الى الاستقلال الواجب أن نتفاءل به ! فلنستفد من هـذه الفرصة التى لا مثيل لها • ولنستعد حالا لان عمر حكومة العمال ليس بالعمر الطويل ولان المحافظين ناقمون على سياسة التسامح هذه •••

فالموانع التى فى طريقنا رفعت منذ ارتقى العمال دست الحكم والصعوبات قلّت • فهذا أمامنا اليوم وزير خارجية انكلترا المستر هندرسن يعلن فى الاجتماع الذى عقده حزب العمال فى « برايتون » ان « الحكومة البريطانية تود أن يكون العراق فى الزمن القريب مستقلا وحاكما على نفسه » • فهل يا ترى سوف نستفيد من هذا التسامح ؟ فعلى حكومتنا الجديدة أن تدرس الحالة درسا عميقا وأن تسعى الى تعديل كل أعوج عندنا • وما أكثر الاعوجاج عندنا !•••

وعلى الشعب أن يساعد أولياء أموره ، ولكن لا « على العمياوي » كما كان حتى يومنا هذا • انما تجب المساعدة فى الامور المفيدة • وتجب المحاسبة فى الامور المضرة ••• وعلينا كلنا ــ من الباشا الى الكناس ــ أن نكون أقوياء مستعدين على الدخول فى عصبة الامم سنة ١٩٣٢ • أمامنا أكثر من سنتين وهذه المدة تكفينا أن نستعد ونقوى حتى لا ينعقد لساننا ولا تهتز أرجلنا ولا يرتجف قلبنا حين نأخذ المسؤولية على عاتقنا لنكون أسيادا فى بلادنا ••• ولا

يتم ذلك الا اذا استبدلنا حالا وقبل كل شيء السياسة المالية السقيمة التى فتت في ساعد البلاد منذ تشكيل الحكومة • واذا أصلحنا حالة المعارف التى لا تقل سوءاً عن الحالة الاقتصادية • واذا طبقنا مشروع التجنيد الحقيقي حتى يكون عندنا جيش منظم يمكنه الدفاع عن كرامة الوطن فيكون مسندا لظهرنا يوم لا يبقى لنا غيره مسند •

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١١ تشرين الاول ١٩٢٩ .

تأثير السياسة البريطانية فى العالم*

[كان لسياسة بريطانيا العظمى بعد الحرب العالمية الاولى تأثير كبير فى أرجاء العالم كله وكانت البلاد العربية بصورة عامة والعراق بشكل خاص تحت تأثير تلك التبدلات والتطورات فى تلك السياسة الواسعة الشاملة .]

لبريطانيا العظمى سياسة خاصة لا تشابه سياسة الاقوام الكبيرة الاخرى . ومن خواص تلك السياسة ان لها تأثيرا عالميا واسعا . وان لكل تبدل يحصل فيها انعكاسا فى نقاط عديدة من الارض . هذا لان الامبراطورية البريطانيه نطاقها وسيع جدا فهى كشبكة عنكبوت مركزها بريطانيا العظمى وخيوطها مربوطة فى كل ناحية من نواحى العالم : ايرلندة ، كندة ، افريقيا الجنوبية ، اوستراليا ، نيوزيلاند ، الهند ، المستعمرات الافريقية ، مصر ، العراق ، فلسطين ، نواحٍ عديدة من جزيرة العرب ، الزنزبار ، وجزائر أخرى فى بحار مختلفة ونقاط أخرى يمينا وشمالا .... فكل هذه البلاد منها ما يدخل رأسا فى الامبراطورية ومنها ما يتعلق بها بصورة من الصورة ... وكل هزة تنشأ فى مركز تلك النقاط وأقل تبدل فى الوضع السياسى المركزى يأتى بتبدلات مهمة فى الحياة السياسية عند الشعوب المرتبطة بالامبراطورية البريطانية . لهذه الاسباب ان حكم العمال لم يبدل السياسة البريطانية فقط بل سبب تغيرا عظيما فى السياسة الاوروبية . وحتى فى السياسة العالمية ! هذا مع ان العمال لم يحكموا حتى الآن سوى بضعة أشهر . لنترك سياسة العمال الداخلية ولندرس السياسة الخارجية وتأثيرها .

من غايات العمال المهمة اثنتان . الاولى السلم العالمى . والثانية : تحسين الحالة الاقتصادية فى انكلترة وتأمين رفاه الطبقة العاملة .

فالسلم العالمى يأتى بنتيجة التقارب ما بين الامم . وتحسين الحالة

الاقتصادية تولده الاسواق الجديدة للبضاعة الانكليزية ••• فيجب اذن أولا جلب قلوب الشعوب ثم جلب دراهمهم ••• ومنذ أخذ العمال ادارة البلاد صاروا يجهدون كل الجهد فى نيل هاتين الغايتين •

انسحاب الجيوش البريطانية من الراين ، امضاء مادة التحكيم الاجبارى فى جنيف ، تأسيس العلاقات السياسية مع روسيا ، السعى على تأييد الصداقة مع أمريكا ، استبدال السياسة الشديدة القديمة بسياسة معتدلة فى مصر والعراق وغيرهما من ممالك الشرق ، اجتناب الفتن والدسائس فى الافغان وايران والصين الخ ••• هذه وأمور أخرى مثلها ما هى الا أدلة واضحة على ما نقول •••

ان الحاح العمال على تخلية الراين ومبادرتهم الى سحب الجيوش الانكليزية صار لهما وقع كبير فى نفوس الالمان الذين شرعوا يقدرون تسامح الانكليز هذا ومساعدتهم اياهم فى هذا الباب فالالمان بالمقابلة تساهلوا مع الانكليز فى مؤتمر لاهاى وتنازلوا عن بعض حقوقهم المالية تجاه المستر سنودن كرامة لمواعيد المستر هندرسن السياسية • والاحساسات اليوم فى ألمانيا نحو انكلترة لا تشابه ذلك الحقد الذى كان يتغذى به الشعب الجرمانى فى زمن المحافظين • وامضاء مادة التحكيم الاجبارى فى جنيف حادث مهم جدا اذ ان انكلترة ــ الدولة القهارة ــ تتعهد الآن أن تخضع لحكم محكمة لاهاى عند حصول أى نزاع حقوقى بينها وبين أية دولة فى العالم صغيرة كانت أم كبيرة ••• وبعد أن وضع المستر هندرسن أسمه تحت هذه المادة تبعته اثنتا عشرة حكومة جديدة وقعت عليها فأصبح عدد الحكومات لهذا التعهد فوق الثلاثين ! وتلك خطوة كبيرة نحو السلم العالمى يعود شرفها الى حكومة العمال •

أما تأسيس العلاقات السياسية مع روسية البولشفية فله خطورة عظيمة فى مستقبل الشعوب • وتحصل انكلترة من هذا سوقا واسعة جديدة لتجارتها

وفى نفس الوقت تتخلص من دعاة البولشفيك فى مستعمراتها ولا سيما فى الهند • والعمال يعرفون حق المعرفة ان انفصال روسية عن أوربا يخل بالسلم العالمى ويهدد سلامة الامبراطورية البريطانية • ولهذا قرر العمال مصافحة يد البولشفيك ـ تلك اليد القوية التى كان المحافظون يودون قطعها ـ وهذا الخلاف بين المحافظين والعمال كبير جدا • فأولئك يريدون المقاطعة التامة مع الروس ما دام البولشفيك يبثون سموم الدعاية الاشتراكية فى المستعمرات وما داموا لا يعترفون بالديون القديمة • أما العمال فينظرون الى هذه الامور بغير نظر وسياستهم تأمرهم بجلب قلب روسيا أولا وتسوية الخلاف بعدئذ • ولعل الزمان يرينا اصابة رأيهم •

ثم ان مزاحم انكلترة الاقتصادى هو أمريكا ••• أمريكا التى ابتلعت ذهب العالم خلال الحرب فصارت أغنى وأقوى حكومة فى العالم • ان انكلترة خرجت من الحرب العالمية غالبة ولكن تلك الغالبية كلفتها كثيرا اذ خسرتها موقعها الاقتصادى الذى كان أول المواقع فى العالم !•• قلب التجارة البحرية اليوم هو نيويورك لا لندن كما كان قبل الحرب • سطوة أمريكا البحرية لا تقل عن سطوة الانكليز ولسيدة البحار اليوم مزاحم شاب وقوى يرتجف منه الاسد البريطانى ••••

فهذا الذى جعل المستر مكدونالد يسافر الى أمريكا وهو الآن هناك يلقى الخطب الرنانة لجلب حب الامريكيين وتأمين الصداقة بين الامتين الامريكية والانكليزية ، هاتان الامتان المرتبطتان بأواصر الاصل واللغة والمنافع العامة • أما جلب قلوب الاقوام التى كتب الله عليها أن ترتبط بصورة ما بالامبراطورية البريطانية فيشكل الحجر الاساسى فى سياسة العمال • فهؤلاء رأوا ان الظلم والشدة لا يأتيان الا بالشر • لذلك نراهم الآن يخففون أثقال سياسة الاستعمار ويراعون نوعا ما احساسات تلك الشعوب كى يجعلوها أصدقاء بدلا من أن تكون أعداء ينتظرون فرصة الانتقام • وان تغير السياسة

البريطانية فى مصر والعراق ان هو الا مقدمة ذلك المشروع الذى نود أن يشمل الاقطار العربية كلها ...

ومن مبادىء العمال ان لكل شعب حق السيادة القومية ولا يرون مبررا لاعمال المحافظين وسعيهم الى خلق الشقاق والنفاق بين طبقات تلك الاقوام الشرقية التى أخذت تنتبه وتسير فى طريق الرقي والاستقلال الحقيقى . فالصين والهند والافغان وايران وبلاد العرب هى مسرح واسع للكوميديا الانكليزية التى تنتهى دائما بفواجع أليمة تدمى القلوب . أما اليوم فيقدر الانسان أن يؤمل زوال تلك السياسة الجائرة وذلك اللعب بحياة الشعوب الضعيفة بغية استثمار بلادهم واستملاك ما ملكت ايمانهم !...

لسنا ممن يدعون ان العمال نازلون من السماء ... لا ! حاشا ثم حاشا ! فهم انكليز أولاد انكليز ، ولكنهم أقل جفاءً وأوسع صدرا وأقل طمعا من المحافظين . وعلى كل حال « التبربش أحسن من العمى » !

« بالدوين » راح و « مكدونالد » جاء ... والمسألة فى حد ذاتها بسيطة جدا . غير ان من درس السياسة العالمية يرى انه منذ مجىء العمال تغيرت مجارى الامور فى ساحات عديدة مختلفة . وان اليوم لا يشابه الامس بسبب التبدل فى السياسة البريطانية ... فهذه السياسة لها تأثير كبير فى العالم وسيبقى تأثيرها طالما الامبراطورية البريطانية موجودة على وجه الارض .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٩ تشرين الاول ١٩٢٩ .

حول نزع السلاح والسلم العالمي*

[هنا شيء من التنبؤ حول نتائج مؤتمر نزع السلاح . وقد حاولت الحكومات الكبرى نزع السلاح منذ نهاية الحرب العالمية الاولى وكانت النتيجة تسابق نحو التسلح انتهى بالحرب العالمية الثانية . والعالم اليوم مشغول أيضا بأمر السلاح ونزعه وقد ينتهى لا سمح الله بحرب ثالثة ... ولن يتم نزع السلاح فى هذا العالم قبل تطهير القلوب ...]

« مودة » أوربا السياسية بعد الحرب هى : « نزع السلاح » و « السلم العالمى » والسياسيون اليوم من كبيرهم الى صغيرهم ومن مخاصهم الى مخادعهم يترنمون بهذه الكلمات ويرتلونها فى كل مؤتمر وفى كل اجتماع رسمى وغير رسمى .

الوطنى المتحمس من النوع الفاشستى مثل « موسولينى » والوطنى المتهور من فصيلة « والد ماراس » و « هوگنبرنج » و « ماره ن » والوطنى العسكرى المغرور من بقايا دور القيصر ويلهلم مثل « هتلر » و « لودندروف » وكل وطنى من الطراز القديم يعد اليوم متأخرا وضيق الفكر ... هذا لان « المودة » القديمة ـ مودة الوطنية ـ قد هرمت وبانت عيوبها فقلت الرغبة فيها ....

الوطنية القديمة كلفت أوربا كثيرا وأرتها ان المسألة ليست لعبة أولاد .... الشعوب الاوربية المهمة رأت ان الوطنية والحروب التى تنتج منها لا تأتى الا بخراب الدار . والحرب العامة أثبتت ان الغالب كالمغلوب لا يسلم من « أكل الجراب » لذلك تريد الآن تلك الشعوب أن تستبدل العواطف الضيقة المؤدية الى الاندفاع والخناق بأفكار جديدة بعيدة

المرمى تأخذ بهم الى السلم العالمى والاخوة البشرية وتحريم الحروب وغيرها من الغايات السامية .

غير ان مودة « نزع السلاح والسلم العالمى » هى كغيرها من المودات لها محبذون ومخالفون . فالمحبذون هم الحكومات التى استفادت نوعما من الحرب العامة فتريد أن يبقى كل شىء الآن على حاله كانكلترة وفرنسا وأمريكا ويوغسلافيا واليابان والحكومات الجديدة التى استقلت بعد الهدنة كبولونيا استونيا ، مجارستان ، ليتوانيا الخ ...

أما المخالفون فهم الذين خسروا الحرب وفقدوا مستعمراتهم وقسما من بلادهم كالمانيا والنمسا وروسيا وبلغاريا واولئك الغالبون الذين لم ينالوا من الحرب الا الفضلات كايطاليا واليونان . هذه الحالة تجعل نزع السلاح أمرا عسيرا يتخوف منه حتى رسل الصلح أنفسهم . ولاجله لم نر حتى الآن فى أوربا من رمى سلاحه أو قلله ! ذلك مع استثناء الحكومات المغلوبة التى أجبرها الحلفاء على ترك السلاح وانزال القوة الدفاعية الى الحد الاصغر . أما الباقون فكلهم مسلحون من رؤوسهم الى أرجلهم وكلهم ساعون الى اختراع الوسائط المهلكة كالغازات السامة والميكروبات السارية وغيرها من الاسباب المهولة التى يحتمل استعمالها فى الحروب المقبلة .

هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى أبطال السلم العالمى يتباحثون ويتناقشون حول قضية نزع السلاح وسيبقون هكذا يتناقشون ويتباحثون الى أجل غير مسمى وهم فى حالتهم هذه كالذى ينفخ فى جراب مثقوب .....

ان نزع السلاح لا يتم قبل أن تنتزع الاقوام الاوربية الطمع والحقد من قلوبهم ويأخذ كل ذى حق حقه . أوربا اليوم ليست سوى كتلة أقوام متعادية ومتزاحمة عائشة فى خوف دائم تنتظر فرصة الانتقام ومذهبها الوحيد هو : « مصائب قوم عند قوم فوائد » .

فرنسا تخاف من ألمانيا ، انكلترة تخاف من روسيا ، ايطاليا تخاف من

فرنسا ، ويوغوسلافيا تخاف من ايطاليا ، وبولونيا تخاف من روسيا ، وروسيا تخاف من الصين ، وهلم جرا ... فكيف يترك السلاح وهذا الخوف موجود ؟

الشعوب المهمة فى العالم تنقسم الى ثلاثة أقسام بالنسبة الى قوتها وموقعها الجغرافى :

الشعوب البحرية : انكلترة ، أمريكا ، اليابان ، هولانده .

الشعوب البحرية ـ البرية : فرنسا ، اسبانيا ، ايطاليا ، اليونان ، تركيا ، الصين الخ ....

الشعوب البرية : روسيا ، ألمانيا ، بولونيا ، النمسا ، حكومات البلقان .. الخ

فيجب علينا اذن أن ننظر الى مسألة تحديد التسليح من ثلاثة وجوه أيضا : البحرى والمزدوج والبرى . وفى هذا الاخير يدخل الجوى طبعا .

الحكومات البرية ـ البحرية لا توافق على تحديد سلاحها بل ولا على البحث فى هذا الباب قبل أن يتقرر وينفذ التحديد البحرى . وأخيرا رأينا فى جنيف مخالفة تلك الحكومات على اقتراح اللورد سيسل ممثل بريطانيا العظمى بخصوص تحديد السلاح البرى وتنقيص عدد الجيوش . فممثلو فرنسا وايطاليا وبولونيا رفضوا بتاتا ذلك الاقتراح مدعين ان القضية البرية تأتى بعد القضية البحرية . وهكذا انطوت المسألة ورجع كل من الممثلين الى بيته بخفي حنين .

أما تحديد التسليح البحرى فهو لا يقل صعوبة عن البرّى ولقد سعت الحكومات البحرية الكبرى ـ انكلترة ، أميركا ، اليابان ، فرنسا ، ايطاليا . الى ايجاد حل موافق ولكنها مع الاسف لم تتوفق حتى اليوم لذلك . وكان نصيب المؤتمر البحرى فى سنة ١٩٢٧ الفشل التام وبقيت الحالة على ما كانت عليه من بعد معاهدة واشنطن .

والآن فقد رجع هؤلاء الى المداولة وانكلترة وأمريكا مهدتا الطريق ووضعتا الاساسات التى سيبنى عليها المؤتمر وأصدرتا بلاغا للعالم بخصوص

حصول الائتلاف ما بينهما على أسس تحديد السلاح البحـــرى • وقد دعت انكلترة الحكومات الاربع الاخرى الى الاشتراك فى المؤتمر الذى سيعقد فـى لندن فى شهر كانون الثانى •

وتـــم الاتفاق ما بـين الحكومتين الانكليزية والامريكية على ثلاث نقاط أساسية وهـــى :

أولا ـ ان تحديد الســـلاح نتيجة طبيعية لميثاق باريس ، أى ميثـــاق كيلونج ـ بريان • القاضى بتحريم الحرب • هذه جملة مزخرفة « تمســـد العواطف » ولا بأس فيها •

ثانيا ـ انكلترة توافق على أساس المساواة أى انها تقبل ان تكون أمريكا مساوية لها فى السطوة البحرية سنة ١٩٣٦ ولاجله تسمح لها بتجهيز خمس عشرة مدرعة جديدة حتى تحصل تلك المساواة • وهنا غرابة نادرة ! لانه اذا كان المقصد هو نزع السلاح وتحريم الحرب فما معنى احضار خمس عشرة مدرعة جديدة ؟ لماذا لا يخرب الانكليز خمس عشرة مدرعة من اسـطولهم العظيم حتى يحصل ذلك التساوى ؟

الجواب : عند الانكليز ! وعلينا أن لا نخوض هذه القضية المبهمة ! غير ان الحكومات الاخرى تشك فى اخلاص نية الانكليز وتؤول تسامحهم مـــع أمريكا بمقدمة اتحاد بحرى يؤمن سيادة البحـار للشعب الانكلو سكسونى • ونظرية المساواة مع فرنسا فى البحر المتوسط وهذه لا تسمح بذلك لانها تملك مستعمرات متعددة فى افريقيا فلا تريد أن تتمكن ايطاليا يوما من الايام تهديد مواصلاتها بينها وبين تلك المستعمرات • ثم ان اسبانيا ويوغوسلافيا لا تريدان أن تتأخرا كثيرا عن ايطاليا وهلم جرا •••

ثالثا ـ اتفق الانكليز والامريكان على تحريم الغواصات • وهذا شرط سوف لا تقبله الحكومات الاخرى • والحق معهـا لان الغواصات هى أرخص واسطة للدفاع عن السواحل • والحكومات البحرية المتوسطة كاليابان وفرنسا

وايطاليا والصغيرة كاسبانيا ويوغوسلافيا واليونان وتركيا الخ ... لا يمكنها ماليا أن تجهز عددا كبيرا من المدرعات للدفاع عن نفسها بيد انها يمكنها بواسطة الغواصات أن تشل حركة المدرعات العظيمة وأن تحمى نفسها من خطر المحاصرة البحرية .

الغواصات هى سلاح الفقراء فاذا تركها هؤلاء أصبحت المياه كلها تحت سيطرة الاسطولين الامريكى والبريطانى . فأى مجنون اذن سيوافق على هذا المشروع ؟ هذه هى الاساسات الاصلية للمؤتمر البحرى المقبل وهى فى نظر كثير من الناس ركيكة لا يبنى عليها بناء قوى . ومع كل هذا اننا نود من كل قلبنا أن يتم السلم العالمى وأن ينجح رسل الصلح فى مهمتهم . نود من كل قلبنا أن يسود السلام على وجه الارض بين البشر وأن تحرم الحرب ويترك السلاح وتدفن المدافع وتهدم الحصون وتذوب السيوف وتنطفىء النيران وتسقط الطيارات المهلكة وتنزل المدرعات والغواصات وكل السفن الحربية الى أسفل السافلين . ولكن قبل كل ذلك نود أن يطرد الغربيون من صدورهم وساوس الاستعمار والطمع فيحل ملاك الحب البشرى والسلام العالمى محل شيطان الظلم والحروب .

ان يوم نزع السلاح لا يأتى قبل أن يغادر هذا الشيطان تلك القلوب والا فسينفخ أبطال السلم العالمى فى الجراب المثقوب الى يوم يبعثون .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٩ .

كيف نعالج أمراضنا الاقتصادية*

– ١ –

[دراسة حول اقتصاديات العراق
تعالج الثروات الطبيعية وغيرها كالزراعة
والتجارة والصناعة. وكانت هذه النواحي
كلها مهملة وتابعة الى رقابة الانتداب
ولم يكن من صالح الانتداب أن تتبدل
الاحوال وتتحسن ...]

لا يتم استقلال الشعوب السياسى قبل أن يتم استقلالها الاقتصادى ، ولا تتحقق السيادة القومية المطلقة اذا بقى جيب الشعب وخزانة الحكومة فارغين .

لاجل ذلك يجب على العراق أن يعالج أمراضه الاقتصادية فى نفس الزمن الذى يداوى فيه علله السياسية . العراق يعد اليوم من أفقر الاقطار والعراقيون هم بعيدون جدا عن الغنى والرفاه والسعادة بل وحتى عن المعيشة المتوسطة وعن الاكتفاء . فهذا الوضع سوف يشل استقلالنا السياسى يوم ندخل فى عصبة الامم ويوم تعترف الشعوب العالمية بسيادتنا القومية . فعلينا اذن أن نبتدىء حالا باصلاح ما فسد فى السياسة الاقتصادية وأن نفتش عن الجراثيم التى استولت على بدن تلك السياسة فجعلتها مسمومة . ما هو العامل الاساسى لهذه الحالة ؟ هل ذلك العامل طبيعى أم مصطنع ؟

العامل هو غير طبيعى ، الطبيعة منحت قطر العراق موارد لا يستهان بها وغنى هذه البلاد فى الازمنة الغابرة دليل على انها ليست فقيرة خلقةً .

فالمسبب للفقر هو عدم استثمار تلك الموارد بصورة واسعة مفيدة ثم استهلاك الواردات بصورة غير فنية ومضرة جدا . موارد الثروة العراقية تنقسم الى قسمين :

١ – الموارد الطبيعية وهى البترول والاراضى الزراعية والمياه .

٢ – الموارد الغير طبيعية وهى الزراعة والتجارة والصناعة .

البتـــرول :

يعد في عصرنا من أكبر أسباب الغنى فهو علـى الحقيقة الذهب السيال • آبار نفط العراق هي من أوسع المنابع وأغناها • واذا مدت الانابيب وتوسعت الحفريات يكون عندنا كنز من البترول لا يفنى الا بعد زمن طويل جدا • ولكن ما هي استفادتنا من كل ذلك ؟ هي عبـــارة عن بضعة شلنات عن الطن بصفة أرضية ! والباقي هو حظ الشركات الاجنبية وحظ المستعمرين الذين قسموا نفط العراق على هذه المقياس :

في المـــائة :

٢٣ر٧٥	الى الانكلو پرشيان كمپانى •
٢٣ر٧٥	الى الرويال دوج شـــل •
٢٣ر٧٥	الى جماعة شركات أمريكانية •
٢٣ر٧٥	الى جماعة شركات فرنساوية •
٥	الى المسيو گولبنگيان (أرمني روسى) •
١٠٠ر٠٠	

مائة في المائة من النفط العراقى في أراضي العـــراق هو حظ الاجانب ونحن العراقيين ـ أهل المـــال والارض ـ نشترى النفط لاجل زراعتنـــا ومواصلاتنا وصناعتنا بأسعار عالية فاحشة ! هكذا حرمت الحكومة والشعب من أكبر مورد طبيعي ! ما العمل ؟ لا يمكننا الآن أن نبطل الامتيازات الممنوحة وأن ننكث العهود المقطوعة ولكننا يمكننا أن نستفيد استفادة محدودة ضمن شروط الامتيازات وذلك باجبار الشركات على ايفاء العهود والشروط المتفق عليها بينها وبين الحكومة • وبمراقبة أعمال الشركات مراقبة فنية حتى نتمكن من معرفة كميـة البترول المستخرج وعليه أخذ حصتنا ـ الارضية ـ بتمامها • يجب علينا أن نجبر الشركات ـ في حدود الامتياز طبعا ـ على بيع البترول بأسعار واطئة في العراق وعلى استخدام العملة العراقية وعلى استخدام وتعليم مهندسـين

عراقيين فى أعمال الشركات الفنية • يمكننا عمل كل ذلك من غير الذهاب الى القاضى لان المقاولات تمنحنا هذه الحقوق البسيطة وبعد أن ندخل فى عصبة الامم نقدر أن نستفيد من المادة (١٩) من مثياق الجمعية ونطلب فسخ المعاهدات القديمة التى لم تبن على أساس العدل والمساواة ولربما بهذه الواسطة سوف نتمكن من تعديل الاعوج - وهنا الكل بالكل أعوج - فى المقاولات النفطية •

الاراضى والميـاه :

أرض العراق من أخصب الاراضى يرويها نهران من أشهر أنهر العالم • وكان العراق فى زمن السمريين وفى عهد البابليين وفى أيام الساسانيين وفى زمن العباسيين عبارة عن شبكة قنوات وأنهر تقوم على ضفتيها المزارع الواسعة والبساتين المثمرة والحدائق المزهرة • وكان الفرات ودجلة اذ ذاك يفيضان خيرا وبركة على أبناء الرافدين • ولكن الزمان خرب تلك القنوات والانهر وهدم تلك السدود فهلكت المزارع ويبست البساتين وأمحيت الحدائق واستولى الفقر على أهل البلاد فارتحل عنها من ارتحل حتى أصبحت بلادنا كما نراها اليوم خاوية تعطش فى الصيف وتغرق فى الشتاء • ولكن لا خوف ولا وجل ! فتربة العراق هى نفس تلك التربة ومياهه هى نفس تلك المياه وأبناؤه هم •••• بقايا تلك الاجيال ! فليس من المحال اذن أن ترجع تلك الايام وليس من البعيد أن يسعد هذا القطر ويرجع زاهرا كما كان •••

فما العمـل ؟

هنا الاعمال كثيرة ومنها عسير جليل ومنها بسيط يسير • المشاريع العظيمة هى مثلا حفر القنوات وتشييد السداد التى كانت موجودة فى زمن الرشيد • وغرس غابات صناعية واسعة فى طول البلاد وعرضها • ثم خلق شلالات متعددة فى دجلة والفرات واستحصال القوى الكهربائية منها ••• هذه وغيرها من الامور العظيمة التى لا قبل للعراق أن يقوم بها فى الحال الحاضر • أما الاعمال البسيطة اليسيرة فهى مثلا تطهير الانهر الموجودة • وبنا

سد الحبانية وعقرقوف ، وحفر بضع قنوات جديدة فى المناطق الزراعية . واصلاح وسائط النقل النهرية واستبدال القديم منها بوسائط عصرية ... وفى طاقة العراق أن يقوم بهذه الاعمال من غير احتياج الى « الجبابرة » أو الى زعماء عفاريت فى الاقتصاد لهم أيدٍ من فولاذ !!

الزراعة :

الزراعة عندنا تعد الثروة التى لا تفنى . أما الآن فهى لا تزال فى دورها الابتدائى ومحدودة النطاق . واستفادة العراق من هذا المورد استفادة جزئيه لا تسمن ولا تغنى من جوع . الصادرات الزراعية كلها لا تسد عشر الواردات الصناعية الاجنبية . الزراع عندنا يسعون ويكدون كى لا يموتوا جوعا ... الرقي الذى رأيناه فى السنين الاخيرة هو بطىء جدا لا يستفيد منه الا بعض الاغنياء وأصحاب النفوذ بينما الفلاح المسكين لم يزل فى ذلك الشقاء يقاسى الفقر والسفالة وهو يكرب ويحصد على ذلك الترتيب القديم الذى عرفه أجداده قبل سيدنا نوح عليه السلام . فما يجب أن نعمل ؟

تحسن الزراعة يتوقف أولا : على اتمام المشاريع التى ذكرناها فى فصل الاراضى والمياه . ثانيا : على تطبيق الاصلاحات الآتية (١) : خلق مراكز زراعية فى نقاط عديدة كما فعل الفرنساويون فى مراكش والجزائر . والامريكان فى كاليفورنيا وغيرها من المناطق الغربية . (٢) تحضير البدو وتدريبهم على الزراعة وتربية المواشى . (٣) توسيع نطاق المواصلات وتمديد الخطوط الحديدية الى النقاط المهمة . (٤) تشكيل مصرف زراعى لمساعدة الفقراء من الفلاحين . (٥) استبدال الايدى العاملة بالقوى الميكانيكية . (٦) تسهيل أمر اصدار المحصولات الزراعية والمراجعة مع شركات الشحن المختلفة حتى لا يحصل احتكار فى مسائل الشحن . (٧) حماية الحاصلات الوطنية بوضع رسوم باهظة على الحواصل الاجنبية كالرز الهندى والسمن والجبن والبقول والزيوت النباتية والفواكه والتبالة الخ ... (٨) تقسيم

الأراضى الأميرية على الفلاحين حسب مقدرتهم وبصورة عادلة • (٩) اصلاح اصول الجباية والاعشار •

اذا تمت هذه الاصلاحات أم تم قسم منها فسيرجع العراق مزهرا وتصبح الطبقة العاملة فى عيشة مرضية • واذا زادت الصادرات العراقيـــة كالحبوب والتمور وسائر الاثمار والجلود والصوف والقطن الخ •• تنمو التجـــارة الخارجية ، وهكذا نستطيع استرجاع قسم كبير من ثروة البلاد التى صـــارت تذهب كل يوم الى البلاد الاجنبية بواسطة الادخالات •

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٥ تشرين الثانى ١٩٢٩ •

كيف نعالج أمراضنا الاقتصادية*

- ٢ -

التجـــارة :

موقع العراق على الخط الفاصل ما بين الشرق والغرب كان السبب الاعظم في احياء التجارة العراقية وادامتها حتى يومنا هذا . في الزمان القـــديم كان التجار وأموالهم يمرون بهذه البلاد ذهابا وايابا ما بين افريقيا وأوربا من جهة، والهند والصين من الجهة الثانية . غير ان اكتشاف الطريق البحرى وفتح قنال السويس أنقصا كثيرا تلك الحركة التى هى الآن مع الاسف على وشك الوقوف التام ... فانعزال القطر عن البلاد العربية الاخرى ، واقامة الحدود الكمركية الجديدة من كل جانب أنزلا أهمية التجارة العراقية الى الصفر . ثم ان ايران - سوق العراق الواسع - أخذت تستورد أموالها عن طريق بندر عباس وأبي شـــهر ، فماتت بهذا تجارة الترانسيت التى هى مهمة جدا . ومتى تم انشـاء الخط الحديدي فى ايران ما بين خليج البصرة وبحر الخزر وصارت البـــلاد الايرانية تجلب أموالها قسما من روسيا وقسما من الخليج ماتت التجـــارة الخارجية ودفنت ! فما العمل ؟ هنا الامر ليس هينا لاننا لا يمكننا أن نجبـــر ايران وتركيا والبلاد الاخرى المجاورة لنا على أن لا تتركنا . فتلك البلاد لها سياسة خاصة لا يمكن تبديلها لسواد أعيننا . ولكننا يمكننا أن نرخى الحبـــل الخانق حتى تتنفس نوعا ما تجارتنا وذلك برفع الحدود الكمركية ما بيننا وبين الاقطار العربية الاخرى وبعقد معاهدات تجارية مع تركيا وايران . ثم يجب وصل الخط الحديدى ما بين الشرقاط ونصيبين حتى يتسهل أمر اصدار بعض الاموال الى جنوب وشرق الاناضول . ويلزم أيضا وصل العراق بأقرب وقت ممكن بسكة حديدية مع البحر المتوسط .

بلادنا ليست بلاد صناعية .... فنحن لا نملك المواد الابتدائية التى هى أســاس الصناعات . ثم ان عيشتنا البسيطة وحوائجنا المحدودة وقناعتنـــا الغريزية جعلتنا لا نهتم بأمر الصنائع ورقيها . ولكن الضرورة مع هذا كله قد

علمتنا بعض الصنائع الابتدائية كالنسيج والغزل والدباغة والفخر وعمل الاسلحة الخ ••• وهكذا عاش العراق أعصرا عديدة وهو بغنى تام عن جلب حوائجه من الخارج باستثناء بعض المواد التي لا يملكها ، أما اليوم وقد كثرت الاحتياجات وتبدلت المعيشة فالامر ليس كما كان • غير ان هذا الاحتياط المتزايد لم يأت بخير للصناعة الوطنية ، بل بالعكس انه قد أضعفها ومحاها فان تجددنا وتقليدنا الاوربيين قد أساءا جدا لحياة البلاد الاقتصادية • قبل خمسين عاما كانت البضائع المستوردة من الغرب محدودة جدا لا يمكن الاستغناء عنها كالحديد والنحاس والبلور وبعض الاقمشة الخ ••• بينما اليوم كل أموالنا وحتى المأكولات والمشروبات تأتينا من الخارج وهذا الامر ـ بلا شك ـ يهلك البلاد وينزع ثروتها ويقتل صناعتها •••

كان أجدادنا يستهلكون المنتوجات الوطنية مع بساطتها وخشونتها • وكانت الصناعة تعيش وتنمو بتلك الواسطة ، أما الآن ، فنحن مع الاسف نحمل من رأسنا الى أرجلنا المنتوجات الاجنبية • فعار علينا أن يكون طربوشنا من النمسا ، وبدلتنا من انكلترة ، وقميصنا من فرنسا وكرافاتنا وسدارتنا من ايطاليا ، وحذاؤنا من ألمانيا ، ومنديلنا من اليابان • وعار وكل العار علينا أن نأكل الجبنة الهولندية واللحمة الاوسترالية والسمن الهندى ، وأن نشرب الويسكى الاسكوجي والشراب الاسبانى •••

نرتكب كلنا هذه الجريمة بغية تقليد الغرب من غير خجل وبعد ذلك ندعي الوطنية ونشتم الاجانب ! ما أسهل هذه الوطنية الفارغة !

تجددنا الظاهري هذا قتل كثيرا من الصناعات الوطنية كالحياكة على اختلاف أنواعها وصناعة الاحذية ، والدباغة واستخراج العطريات وغيرها وغيرها •

ان تهافتنا الشديد ـ الذى هو ليس فى محله ـ على المنتجات الاجنبية هو كسيف مسلول على رأس الصناعة الوطنية • فهذه الحالة المؤلمة تكسر

الشجاعة وتنقص حب التشبث الشخصي في قلوب المتشبثين •

حالة الصناعة عندنا تدمي القلب ! كل آنة يصرفها العراقي اليوم يذهب تسعين بالمائة منها الى الخارج • فماذا تكون عاقبة هذا السوء ؟ الافلاس الذى لا مفر منه ! على أن الاسر الاقتصادى أتعس من الاسر السياسى ! فما العمل ؟

هنا يجب علينا كلنا أن ندافع ونكافح • لان الحكومة وحدها لا تقدر أن تبدل الحالة • فعلى الطبقة المنورة أن تفتح عيونها ، وتتخذ التدابير اللازمة لتأسيس دعاية واسعة النطاق لاستهلاك الحواصل والمصنوعات الوطنية • وعلى الشعب أن يحذو حذو الشعوب المنتجة كاليابان والاتراك والروس الذين كانوا مثلنا قبل عشرات السنين ••• وعلى الحكومة أن تهتم بالامر بصورة جدية • وتأخذ النقاط الآتية بنظر الاعتبار :

١ ـ تأسيس لجنة مقتدرة لسن قانون خاص لحماية المنتجات الوطنية •

٢ ـ استبدال أنظمة الكمرك الحالية السقيمة التى صيرت العراق سوقا مفتوحا للمعامل الاجنبية ، بأنظمة جديدة تحمى المعامل الاهلية •

٣ ـ وضع رسوم كمركية باهظة جدا جدا على المواد الاجنبية الآتية :

أ ـ المشروبات الروحية •

ب ـ العطريات والدهون المعطرة والمساحيق وغيرها من الكماليات •

ت ـ الانسجة الحريرية •

ث ـ المأكولات على اختلاف أنوعها •

ج ـ الدخان والسكاير •

ح ـ الجلود المدبوغة والاحذية على اختلاف أنواعها •

خ ـ الصوف والقطن المغزول •

د ـ القرميد والكاشي والاوانى •

ذ ـ الموبليا الحديدية والخشبية على اختلاف أنواعها •

٤ ـ تأسيس بنك صناعى لمساعدة المعامل الوطنية كي ترقى وتتوسع •

٥ ـ احداث معرض سنوى للمنتجات الوطنية •

٦ ـ ترتيب دعاية واسعة منظمة •

بهذه الوسائط يمكننا بكل سهولة تحسين حالة الصناعة التى هى الآن فى حالة النزع •

درسنا حالة الموارد العراقية • ولنقل الآن كلمتنا حول استهلاك الواردات فى بلادنا : يجب حالا تنسيق جيش الموظفين وانزال عددهم الى الحد الصفر • فالفائدة ليست بالكثرة ولكن بالمقدرة • فلنضع الموظفين الكبار والصغار فى غربال العدالة ولنكتف بما يبقى من المفيد الضرورى • فثروة العراق لم تخلق لجيوب المستهلكين وطنيين كانوا أم غير وطنيين •••

أمر اصلاح اقتصاديات العراق ليس بالامر الهين • فنحن لا نجهل ذلك انما نقدر كل الصعوبات حق قدرها ••• ولكن همة الرجال تقلع الجبال ونحن بأشد الحاجة الى قلع الجبال السياسية والمالية السقيمة كى يسهل طريقنا المؤدى الى عصبة الامم والاستقلال التام •

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٨ تشرين الثانى ١٩٢٩ •

حرية البحـــار*

[ان قضية حرية البحار تشابه كثيرا قضية نزع السلاح • فقد كثر الاخذ والرد حولها واجتمعت الوفود هنا وهناك ولـم تأت بالنتيجة وقد قضت الحرب العالميـة الثانية عـلى كل تلك النوايا الحسـنة والمناورات •]

حرية البحار ! حرية البحار !

منذ سنين عديدة ونحن من وقت الى آخر نسمع هذه الكلمات المصطنعة. سمعنا بحـرية البحار لاول مـرة فى مؤتمر فرساي وكانت اذ ذاك احدى المواد الاربعة عشرة التى وضعها الرئيس ويلسون على طاولة الصلح • ولكن المستر لويد جورج وأعوانه نجحوا فى دفن حرية البحار وحرية الشـعوب وغيرها من الحريات فى قعر البحار ••••

ومع ذلك فالامريكان لم ينسوا تماما هذه العبارة ولاجله نراهم فى كل فرصة يترنمون بل ويعيدونها ويصبغونها ويطلونها فيزعجون راحـة بال الانكليز • هذا لان الانكليز يكرهون هذه النغمات كراهة التحريم •••

حرية البحار ! حرية البحار !

فما معنى هذه العبارة التى أصبحت مشهورة منذ الحرب ؟ لماذا يلـح الامريكان هذا الالحاح على حرية البحار ؟ لماذا يتخوف الانكليز من ذلك ؟

حرية البحار الحقيقية تعنى ان البحار كلها ملك مشاع بين جميع الامـم من غير استثناء • فيمكن اذن لكل حكومة أن تستفيد من هذا الملك من غـير خوف ومن غير وجل وأن ترسل سفنها التجارية بكل اطمئنان الى أية نقطـة كانت • فلا يحق لاحد أن يحكم على البحار ولا صلاحية لاى اسـطول أن يفتش حمولة السفن التجارية طالما هذه السفن لا تدخل فى المياه الساحلية • وهذه الفكرة الواسعة تقضى بوجود قوة بوليس بحرية أممية لتأمين النظـام ومنع الاعتداء فى الابحر فلا يبقى اذن لزوم للمدرعات والغواصات والطيارات

البحرية لان البوليس البحرى الدولى يقوم بوظائف الامن ويعاقب القرصان ويراقب تجارة الرق الخ ...

هذا معنى حرية البحار الحقيقية ولكن هذه فكرة خيالية لا يفكر أحد فى تطبيقها . فالامريكان ـ دعاة حرية البحار ـ أنفسهم لا توافقهم هذه الحرية الواسعة . اذن ماذا يريد الامريكان ؟

الحرية التى يقصدها أبناء العالم الجديد هى محدودة ومبنية على فلسفة اقتصادية لا علاقة لها مع الحرية الحقيقية .

لما انفجرت الحرب العامة أخذت أمريكا تشحن السفن الواحدة تلو الاخرى ، وترسلها الى انكلترا وفرنسا . وكان سائقها الوحيد لهذا العمل هو التجارة والاستفادة من الفرصة فهى ربحت واستفادت كثيرا من اصدار الاموال والبضائع والاسلحة والذخائر الحربية التى باعتها بأسعار عالية جدا . غير ان هذه التجارة المذمومة أضرت الالمان ونفعت أعداءهم نفعا عظيما . فكانت أمريكا كمعمل عظيم يشتغل فيه مائة مليون أمريكى لتسهيل أمر الحلفاء .

هذا الامر جعل الالمان يراقبون السفن الامريكية ويفحصون حمولتها وصارت الغواصات الالمانية تغرق السفن التى تحمل الاسلحة والذخائر الحربية المرسلة الى الحلفاء وهكذا عطلت نوعا ما التجارة الامريكية . فضاق خُلق الامريكان من هذا العمل وصعد الدم فى رأسهم فدفعهم الى اعلان الحرب على ألمانيا .

وبعد انتهاء الحرب رأى « العم سام » ان التجارة خلال الحرب « شغلة » مفيدة جدا لانه قد ربح أرباحا هائلة وامتلأت جيوبه من الذهب الرنان غير ان مراقبة الالمان على سفنه لم ترق له اذ كانت سببا لاعلان الحرب .

هذه الحوادث جعلت الامريكان يبحثون وراء واسطة أمينة تضمن لهم المنافع المادية فى المستقبل فخلقوا فكرة «حرية البحار» وهم كما قلنا لايقصدون من ذلك « الحرية المطلقة » بل يقصدون « الحرية المحدودة » المبنية على الاسس الآتية :

١ ـ المياه الساحلية لا تتجاوز ٣٠ ميلا عن الارض .

٢ ـ عند نشوب حرب بين حكومتين أو بين جماعتين من حكومات متعددة ، لا يحق لاحد الطرفين المتنازعين أن يفتش حمولة السفن العائدة الى أية دولة محايدة طالما تلك السفن لا تدخل فى المياه الساحلية .

ومعنى هذين الشرطين ان المحاصرة البحرية تكون محدودة القطر لا تتجاوز ٣٠ ميلا عن الساحل ولنأت بمثال حتى نوضح النظرية الامريكية ، مثلا اذا نشبت حرب بين ألمانيا وفرنسا فعلى موجب « حرية البحار » لا يحق لالمانيا أن تفتش السفن الامريكية التجارية فى المحيط الاطلسى كما جرى خلال الحرب العظمى . لكنها يمكنها التفتيش اذا وجدت هذه السفن فى المياه الفرنسية . كما انه لا يمكن لفرنسا أن تراقب السفن التى تقصد ألمانيا الا فى بحر البلطيق وبحر الشمال وذلك فى القرب من الشاطىء الالمانى . فهذا الوضع ينزل تأثير المحاصرة البحرية الى الحد الصفر . اذ لا يستطيع اسطول احد الطرفين المتنازعين أن يقترب من غير خطر الى ساحل العدو ، وهكذا تسلم السفن التجارية من عاقبة التفتيش فيستفيد المحايدون من « اللعب على الحبلين » . هذه هى غاية الامريكان من تلك النظرية اللامعة ! أما الانكليز فهم ولا شك مخالفون لكل فكرة من هذا النوع . لانهم منذ أتلف « نلسن » الاسطول الفرنسى فى واقعة « ترفلجار » يملكون سيادة البحار فلا يريدون ضياعها . ثم الامبراطورية البريطانية تتكون من عدة أقطار تفصلها البحار الواسعة فمحافظة تلك المستعمرات منوطة بتلك السطوة البحرية . ولذا عدل الامريكان عن وضع قضية حرية البحار فى مؤتمر تحديد التسليح البحرى المقبل وذلك كرامة لخاطر الانكليز الذين بالمقابلة سمحوا لاميركا أن تكون متساوية لهم فى قوتهم البحرية سنة ١٩٣٦ .

هذا هو باطن الامر فى مسألة « حرية البحار » وهى من نفس فصيلة « الحريات » الاخرى التى يتغنى بها أصحابنا المستعمرون !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٢ تشرين الثانى ١٩٢٩ .

انكلتـــرة والهنـــد*

[ان أعوص قضية فى العالم كانت قضية الهند التى استعمرها الانكليز ثلاثة قرون وكانت الجوهرة الكبرى فى تاج الامبراطورية . فلما أرادت حكومة العمال منحها بعض الحرية فى الادارة المحلية واعتبارها عضوا فى « الكومنولث » قامت قيامة المحافظين والاحرار ...ولولا الحرب العالمية الثانية لما تبدلت الاوضاع وتجددت الآراء .]

قامت القيامة فى انكلترة على أثر البلاغ الذى أصدره اللورد « ايرفين » نائب الملك وحاكم الهند العام بخصوص منح الهند فى المستقبل وضعا سياسيا جديدا كوضع « الدمنيون » أى « المستعمرات البيض » ككندا واوستراليا وافريقيا الجنوبية ... والذين أقاموا القيامة هم طبعا الاحرار والمحافظون على اختلاف أنواعهم لانهم ناقمون أشد النقمة على تساهل العمال مع الاقوام الشرقية ولا سيما مع الهنود ... فلا عجب اذا رأينا زعماء الاستعمار البريطانى يغضبون ويصرخون فى وجه كل حركة اصلاح تمس حالة الهند السياسية هذا لان البلاد الهندية هى منبع الثروة البريطانية الفياض . فالسعادة والرفاه والعز والرخاء التى يتمتع بها الارستقراطيون الانكليز هى محصول الهند . — تلك البلاد الواسعة التى يسكنها ثلاثمائة مليون نفس — ثلثمائة مليون مملوك يشتغلون ويكدون لاسعاد طبقة محدودة فى الجزيرة البريطانية .

وهؤلاء المستعمرون كعادتهم المعلومة يدعون ان وجودهم فى الهند نعمة كبيرة لهذه البلاد وانه لولاهم لاكل الهنود بعضهم بعضا ... قصة قديمة لا تحتاج الى شرح ولا الى تحليل ! نظرية مكسرة يتعكز عليها كل مستعمر فى العالم أينما حلّ ... !

لا نريد الآن أن نحلل السياسة التى استعملها المستعمرون فى الهند

منذ ثلاثة قرون فهذه يعرفها اليوم ـ مع كل دسائسها وحواشيها ـ حتى الاطفال ! ولكننا نريد أن نبين لاولئك الطماعين ان لكل شيء حدا وميزانا ! فكفى هذه المخادعات تجاه الاقوام الشرقية وليس فى تكرار الكلمات الرنانة اليوم شيء من الذوق !! الهند هى مستعمرة انكليزية بكل معانى الكلمة فلا تأويل ولا تفسير ! الانكليز استفادوا من خضوع الهنود وضعفهم بكل صورة مشروعة أو غير مشروعة وذلك منذ ٣٠٠ سنة .

فاللوردات اليوم وعلى رأسهم اللورد « ريدينغ » والمحافظون ورئيسهم المستر بلدوين ، والاحرار مع شيخهم المستر لويد جورج وغيرهم من االسياسيين وأصحاب رؤوس االاموال والطماعون لا يعجبهم تبديل وضع الهند ـ هذه البقرة الحلوب التى حلبوا حليبها ولحسوه كل هذه السنين !.. الهند فى وضعها الحالى ضمن الامبراطورية البريطانية تذكرنا « بحمالة الحطب » فهى التى تكد وتسعى كى يغتني الانكليز . وهى التى ترسل الدراهم والجيوش لاخماد الثورات . وهى التى تفتح البلدان لتوسع نطاق الامبراطورية وهى التى تدفع قسما كبيرا من مصاريف عصبة الامم . وهى التى تحارب الافغان ، وتحارب الاتراك وتحارب الاعراب وتحارب المصريين وتحارب السودانيين ، وتحارب كل من يرفع رأسه أمام الانكليز !...

فهى تعمل كل ذلك وأكثر من ذلك وهى فى الوقت عينه « تأكل الكفخات » من أسيادها كلما حاولت رفع رأسها ! أما المستعمرون فهم يودون بقاء هذه الحالة من غير تبديل كى يستفيدوا ويسرحوا ويمرحوا الى يوم يبعثون . ولذا نراهم يستعملون كل الوسائط لتخدير أعصاب الهنود وارهابهم واقناعهم . وهم عندهم رجال يبطشون كالجنرال « داير » وسياسيون من أصحاب خيط الوبر الناعم المتين كاللورد ريدينغ وأمثاله . ولهم جماعات كبيرة ناشئة فى مدارس الاستعمار تدير امور الهند حسب ذوقهم وارادتهم غير مبالين بحالة الهنود التعيسة وعيشتهم المرة !

فهذه الجماعة وأتباعها أقاموا القيامة على حكومة العمال بمناسبة البلاغ الذى أصدره اللورد « ايرفين » فى الهند . فلا عجب ولا استغراب ! غير ان العمال والمنصفين من الانكليز رأوا ان دوام الحال على هذا الخط أمر لا يمكن وهم يردون أقوال خصومهم قائلين : رأينا كل الخير والبركة من الهند التى استعمرها أجدادنا قبل ثلاثة قرون وبما اننا الآن فى عصر الحرية والعدالة وعصر انتباه الاقوام الشرقية فلا يمكنا أن نستمر على استخدام الهنود كما استخدم فرعون بنى اسرائيل قبل خمسة آلاف من السنين ! والطمع الكثير مضر . « طمعه قتله » ! ولاجل رفع الخطر عن سلامة الامبراطورية وحفظ شرفنا يجب علينا أن ندرس الآن قضية منح الهند استقلالا داخليا ووضعا جديدا كوضع المستعمرات البيض ... اقتربت ساعة انجاز العهود ... كفانا أن نعد من غير أن نفي ! وأنتم ايها المحافظون والاحرار كنتم قد وعدتم الهنود بذلك الوضع عدة مرات ولكنكم كعادتكم المشهورة لم تفوا بوعدكم !

« نحن لم نأت الآن بشىء جديد اذ هذه الخطة كانت مرسومة قبل اثنى عشرة سنة فنريد الآن أن نشتغل بصورة جدية ونترك الاقوال الفارغة . فأكرمونا بسكوتكم ! خوفكم ليس فى محله ! الهند ستبقى « هندنا » وستبقى مربوطة بحبال الامبراطورية المتينة . واستقلال الهند الداخلى المحدود سوف لا يبدل وضعية امبراطوريتنا . وبدل ثلثماية مليون أسير معادٍ سيكون عندنا ثلثمائة مليون صديق مطيع فى بلاد الهند . » هذا والزمان سيرينا اصابة رأي العمال ورشد سياستهم ومع كثرة الموانع وشدة المعارضة يتأمل الانسان نجاح العمال فى هذه القضية وفى القضايا الاخرى - وفى ضمنها قضية عراقنا المحبوب - التى وان حسموها بشىء من الانصاف جلبوا للعالم ولانكلترة نفسها جانبا من الخير لا يستهان به ! فهل العمال عاملون ؟ وهل المحافظون يدعوهم يعملون ؟

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٢ تشرين الثانى ١٩٢٩ .

كيف نصلح معارفنـــا*

[كانت حالة المعارف عندنا أيـــام الانتداب مؤسفة ومؤلمة والفوضى ضاربة أطنابها فى التدريس والبعثات والمحسوبية والمداخلات كانت هى الاساس ... وأكثر وزراء المعارف فى ذلك العهد كالطرشان فى الزفة لا يسمعون ولا يفقهون .]

لكل أمة منهاج دراسى خاص يرتبط بسياستها الداخلية والخارجية . فالدراسة الروسية مثلا مبنية على أسس الاشتراكية واللادينية ، وفى ايطاليـا الفاشية حلت محل الاشتراكية وذلك حتى فى المدارس الدينية فسياسة ايطاليا الدراسية هى مصبوغة بلون الفاشية الاسود ، لون الوطنية المتطرفة . فرنسـا منذ سنة ١٩٠٤ قبلت الاصول « اللائيكى » مع وحدة الدراسة فى كل بلادها . ولاجله أكثرية الطبقة المتعلمة اليوم فى الجمهورية الافرنسية هى لائيكيـــة دمقراطية . كانت تركيا فى زمن الاتحاديين تعقب فى مدارسها سياسة « اتحاد الاسلام » ومن بعد ذلك نظرية « اتحاد الاتراك » ولكن جمهورية مصطفى كمال الحديثة بدلت تلك السياسة فصارت تدور على محور الوطنية اللائيكية .

اليابان ، أخذت تقلد فى مدارسها سياسة القومية الغربيـة وذلك منـذ نصف قرن وهى نجحت تماما فى مهمتها . والروح السائدة فى التربيـــة والتعليم الامريكية « الرأسمالية والدمقراطية » . والعسكرية مسيطرة تمامـا على سياسة ألمانيا الدراسية قبل الحرب ولم تزل تلك الروح القديمة تدافع مع الدمقراطية الجديدة . الاستعمار والتجارة يعدان من أقوى أعمـــدة الدراسة البريطانية .

وهكذا لجميع الشعوب الراقية سياسة دراسية توافق وضعها وموقعهـا واحتياجاتها . فلا يحصل الرقي المقصود من غير تلك السياسة كما انه لايمكن تشييد بيت عصرى من غير رسم « المخطط » المقتضي . لذلك اذا أردنا اليوم

أن نصلح حالة معارفنا بصورة أساسية يجب علينا أولا أن ندرس الوضعية من الجهة السياسية والمحيط ثم نخط خطة موافقة لحالة البلاد ونمشي حتى نصل الى الغاية المطلوبة • لاننا لا يمكننا أن نتخذ منهاجا جديدا ونقلد احدى الامم ألاوربية بلا قيد وشرط • فلا يمكننا اليوم أن نطبق في بلادنا المنهاج الفاشستي ولا البولشفيكي ولا التركي ولا الفرنساوي ولا الانكليزي • لان وضعنا السياسي وموقعنا الجغرافي وحياتنا الاجتماعية لا تساعدنا على ذلك • ثم ان بقاءنا على ما نحن عليه الآن هو أيضا عين الغلط لان سياستنا المدرسية الحالية ليست هي سوى مزيج عربي ـ عثماني ـ هندي ـ انكليزي لا يأتي بفائدة محسوسة • فما العمل حينئذ ؟

يجب قبل كل شيء أن نثبت أسس « سياسة المعارف • هذا هو رأس الشليلة » فاذا وجدناه ، يسهل علينا حل العقدة • في نظرنا ان منهاجنا الدراسي يجب أن يكون مبنيا على أساس «عراقي ـ عربي» • عراقي فيما يخص البلاد وسياستها الداخلية • وعربي فيما يخص السياسة الخارجية في المستقبل • ومعنى ذلك ان غاية الطبقة المتعلمة عندنا تكون أولا ـ استقلال العراق ورقيه ورفاهه • وثانيا ـ السعي على تأسيس الوحدة العربية • وهكذا السياسة الدراسية تكون مربوطة بسياسة البلاد العامة • فاذا وضعنا هذا الاساس تحصل عندنا دراسة دمقراطية ـ وطنية ، قومية • وهذا في نظرنا أحسن الطرق في الحال الحاضر • فيجب اذن أن نضع هذه النقطة أمام أعيننا ثم نسعى باصلاح المعارف ويلزم أن نبتدىء بهذا الاصلاح من خمس نقاط :

١ ـ مكافحة الامية •

٢ ـ توحيد مناهج الدراسة •

٣ ـ اصلاح المدارس الدينية •

٤ ـ حالة الطبقة المتعلمة •

٥ ـ البعثات العلمية •

مكافحـــة الاميـــة

لا نبالغ اذا قلنا ان خمسة وتسعين في المائة من سكان العراق هم أميون : فلا تتم الغاية الوطنية اذا بقيت هذه النسبة الهائلة على حالها فيجب اذن معالجة هذا الامر حالا وذلك بتطبيق اصول التعليم الاجباري وتكثير عدد المدارس الابتدائية في النواحي والقرى والاهتمام بتعليم أولاد الشيوخ وفتح مدارس للاميين في الحواضر وبث الدعاية اللازمة بين العشائر البدوية والفلاحــين لتعلم القراءة والكتابة .

توحيـــد الدراســـة :

مدارس العراق اليوم تشبه كسوة أهل العراق ... فكما ان عندنا من يلبس السدارة والطربوش والعمامة والكشيدة والعقال واليشماغ والبرنيطة الخ ... كذلك تختلف مدارسنا وتتنوع في اصول دراستها . عندنا مثــلا مدارس الحكومة ذات المنهاج المزوج . وعندنا من المدارس الاهلية أنــواع وأشكال ... لاجل ذلك نرى متخرجي مدارسنا ينشأون وهم ذوو صبغـة يختلف لونها حسب منهاج المدارس التي تعلموا فيها . فلا يرى الانسان بينهم رابطة معنوية الا اللهم اذا استثنينا رابطة « حب الوظيفة » فما أكبر الفرق بين عقلية التلميذ المتخرج من احدى مدارس الحكومة والمدارس الاخــــرى كالاليانس واللاتين والامريكان والارمن الخ ... وعدم وجود رابطة قوية بين صفوف الطبقة المنورة يأتي من اختلاف مناهج المدارس ومن عدم وجـود سياسة دراسية موحدة في معارفنا . فعلينا اذن أن نسعى الى وجود حل موافق لهذه القضية المهمة لان توحيد الدراسة أمر ضروري لرقي المعارف عنــد الاقوام الحديثـــة .

اصلاح المدارس الدينية :

كلنا نعرف حالة المدارس الدينية عندنا فلا حاجة للوصف والبيـــان ولكنني أريد أن أنقل قصة مضحكة مبكية وأكتفي بها . في ســـنة ١٩٢٢

تعرفت على أحد « الملالي » الذى كان يقوم بوظيفة مدرس العلوم الدينية فى احدى مدارس الحكومة وهذا المدرس كان متخرجا من مدرسة دينية عصرية حيث حصل « العلم » وقبض المخصصات خلال عدة سنين • والذى جلب دقتي فى ذلك المدرس هو عدم اعتقاده فى الفنون والعلوم العصرية اذ كان ـ سلمه الله ـ لا يعتقد فى كروية الارض وحركتها ويعد ذلك الاعتقاد خروجا عن الدين • فانى أردت يوما ان أدخل هذه الحقيقة فى دماغه فشرحت له النظريات البسيطة وجاهدت جدا فى اقناعه ولكن من غير نجاح لانه أجابنى هكذا :

ـ سبحان الله كيف تكون الارض مدورة ؟ أتنسى قوله تعالى •• « وجعلنا لكم الارض بساطا ••• » فالبساط هو مسطح وعليه الدنيا مسطحة ••• » ولما رأيت ان الشغلة دخلت فى هذا الباب أجبته قائلا :

ـ وانت أتنسى ان سبحانه وتعالى الذى خلق الانس والجن والارض والسموات وخلقنى وخلقك قادر أن يخلق بساطا مكورا ؟ فهل تنكر قدرة الخالق وأنت مؤمن بالله ؟

فلما سمع ذلك حار فى أمره وسكت ولكن بعد برهة قال :

ـ طيب مسألة التكوير الله يعلم بها ولكن كون الارض متحركة هذا كذب فى كذب ••• فاذا كانت الدنيا تدور كما انت تدعي فلماذا تريد أن تسافر وتذهب الى برلين ؟ ••• ابق فى محلك هنا وبرلين تأتى اليك !

ولما سمعت بهذا المنطق الغريب تركت الرجل وأنا متعجب لا من دماغه ولكن من كونه مدرسا فى احدى مدارس الحكومة وكونه فى السابق « طالب علم » ! هذا هو انموذج متخرجى تلك المدارس وطبيعى أن هناك ما يستثنى ويخرج عن هذه الفصيلة ولكن هذه القصة ترينا حالة تلك المعاهد العلمية وما يدرس فيها !!! هذا ما كان قبل بضع سنوات ، ولا أدري الى أية درجة قد اصطلحت الحالة الآن • وعلى كل حال يجب علينا أن نصلح الحالة

اصلاحا تاما ، وأن لا نصرف المبالغ الطائلة الا مقابل عوض حقيقي وفوائد وافية • فقد حان الوقت الذى يجب أن يكون لنا فيه طبقة علماء دين متعلمة ومنظمة ومستعدة للارشاد والتبشير على ترتيب المبشرين الغربيين •

الطبقــة المتعلمة :

مدارسنا العالية فابريقة لعمل الموظفين ! نحن لا ننكر ضرورة وجود الموظفين فى المجتمع بصورة معتدلة ولكن اذا زاد عددهم وتجاوز الحد يكون الضرر أكثر من النفع ولذا فان استفادة بلادنا من الطبقة المتعلمة ناقصة جدا بل وحتى فى بعض الاحيان معدومة بالمرة فالشاب العراقى اليوم ــ مــع استثناء البعض ــ هو شاب ذكى ذو معلومات متوسطة ولكنه غير مقتدر أن ينتــج أو يقوم بتشبث شخصى ولذا تراه يكتفى بالوظيفة ويقنع بالراتب ويقف عند هذا الحــد •

فهذه الحالة تؤدي بنا فى النهاية الى « البوروقراطية » أى الى وضــع استهلاكى يعود خيره الى غيرنا من المتشبثين والمنتجين • لذلك يلزم أن نغرس فى قلوب الطلاب حب التجارة والزراعة والاعمــال المنتجة وأن نسعى الى تبديل عقليتهم التى أصبحت الآن أسيرة التوظيف •

البعثات العلميــــة :

ماليتنا لا تساعد على انشاء كليات عصرية واسعة ككليات الامم الغربيــة ولذا أجبرتنا الحاجة أن نرحل الى الغرب لتحصيل العلوم ودرس ما يقتضى درسه عند الاقوام الراقية • غير ان اهتمامنا الآن فى مسألة البعثات العلميــة ليس كافيا • وعدد التلاميذ العراقين فى أوربا وأمريكا محدود جدا • وبينما نرى ايــران ومصر وتركيا والافغــان ترسل الطلاب بالمئــات نكتفى نحن بالعشرات فقط •••• هذا خطأ كبير يجب اصــلاحه وتعديله وذلك بزيادة عدد البعثات وانتخاب التلاميذ الفقراء الذين لا يمكنهم أن يكملوا دراستهم لضعف ماليتهم • ثم يقتضى تعين خطــة دراسية لهؤلاء الطلاب بالنسبة الى

حاجات البلاد وتأسيس رقابة جدية على التلاميذ فى الخارج حتى تحصل الفائدة المطلوبة •

ولا خير فى أن نرسل على نفقة الامة من يجب أن لا يتكلوا على جيب الشعب من أولاد الاغنياء والباشوات والبيكات الذين فى أكثر الاحيان يصرفون الكثير من دراهمهم ووقتهم فى محلات الانس واللهو ثم يرجعون الى بلادهم متفرنجين فى الظواهر وليس فى رؤوس بعضهم سوى الدانس والبوكر والويسكى • فهؤلاء يمكنهم السفر على حسابهم وليس من المعقول أن تصرف الامة عليهم • هذه بعض ملاحظاتنا حول اصلاح المعارف فى العراق • عسى أن يجدها زعماء التربية والتعليم مفيدة •

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٦ تشرين الثانى ١٩٢٩ •

عبد المحسن السعدون*

[انتحار عبدالمحسن السعدون هز العراق هزة عنيفة لا مثيل لها . فكان أول وآخر شهيد من نوعه ... نعم كان الوحيد فى العراق فى تفضيل الكرامة بالموت على الذل بالحياة .. وسيعيش السعدون طالما العراق عائشا ويبقى اسمه خالدا خلود الانبياء ...]

ليس الشهداء فى ميادين الحروب وعلى أعمدة المشانق وحدهم شهداء .... فأنت يا سعدون أيضا شهيد ومن أعظم الشهداء الذين يسقطون صرعى فى المعارك الدامية والذين يرتفعون الى الموت بحبال تجرها أيدي الاعادى والذين تسقط رؤوسهم تحت سيوف الجلادين والذين يتركون الانفاس فوق المحرقات الملتهبة وهؤلاء عددهم كثير وأسماؤهم تملأ صحائف التاريخ .... غير ان اولئك الذين يفضلون ظلمات القبور الباردة على كراسى الحكم الناعمة وعلى المال والجاه ، اولئك المخلصون الذين يسفكون دماءهم بأيديهم كى لا تتلوث اسماؤهم . اولئك الرجال هم قليلون ... بل نادرون ... فأنت يا سعدون أحدهم وكنت الوحيد فى العراق !...

ما أكثر زعماء الوطنية الكاذبة فى مشارق الارض ومغاربها ....

ما أكثر المخادعين الذين يسبحون باسم الوطن بكرة وعشية كى يحصلوا على ما تضمره قلوبهم الطامعة .

ما أكثر أصحاب اللسان المتغلب الذين يمكرون على الله وعلى الناس حتى يستردوا ما فى صدورهم من العواطف الذميمة والاهواء الرذيلة .

نعم انهم كثيرون ، ونراهم فى كل زمان ومكان ، نراهم فى كل يوم ، نراهم فى كل ساعة ، نراهم فى كل لحظة !

أما أنت يا سعدون فوالله لم تكن منهم وبُعدك عن تلك الجرائم أكبر

من بعد الشمس الطاهرة عن الأرض الملوثة القذرة !

رأينا في السعدون النزاهة والاخلاص والعفة والاباء ومائة مزية أخرى في قيد حياته وهو اليوم يرينا الشجاعة وعزة النفس ومائة عبرة أخرى في دمه المهـــراق ...

لنا في تلك الحياة وهذا الممات دروس عميقة تزيد في قلوب أصـحاب الشهيد العظيم الحب والحرقة والتبجيل والتقديس وتزيل الشكوك والتـــردد من صدور أعدائه المتهورين .

فاليوم العدو والصديق والصغير والكبير والبعيد والقـــريب يركعـون أمام قبرك بكل حرقة وخشوع .... فمنهم من يطلب عفوك وصفحك نادما، ومنهم من يبكيك آسفا ومتوجعا ، ومنهم من يندبك متحسرا ويأسـف عـــلى قضية الوطن التي تركتها من بعدك وهي غير محلولة ...

فكل هؤلاء يا سعدون يبكونك ويقدسونك ! وكل عين في العراق اليوم دامية وكل قلب مضطرب وكل صدر منقبض لموتك ! غير ان هذا الموت قـد أوقد شرارة الانتباه في عيون أهل العراق وأضرم نار الوطنية في قلوبهـــم وقوى ايمان الاستقلال في صدورهم !

* * *

يقول البعض ان الانتحار عجز وضعف ... نعم هذا صحيح ولكن في الامور الشخصية فقط ... فشهادة السعدون لم تكن لاسباب شخصية ولـذا ليس هنالك عجز أو ضعف ، بل بعكس ذلك هنالك شجاعة وجرأة ... لان الفقيد الكبير كان يتمكن أن يترك السياسة ويرتاح من عناء الاشغال العامـــة ولكنه رأى في ذلك هزيمة وعارا فمزق قلبه بيده ! ذلك القلب الذي ســئم المواعيد الخاوية والمعارضات الفارغة وأساطير كل عون أو صاحب لا يعـــين ولا يكون « ظهيرا » فالذي أهلك السعدون هو نار بيضاء ناصعة أوقدتهـا عزة

النفس وحب الوطن ... هذه حقيقة يعترف بها اليوم الاصحاب والأعداء ...
أما الآن وقد ظهر الحق وزهق الباطـل فعلى أبناء العراق أن ينحتوا تمثـالا
للوطنية والاخلاص ويكتبوا تحته :

« عراقي فضل الحرية فى الموت على الاسر فى الحياة » .

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٥ كانون الاول ١٩٢٩ .

من جنيف الى بغـــداد*

[قام المسيو « وليام مارتن » بجولة في البلاد العربية سنة ١٩٢٩ وكتب ما كتب عن رحلته حول مختلف الاقطار ومنها العراق فكان لابحاثه صدى قويا في مختلف المحافل السياسية الاوربية وذلك لانه يعد من أكبر النقاد والكتاب في أوربا وجريدته « الجورنال دوجنيف » كانت لها مكانة رفيعة بين الصحافة العالمية ...]

لكل ما يكتبه المسيو ويليام مارتن أهمية كبيرة فى كثير من المحافل السياسية الاوربية . هذا لان المسيو مارتن صحفى قدير ومؤرخ شهير وناقد ذو فكر عميق ونظر بعيد وهو فوق كل هـذا يحب السلم العالمى والسعادة البشرية ويعتقد كل الاعتقاد فى عظمة المدنية الاوربية وله ايمان لا يتزلزل فى الحضارة الافرنسية ومقدرة عصبة الامم !...

لهذه الاسباب ان ذهاب المسيو مارتن الى البلاد العربية له خطورة كبيرة فى نظرنا ، كما ان مقالاته حول تلك البلاد لها أهمية عظيمة فى نظر العرب أجمعين . فيجب علينا اذن أن نقرأ وندرس بكل دقة وامعان ما كتبه هـذا الصحفى الكبير وما سيكتبه عن بلادنا . لندرس الآن ما كتبه المسيو مارتن عن العراق تاركين قضية الاقطار العربية الاخرى لوقت آخر .

كتب المسيو مارتن مقالين حـول العراق وهما « بغداد » و « حكومة العراق »[1] . المقال الاول هو تاريخى ـ اجتماعى ـ أخلاقى ـ سياحى ابتدأ فيه الكاتب المؤرخ ، كالعادة ، بذكر هارون الرشيد وألف ليلة وليلة ... أقول كالعادة لان الغربيين كلهم من كبيرهـم الى صغيرهـم ومن عاقلهم الى أحمقهم عنـدما يسمعون كلمة « بغداد » أم « بغـدادى » تنفتح قريحتهـم

(١) نشرت الجورنال دى جنيف هذين المقالين فى ٢١ و ٢٣ نوفمبر ١٩٢٩ .

ويأخذون يتكلمون عن هررون الرشيد وألف ليلة وليلة ...

غير ان المسيو مارتن فى هذه المسألة طلع « أشطر » من غيره لان قال ان بغداد اليوم تشبه بغداد أيام الرشيد ، وان « بغداد ألف ليلة وليلة » لم تكن يوما موجودة فى عالم الحقيقة بل هى عبارة عن أوهام وخيالات ... وبعد هذه المقدمة أخذ المحرر المحترم يصف بغداد الحاضرة : الجادة .... سوق الصفافير .... رأس الجسر ... منارة سوق الغزل الخ ... ثم صار يتكلم حول كسوة الرجال والسدارة ولباس النساء « العبي السود والبيض والحمر والخضر » ثم دخل فى مسألة السيارات والبوليس والحمير التى تمر بالشارع العام والاباعر التى تمر بـه من بعد الساعة التاسعة مساءً ... وهكذا انتهى المقال الاول ....

كل من عنده انصاف يرى ان محتويات هـذا المقال كلها صحيحـة ومضبوطة ونحن لا نشك فى وجود سوق الصفافير ومنـارة سوق الغزل فـى بغداد كما اننا لا نشك فى أن المسيو مارتن رأى فى الجادة سربا من الحمـير والاباعر والبغال ....

هذا كله صحيح وان الله لا يستحى من الحق ...

طبيعى ، فى بغداد لا يوجد كل ما هو موجود فى جنيف ... فلا بد من أن هنالك فرقا ولو صغير – مثلا – ما بين طرقعات سوق الصفافير وطقطقات عصبة الامم فى جنيف ... ولكل بلد خواص ولكل قوم عادات !

غير ان الامر الذى لا نقـدر أن نفهمه هـو اهتمام المسيو مارتن بهذه « السوالف المكسرة » التى هى من بضائع السياحيين البسطاء وتركه المسائل الحيوية السياسية ... ولكن بما ان المسألة هنا مسألة ذوق فـلا يحق لنا أن نلوم ونعاتب ...

* * *

المقال الثانى « حكومة العراق » هو عبارة عن تعريف معنى الانتـداب

وتزويق ما يتعلق به ! وهنا يزعم الكاتب المحترم ان الامور ماشية « علـــى اربع وعشرين حبة » وان العراق بفضل الانتداب قد ارتقى كثيرا ، وسيرتقي الى أن يصل أوج السموات ! وأن لا علاقة ما بين المندوب السامى والمستشارين ! لان المندوب السامى لا يتداخل فى الامور ، وهو لا يحل ولا يربط وانه عبارة عن اسم بلا جسم ! وان الوزراء هم حقيقة وزراء وان الحكم المزدوج لم يعرقل ولن يعرقل سير البلاد الى الرقي ! وان الناس كلهم فرحون حامدون شاكرون ! « دق يا بو طبل » وهكذا انتهى المقال الثانى .

هذا المقال السياسى المهم (!) يجعلنا نفتكر قليلا بصورة جدية : المسيو مارتن مع كل مزاياه العالية هو على العين والرأس ولكن يجب أن لا تنسى أنه أوربى سويسرى جنيفى . وجنيف فيها عصبة الامم « أم الانتـــداب الحنون » وفى عصبة الامم لجنة الانتداب . وفى هذه اللجنة اخوان وأصحاب ! فكل هذه الاسباب تجعل حضرة أخينا بالله ينظر الى الامور بغير نظرنا نحن أهل البلاد . ولذا يعتقد المسيو مارتن ان كل شيء يعمله الغربيون فى الشرق هو حق صواب . ولذا يعتقد أيضا بأن العراقيين مغتبطون وفرحون !

نعم هكذا يعتقد المسيو مارتن مع ان بعض العراقيين بينوا له حقيقـــة الامر بالقلم الرفيع وأيضا بالقلم العريض . !

وهنا أيضا يعز علينا أن نلوم المسيو مارتن لانه لم يتمكن من أن ينظر الى وضع العراق الا من وراء عوينات أصحاب الانتداب وعصبة الامم ولكننـــا نعاتبه على سكوته حول آراء بعض الزعماء والكتاب الذين تواجه معهم ... وفى نظرنا ان ذكر نصف الحقيقة أتعس من الكذب ...!

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٤ كانون الاول ١٩٢٩ .

الزيزفون بدل القهـــوة*

ـ الى الرؤساء والوزراء والزعماء ـ

[كانت احدى القضايا المهملة قضية المنتجات الوطنية اذ لم يكن هنالك من يشجعها ويدفعها الى الامام ... والناس من الكبير الى الصغير كانوا منهمكين باستعمال كل ما هو أجنبي دون الالتفات الى حالة الصناعة العراقية الناشئة . بينما الشعوب الناهضة كانت على عكس ذلك تفضل المنتجات الوطنية على غيرها بالرغم من كل نواقصها من باب خدمة البلاد اقتصاديا ...]

قبل بضعة أيام دعا عصمت باشا رئيس الوزارة التركية ، أرباب الصحافة الى وليمة شاي ... وأبدع شيء في تلك الوليمة كان تقديم مخدر « الزيزفون » الى الضيوف بدل الشاي والقهوة التركية اللذيذة .

شرب الضيوف هذا « الشاي الجديد » ساكتين ومتحيرين في أمرهم لا سيما والزيزفون بالنسبة الى الشاي الصيني والقهوة السيلانية ، مشروب لا لذة فيه ولا طعم .

ولما رأى عصمت باشا سكوت ضيوفه وحيرتهم قام وخطب فيهم وبيّن لهم أسباب « قضية الزيزفون » وحثهم على جعله مشروبا محليا حتى يقل ادخال القهوة والشاي وتستفيد البلاد ماليا ... هذا لان القهوة والشاي يأتيان من الخارج بينما الزيزفون موجود بكثرة في البلاد التركية .

وقبل بضعة أسابيع رمى مصطفى كمال باشا لباسه الاوربي واستبدله ببدلة معمولة من قماش تركي وعند خياط تركي وعاهد نفسه على أن لايلبس الا ما هو منتج في البلاد التركية . وهكذا ساق الرئيس شعبه الى هذا العمل الجليل وسبب ازدياد الرغبة في المنتجات التركية لكي ترتقي الصنائع وتبقى ثروة البلاد مصونة ...

انا نهنیء الشعب التركي الذي يترأسه اليوم رجال كالغازي وعصمت ونتمنى من كل القلب أن يتبع رؤساؤنا وزعماؤنا تلك الخطة المباركة فيصبحون جميعهم رؤساء وزعماء حقيقيين ـ بالاسم والفعل ـ ٠

انا لا نطلب من رجالنا جميع الاعمال العظيمة التي أتى بها رجال تركية الحديثة ٠٠٠ لا نطلب منهم ذلك كله ـ في دفعة واحدة ـ لاننا نعلم انهم عن القيام بذلك كله عاجزون ٠٠٠ غير اننا نطلب منهم أن يقوموا ببعض الامور المختصرة المفيدة التي لا تحتاج الى التضحية الخارقة المعادة ، ولا الى الجبروت والعفرتة !٠٠٠

فأحد هذه الامور هو حماية المنتوجات الوطنية والسعي الى التخلص نوعا ما من الاستعمار الاقتصادى ٠ وهذا كما قلنا لا يستلزم الوطنية المتلهبة ، ولا التسبيح ليلا ونهارا باسم الامة والوطن كما هي عادة لبعض المتزعمين !

يكفينا هنا وطنية معتدلة ، ومحبة متواضعة ، مع قليل من الارادة وذرة من التضحية وعزة النفس ٠

ولكن متى يأتينا ذلك ؟ ويا ما أشد اشتياقي لان أسمع يوما ان في العراق الرئيس الفلاني أو الزعيم الفلاني أو الوزير الفلاني رمى سدارته ورباطه وحذاءه وكل شيء أجنبي يمكن استبداله وأخذ يستعمل المنتوجات الوطنية ٠٠٠٠ ويا ما أعظم فرحي يوم أرى ان الباشا الفلاني أو البيك الفلاني أو الچلبي الفلاني دعا أصحابه وأقسم أمامهم على أن لن يشرب الويسكي ولن يأكل الكونسروه ولن يدخن غير التبغ العراقي !

فمتى يأتي ذلك اليوم ؟ متى تدق ساعة الخلاص ؟ متى يفيق الزعماء ويأخذون بيد الشعب لينقذوه من الورطة المظلمة التي هو فيها الآن ؟ يجب أن لا ننسى أننا في هذه القضية كلنا مخطئون ٠٠٠ أي نعم كلنا من صغيرنا الى كبيرنا ومن عالمنا الى جاهلنا ومن رجالنا الى نسائنا ٠٠٠

غير ان الذنب الاعظم يرجع الى « الطبقة المديرة » التي أخذت على

عاتقها ادارة الشعب ... والشعب عندنا بسيط لا يدرك ولا يرى ما يمكن لمديريه أن يروا ويدركوا ... فعلينا اذن أن نعاتب الامير ثم الوزير ثم العين والنائب قبل أن نلوم الخادم والصانع والعامل . كما اننا نعاتب المدرسين قبل التلاميذ ، والصحافيين قبل القراء والآباء قبل الابناء والبصراء قبل العميان ..

أقول لمن يتوسل بحجة « الوضع الشاذ » تخلصا من العتاب ان فى هذه المسألة الانكليز والمرشدين أبرياء وان الذنب كله علينا ... نعم ... ان « المرشدين » يعقبون سياسة الاستيلاء المالى ويسعون الى حماية تجارتهم وصناعتهم ويستفيدون من ضعفنا ... فهذا حقهم وسنة الله فى عباده أن يأكل القوى الضعيف . فليس لنا أن نلومهم على ذلك بل علينا أن نلوم أنفسنا ونفتح أعيننا وأن لا نفتش على ملجأ للسلامة فى « كهف السبع » ! نحن وحدنا مذنبون فى هذه القضية ! فالمرشدون مع كل ما عندهم من الصلاحية والجرأة لا يقدرون أن يجبرونا على لبس المصنوعات الاجنبية ، وأن نأكل أو نشرب ما يرد من الخارج . كلا ! ثم كلا ! فمهما كان الظلم والاستبداد فلا يستطيع المستشار أن يمنع الوزير أو المدير من لبس المصنوعات الوطنية . ولا يتمكن من أن يرشده الى شرب الويسكى وتدخين السكاير الانكليزية ... لا يمكن ذلك مهما كان شذوذ الوضع ومهما كانت جرأة المستشار ومهما كان ضعف الوزير أو المدير . ولهذا السبب فالرؤساء والوزراء والزعماء الذين لا يحمون المنتجات الوطنية باستعمالهم اياها وبتشجيع الناس على استعمالها هم المسئولون عن السقم الصناعى الموجود فى البلاد وهم المذنبون أمام الوطن والشعب .

ان رجال الحكم هم فى نفس الزمن قواد الشعب فى معاركه الاجتماعية والاقتصادية . فالذى يقاد ينظر الى القائد فى أعماله وأخلاقه وكسوته ومشيته ... وحتى فى أكله ومشربه . والعبد على سيرة مولاه ... فمن حقنا اذن أن نحاسب الزعماء على اهمالهم هذا الامر الخطير . ومن حق كل

فرد أن ينبه الحكومة فى هذا الباب ••• اذ ليس من الانصاف أن يكد العامل ويتعب الفلاح ثم يأتى الامراء والوزراء وأفراد الطبقـــة المديرة ويصرفون ـ على الحاضر ـ محصول ذلك الكد والتعب بصورة تفيد الاجانب فقط !•••

واذا كانت حماية المنتوجات الوطنية فرض على كل عراقى وعراقية فهى فرض ـ أى فرض على الحكومة والزعماء وهذا الفرض يجب أدائه قبل كل الفرائض ••• فاذا ما قدرنا أن نقلد أبطال الاتراك فلنقلد على الاقل أبنـــاء حليفتنا بريطانيا ولنتعلم منهم كيف يدافع الانسان على منتوجات بلاده ويحمى صناعة وطنه • فعسى هذه الكلمة تقع موقع المنبه عنـد أهل الحـــل والربط وعسى أن نسمع قريبا أن رجالنا أقسموا باسم الوطن وباسم كل ما عندهم من المقدسات على الجهاد فى سبيل المنتجات الوطنية •

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٤ كانون الثانى ١٩٣٠ •

حول مؤتمر لنـــدن*

- ١ -

[قضى العالم الغربى عدة سنوات بعد الحرب العالمية الاولى بمؤتمرات نزع السلاح وحرية البحار والتعويضات الالمانيــة ٠٠ فالمنتصرون فى مؤتمراتهم هذه كانوا اشبه بجماعة غزو تم لهم ما يريدون فى مغامراتهم وصاروا يقسمون الغنائم والاسلاب ويسوون خلافاتهم ٠٠٠ وكان كل منهم يخشــى منافسة زميله وجاره وحليفه٠٠٠ لاسيما بعد ان زال الخطر الجرمانى ٠ ومؤتمـر لندن هذا يرينــا صفحة عجيبة من تلك الروحية السائدة بين المنتصرين تستحق الدرس والامعان] ٠

ـ نظرة الى القضية التكنيكية ـ

يمكننا ان ننظر الى مؤتمر لندن من ثلاث جهـــات : العملية والسياسية والاخلاقية ٠ فى مقالنا هذا سندرس قضية المؤتمـــر العملية فقط تاركـــين الآخرين لوقت آخر ٠ المصاعب فى مؤتمر نزع السلاح البحـــرى عديدة لان الغايات والمقاصد مختلفة ٠ أما المشكلات البارزة فهى خمسة :

المشــكلة الاولى :

هى بين انكلترا وامريكا ٠ وهذه المشكلة تحتوى عـــلى ثلاث مسائل : المساواة البحرية وحرية البحار وتحديد عدد المدرعات ٠ تم الاتفاق بـــين الرئيس هوفر والمستر مكدونلد ـ عندما كان هذا فى أمريكا ـ حول المسألتين الاولتين ٠ فانكلترا وافقت على أن تحصل المساواة ما بين الاسطول البريطانى والامريكى فى سنة ١٩٣٦ وبالمقابلة وافقت أمريكا أن تصرف النظر فى الحال الحاضر عن حـــرية البحار ٠ والمســألة التى بقيت غير محلولة والتى يسعى الفريقان الآن الى تسويتها هى مسألة المدرعات ٠ فالانكليز يريدون ابطـــال

المدرعات الكبار لان كل واحدة منهـا تكلف سـبعة ملايين باون ، ولان تجهيز هذه السفن العظيمة وادارتها تكلف الخزينة مبالغ طائلة يئن من ثقلهـا دافع الضرائب البريطاني فهي تقترح الاكتفاء بالمدرعات الصغار فقط • أمـا الامريكان فنظرهم في هذه القضية غير نظر الانكليز • فهم يدّعون ان انكلترة يمكنها أن تستفيد استفادة عظيمة من المدرعات الصغار لان الامبراطوريـة البريطانية تملك أسسا بحرية متعددة في جميع البحار : جبل طارق ، مالطة ، قبرص ، السويس ، عدن ، سنغافورة ، اوستراليا ، جزائر الارخبيل ، الخ •• الخ •• فعند نشوب حرب تتمكن السفن البريطانية الصغار ان تواظب عـلى حركاتها من غير مانع اذ يمكنها عند الحاجة ان تلتجيء الى أقرب قاعدة بحرية وتجهز نفسها بالفحم والماء والذخيرة بينما السفن الامريكية عندما تنفذ ذخيرتها يجب ان تقطع مسافة طويلة وترجع الى السواحل الامريكية كي تجهز نفسها• لاجل ذلك ان أمريكا تحتاج الى سفن كبيرة ذات حمولة واسعة يمكنها أن تسير مدة طويلة في البحار • وهـذه السـفن الكبيرة هي ذات موافع ١٥ انجا وسفائن الانكليز الصغار مدافعها ذات ١٢ انجا وهذا الذي يجعل المسألة معقدة وهذا الذي لا يعجب الانكليز •

المشكلة الثانية :

هي بين انكلترا وفرنسا • تريد انكلترا أن يكون التحديد مثبتا عـلى أصناف الاسلحة البحرية المختلفة • وفرنسا لا توافق على ذلك بل تريـد أن يكون التحديد على مجموع الحمولة أي عـلى عدد مجموع الطنون الكلي • ومعنى ذلك ان مجموع القوة البحرية تكون حمولتها كذا أم كذا طن • ولكل حكومة أن تختار نوع السلاح البحري • وتقسم مجموع الطنون على الاصناف المختلفة حسب حاجتها • وانكلترة تخاف جدا من هذه الاصول لان فرنسا اذا أرادت يومـا أن تقلب كل أطنانهـا بهواصات تعرقل حركات الاسـطول البريطاني • فهنا يسعى الآن الطرفان على وجود حل موافق يرضي الطرفين •

المشكلة الثالثة :

هى بين اليابان من جهة والانكليز والامريكان من جهة أخرى • حسب معاهدة واشنطن يحق لليابان أن تكون قوتها فى المدرعات الكبيرة ٦٠ فى المائة بالنسبة الى الامريكان والانكليز واليابان يطلبون اليوم أن تكون قوتهم بنسبة ٧٠ فى المائة • وبما ان الامريكان سيملكون من المدرعات الكبار أكثر من الانكليز فنسبة اليابان الى الانكليز ستكون عالية • فبريطانيا لا تقبل بذلك • وربما سوف تتنازل اليابان عن مطاليبها اذا خرجت انكلترا من قاعدة سنغابور التى هى حصن حصين أمام اليابان فى الشرق الاقصى • وهنا يقتضى اقناع حكومتى اوستراليا ونيوزيلاندا اللتين تخافان كثيرا من اليابان واسطولهم •

المشكلة الرابعة :

هى بين انكلترا وأمريكا من جهة وفرنسا واليابان من جهة أخرى • الامريكان والانكليز كانوا قد اتفقوا مبدئيا على تحريم حرب الغواصات بحجة ان هذه الحرب همجية وغير شريفة (!) أما الافرنسيون واليابان وبعض الحكومات الصغيرة ترى فى ذلك حيلة سياسية • لان الغواصات هى سلاح الفقراء فهى رخيصة ومفيدة جدا لمدافعة السواحل وفك حلقات المحاصرات البحرية • فاذا ذهبت الغواصات تبقى سيادة البحار المطلقة بين أيدي الانكلو ساكسون • وهذا أمر لن تقبله الشعوب الاخرى • فالانكلو ساكسون سوف لا يلحون على تطبيق نظريتهم بل يكتفون بتحديد عدد الغواصات وانزاله الى الحد الاصغر حسب احتياج الشعوب البحرية •

المشكلة الخامسة :

هى بين فرنسا وايطاليا • وهى أم المشاكل وأبوها • ايطاليا تطلب المساواة البحرية مع فرنسا وحجتها هى انها شبه جزيرة تعيش على الادخالات • وان المحاصرة البحرية تجعلها فى بضعة أسابيع تموت جوعا • ولاجله لا ترضى أن تكون قوتها البحرية أضعف من أى حكومة اوروبية ـ طبيعى ما عدا الانكليز ـ

وفرنسا لا تقنع بهذا الكلام ولا تريد أن تعمل بهذه النظرية • فهي تملك مستعمرات واسعة في بحار عديدة مختلفة • فهذا الوضع يجبرها على أن تقسم سفائنها في مياه بعيدة وقريبة • فاذا تساوت قوتها مع قوة ايطاليا فاسطولها في البحر المتوسط يكون ضعيفا جدا بالنسبة الى الاسطول الايطالي فهي تقبل المساواة في البحر المتوسط وترفض المساواة العمومية • وايطاليا عملت كل ما في وسعها لتضع فرنسا في موقف حرج • فهي في باديء الامر أخذت تتملق الانكليز والامريكان • اذ أنها وافقت مبدئيا على تحريم الغواصات • ثم صرح سفيرها في واشنطن بصورة رسمية ان حكومته الفاشستية مستعدة لتأييد رأي الرئيس هوفر بخصوص حرية البحار وتحريم الجوع ••• وفي حفلة افتتاح المؤتمر البحري قال السنيور گراندي ممثل ايطاليا فيه : ان حكومتي مستعدة لتخفيض درجة سلاح البحر الى الصفر •••• كل ذلك مناورات لاجل ايقاع فرنسا في مشكلات مع الانكليز والامريكان ••• كل ذلك كلام فارغ لان الطليان يعرفون حق المعرفة ان فرنسا ستدافع عن قضية الغواصات وغيرها في المؤتمر •• كل ذلك بلف وبومبات تعوّد العالم سماعها ••• الجماعة قضوا أكثر من اسبوع مشتغلين في لندن • والمشكلات كلها لم تزل على حالها الآن ! اللهم سهل عليهم وعلينا !

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٩ شباط سنة ١٩٣٠ •

حول مؤتمر لنـــدن*

وما هنالك من عجائب وغرائب

- ٢ -

« ديل روجرس » الكاتب الامريكى الهزلى سأل « برنارد شو » رأيـــه فى مؤتمر نزع السلاح البحرى • فأجابه شو : « يسمونه مؤتمر نزع السلاح ولكنه فى الحقيقة ما هو الا مؤتمر التسليح • لان ممثلى الدول البحرية قضوا حتى الآن اسبوعين وهم يتباحثون فى مسألة واحدة : « هل يجب قتل الناس بمدافع ١٥ انجا أم بمدافع ذات ١٢ انجا ؟ » فى جواب « برناردشو » هـذا مبالغة • ولكن فيه أيضا جانبا كبيرا من الصدق !

الجماعة فى مؤتمر لندن ، مع اخلاص نيتهم وشدة حبهم لنزع السلاح، لم ينزعوا حتى الآن مدفعا واحدا ، ولا بندقية واحدة من سلاحهم ! وهم منذ اسبوعين يتذاكرون فى مسألة « من أين نبتدىء ؟ »

والآن ربنا سهّل عليهم نوعا ما وابتدأوا وقبلوا اقتراح فرنسا القائل : « ان تحديد السلاح يجب أن يكون على مجموع عـدد الاطنان مع تحـديد الاصناف ومع حق تبديل العدد بعد الاخبار بواسطة عصبة الامم » • هذا هو الذى يسمونه بالاقتراح المختلط الذى اقترحه الموسيو « بول بونكور » سـنة ١٩٢٧ فى جنيف •

وبعد أن قبل هذا الاقتراح عـــرض الموسيو « تارديو لانجه » احتيـاج فرنسا • ويقال ان فرنسا ، تطلب بموجب اللائحة ٨٠٠ ألف طن • وهى تملك الآن ٧٤٤ ألف طن • ولكن بفضل « مؤتمر التسليح » سيكون لها زيادة ٥٦ ألف طن • ولاجل حصول المساواة مـــع انكلترا سنة ١٩٣٦ ستجهز أمريكا بضع مدرعات جديدة • واليابان ستحصل على ٧٠ فى المائة بالنسبة الى القـــوة الامريكيـــة • وذلك بدلا عن ٦٠ فى المائة التى حصلتها فى واشـنطون سنة ١٩٢٢ •

وهكذا سينتهى مؤتمر نزاع السلاح ، لعدد المدرعات والسفن الحربية والغواصات فى العالم سيزيد ! ولاجل هذا قلنا ان فى جواب برنارد شو جانبا كبيرا من الصدق • والفائدة الوحيدة التى ستنتج من المؤتمر هى الموازنة البحرية التى ربما ستزيل الخوف من القلوب • لان الحكومات البحرية ستعرف مقدار قوة الاعداء والاصحاب ويؤملون ان هذه الموازنة ستكون فاتحة لنزع السلاح الحقيقى •

فلنترك الآن الجماعة فى لندن يتباحثون ولنتمنى لهم باسم البشرية النجاح الكامل • ولننظر نظرة سريعة الى القضية السياسية فى المؤتمر البحرى • ما الذى دفع الحكومات الكبرى الى تحديد السلاح ؟ عندنا هنا عاملان : الاول اخلاقى يشترك فيه كل العالم • والثانى سياسى يختلف ويتنوع بالنسبة الى منافع الشعوب المختلفة • ان العامل الاخلاقى هو اشمئزاز النفوس من الحرب وفجائعها التى قد بانت بكل صراحة فى الحرب العامة • فالحكومات الغربية لا يمكنها اليوم ان تعقب سياسة حماسية وطنية تؤدى الى ارتباكات مزعجة • بل انها تجد نفسها مجبرة على اراحة بال الشعوب ، والتظاهر بمبادىء الصلح والسلم • وفى هذا العامل يشترك ـ كما قلنا ـ جميع الشعوب • أما العامل السياسى فيتفرع ويتنوع حسب أوضاع الاقوام • وانا نريد الآن أن ندرس نوع هذا العامل عند كل من الاقوام البحرية الخمسة التى تشترك الآن فى مؤتمر لندن •

انكلترا

لا شك فى ان زعيمة مؤتمر لندن هى الحكومة البريطانية • وان الشعب البريطانى يهتم اليوم أكثر من غيره فى قضية تحديد السلاح البحرى ••• لماذا ؟ •••• لماذا كل هذا الاهتمام وانكلترا أقوى حكومة بحرية ؟ القضية ليست لوجه الله تعالى ! نعم ان انكلترا هى اليوم أقوى حكومة بحرية ولكن

« اليوم » هو ليس « الغد » • وكل العلائم تدلنا على ان سطوة انكلترا البحرية ستكون غدا في خبر كان ! وجدت انكلترا نفسها بعد الحرب أمام مزاحم شاب غني وقوى • فهذا أقلق بالها وسلب راحتها لان هذا المزاحم الشاب سيكون أقوى منها بعد سنوات معدودات • ففي سنة ١٩٠٠ كان مجموع أطنان الاسطول البريطاني ١ر٤٤٠ر٠٠٠ طن ولم تتجاوز اذ ذاك قوة أمريكا ٢٢٨٠٠٠ طن • وفي سنة ١٩١٤ رأينا انكلترا تملك ٢ر٤٣٩ر٠٠٠ طن وأمريكا ٨٩٣٠٠٠ طن • واليوم تملك انكلترا ١ر٣٠٦ر٠٠٠ طن وأمريكا ١ر٢٠٢ر٠٠٠ طن • وهذه الارقام ترينا جليا ارتقاء القوة الامريكية بصورة سريعة • أليس اذاً من حق الانكليز أن يخافوا ويتشوشوا ؟ • هذا الحال دفع الانكليز الى التفكير والتفتيش • فافتكروا وفتشوا فوجدوا أن لا مفر من انتخاب أهون الشرين • وأهون الشرين هنا هو تحديد السلاح وقبول المساواة مع أمريكا •

كانت انكلترا قبل الحرب سيدة البحار المطلقة ولم يكن اذ ذاك ما يجلب قلقها سوى الاسطول الالماني (٩٩٠ر٠٠٠ طن) ثم أتت الحرب والاسطول الالماني محي عن بكرة أبيه وخرجت انكلترا غالبة ومفتخرة ، ولكن ما ثمرة الغالبية والنصر أمام المشاكل الجديدة ؟ فأمريكا أصبحت تقريبا مساوية لها واليابان في الشرق الاقصى لها اسطول يمكن أن يكون خطرا (٨٢٧٠٠٠) وفرنسا أيضا يجب أن يحسب لها حساب لانها تملك اليوم ٧٤٤٠٠٠ طن • هذه الدول كلها اليوم صواحب انكلترا وأعوانها ولكن من يضمن لها دوام هذه الصداقة ؟ واذا حصل ما حصل يوما واتحدت أمريكا مع فرنسا أو مع اليابان فماذا يحل بالاسطول البريطاني ؟ • فالحكومة البريطانية حسبت كل هذا • وحسبت أكثر من هذا • ورأت ان تحديد السلاح البحري والتقارب مع أمريكا هما الطريقة الوحيدة لسلامتها • هذا الامر يكلفها السيادة البحرية ولكنه يخلصها من عواقب غير مرضية • لهذه الاسباب أصبح اهتمام الانكليز

بالمؤتمر البحرى اهتماما فوق العادة وسيعمل الانكليز كل ما يمكن عملـه وسيتساهلون الى أعظم حد ممكن كى يتم نجاح المؤتمر لان الفشل هنا يعنى تجديد المزاحمة والتباعد عن أمريكا ، والتدحرج الى موقع حرج مستقبله مظلـم .

أمريكا

تجديد المزاحمة والتباعد عن أمريكا ، والتدحرج الى موقع حرج مستقبله اقتصادى . فالاستفادة السياسية هى : المساواة مع انكلترا وتعهد الحكومـة البريطانية بعدم انشاء أسس بحرية فى كندا وجـزر الآتلانتيد وهـذا يعنى ان حركات الاسطول الامريكى ما بين الاتلانتيك والباسفيك ستكون حـرة تماما . وقناة بناما ستكون تحت سطوة الامريكان . والاستفادة الاقتصادية هى : تامين مشاريعها الاقتصادية فى أوربا ، وضمان ديون الحرب . ان أمريكا تود أن تكون أوربا دائما فى خير وسلام ، لان الدائن لا يريد افلاس المدين . واذا تحسنت حالة أوربا المالية فهذا التحسن يعود بخير كثير لامريكا . لاجل ذلك اذا تم نجاح المؤتمر فسيرجع الامريكان الى بلادهم مغتبطين كل الغبطة . ولاجل ذلك قال المستر « ستيمسن » رئيس الوفد الامريكى انه لا يرجـع الى بلاده قبل أن يتم نجاح مؤتمر لندن .

اليـابان

أهمية اليابان ليست فى الاسطول اليابانى فحسب ، انما فى وضع اليابان الجغرافى والسياسى . اذ ان كفة الميزان البحرى ستميل الى الجهة التى تكون اليابان معها . ووضع اليابان هنا يشابه كثيرا وضع المستر لويد جورج فـى البرلمان البريطانى بالنسبة الى العمال والمحافظين . اليابان وحدها لا يمكنها أن تقوم بحركات عدائية ضد أمريكا ، أو ضد انكلترا . ولكن عند نشوب خصام بين هاتين الحكومتين فالموت والحياة يكونان فى يد حكومة الميكادو . لان اتحاد

اليابان مع أحد الفريقين المتخاصمين يعنى خسارة الفريق المنفرد • فاليابان تعرف ذلك حق المعرفة • ولاجله لم تهتم كثيرا عندما تركتها انكلترا ، ولم تجدد التحالف المعقود معها من قبل الحرب • بل اعتمدت على نفسها وقوة اسطولها حتى أصبحت اليوم ثالثة الحكومات البحرية • الحاح اليابان فى الحصول على ٧٠ بالمائة من القوة الامريكية ينشأ من سعي الامريكان والانكليز الى تقوية وضعيتهم فى البحر الهادىء • فاليابان لا ترتاح من انشاء قاعدة سنغابور ومن عزم الامريكان على انشاء أسس بحرية فى « هايتى » و « جزائر الفليبين » ومن المحقق انه اذا ترك الانكليز والامريكان خطتهم فاليابان سوف تتنازل عن مطاليبها وتقبل ال ٦٠ فى المائة •

فرنسا

كثير من الناس ولا سيما فى أمريكا يعتقدون ان فرنسا لا ترتاح الى نجاح المؤتمر البحرى لان ذلك يعجّل التقارب بين الانكليز والامريكان فتصبح السيادة البحرية بين أيدى الآنكلو ساكسون • نعم ان فرنسا لا تقبل بكل مقترحات الانكليز والامريكان لان مصالحها غير مصالحهم • ولكنها تهتم كل الاهتمام فى المؤتمر لان نزع السلاح البحري يكون فاتحة لنزع السلاح البري • وبما ان فرنسا هى الآن أقوى حكومة برية فعنايتها بالامر شيء طبيعى •

ايطاليا

يمكننا أن نقول ان وضع ايطاليا فى مؤتمر لندن كوضع « المفلس فى القافلة امين » هذا لان اسطولها (٢٦٧٠٠٠) طن لا يتمكن من القيام بأعمال عظيمة لا فى العالم ولا فى البحر المتوسط لذلك السبب رأينا ايطاليا تصرخ بأعلى صوتها وتدعى انها مستعدة لمحو جميع الاسلحة البحرية اذا وافق الآخرون على ذلك •

ايطاليا تخاف خوف الحية من فرنسا واسطولها . وهذا الذي جعلها تطلب المساواة مع فرنسا مع أن ماليتها لا تساعدها أبدا على تجهيز اسطول يقـــارب الاسطول الافرنسي (٨٠٠٠٠٠٠ر) طن . والمقصد من كل هذا ومن التبصبص للانكليز والامريكان هـــو اجبـــار فرنسا على التساهل معها في قضية تونس وحدودها مع طرابلس الغرب . فاذا وافقتها فرنسا على ذلك التساهل فسيخفت صوت موسوليني . وسوف لا يطالب بالمساواة البحرية . هذه بعض صفحات المؤتمر الذي نجاحه وفشله يعدان من أكبر حوادث العالم .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٥ شباط سنة ١٩٣٠ .

فيصل وابن السعود ومستقبل العرب*

ـ نظرة سياسية ـ

[أن تقارب العرب فاتحادهم فوحدتهم كانت ولا تزال الهدف الاسمى لكل قومي عربي .. وما نشرت قبل ٣٧ عاما يدل على ذلك الشعور الذى كان ولا يزال الحافز الاعلى على الجهاد والكفاح بالرغم من كثرة العقبات ووعورة السبل المؤدية الى تلك الغاية] .

يوم وصول جرائد بغداد الي هو يوم اهتزاز فى أعصابى وانقباض فى نفسى ... لانى تعودت أن لا أقرأ فى تلك الجرائد الا ما يهيج العصب ويقبض الصدر ويحزن القلب ... لان تلك الجرائد ما هى الا مرآة تعكس ما فى العراق من مرارة وشقاء ... لان تلك الصحائف تسمعنى أنين شباب العراق وشيوخه ... وتسمعنى ضربات قلب رجاله ونسائه تسمعنى بكل وضوح تلك الضربات المتوجعة ...

تعودت ويا للاسف أن أتخوف من مطالعة جرائد بلادى لانى حتى اليوم لم أقرأ فيها من الاخبار التى تسرنى وتشجعنى ... لانى لم أر بين سطورها حتى اليوم الا نداءً مؤلما وأنينا يمزق الاحشاء ...

هذه أخبار بلادى المعتادة ... فكيف لا ينعصر قلبى عندما أقيس ما بين عباد الله هنا وبين أبناء وطنى هناك ؟ بين الحرية والسعادة وراحة البال هنا وبين ما فى بلادى من شقاق ونفاق ، من مواعيد فارغة وعهود منكوثة ، من جهل وفقر ويأس وانتحار ؟

هكذا كنت قد تعودت ويا للاسف ... ولكن هذا الاسبوع لما فتحت جرائد بغداد طار قلبى فرحا لانى لاول مرة رأيت فيها أخبارا مسرة ، أخبارا

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٣ شباط ١٩٣٠ .

تضرم شعلة الامل فى النفس : المؤتمر العراقى ـ النجدى . وفى هذه الكلمات كثير من الآمال التى تنشط الروح والاعصاب . ملك العراق يريد أن يتصافح ويعقد ميثاق الاخوة مع ملك الحجاز ونجد . هذه بشرى لمتبيرة يطرب لها قلب كل عربى ، هذه أول حجارة فى أساس الوحدة العربية هذا بصيص من النور فى وسط الظلمات ...

التقارب العراقى النجدى ...

هذا لا يعنى زوال الخلاف الموجود ما بين القطرين فقط ... هذا يعنى أكثر من ذلك بكثير ... هذا يعنى تأسيس الاخوة والوحدة بين الاقطار العربية كلها . هذا فاتحة لدور جديد ... لدور سعيد ... لدور يذكرنا بقيام العرب قبل ١٤ قرنا ... هذا يعنى النهضة الحقيقية ... هذا يمكن أن يكون « ره نسانس » العرب المنتظر ...

المصيبة التى كانت تكوى القلوب لم تكن مسألة هجوم بعض القبائل النجدية وسلبهم بعض المواشى وغيره من الامور المادية التافهة ... لا ! المصيبة الكبرى فى نظرنا هى العوامل الدافعة لتلك الاعمال ... هى عدم اتحاد العرب ... هى غفلتهم وجهلهم ونومهم ... هى الامور التى صيرت البلاد العربية مسرحا لسياسة الاستعمار ودسائس الغربيين ... هى الادوار الدامية التى يمثلها العرب فى بلادهم تلك الادوار التى كلفت العرب حريتهم وسعادتهم والتى يمكنها يوما من الايام أن تذهب بمستقبلهم وحياتهم .

أما الآن فنحن أمام دور جديد يفتحه الينا صاحبا الجلالة الملك فيصل والملك ابن السعود . ان فى تصافح الملكين عبرة كبيرة لكل العرب ... نعم هذا درس كبير يجب علينا أن نستفيد منه كل الاستفادة . ان فى زوال العداء ما بين البيت الهاشمى والبيت السعودى خطوة كبيرة نحو الوحدة العربية .. نحو النجاة .. نحو الحياة ... نحو الاستقلال الحقيقى والقوة ... فليفتح العرب أعينهم وليمشوا وراء الملكين فيتصافحوا ويتحدوا ويفدوا بالقضايا

الشخصية الصغيرة قربانا للقضية الكبرى ـ الوحدة العربيــة • لنتــرك « الوطنية » المحلية الضيقة ولنعتصم بالوطنية الواسعة ـ الوطنية العربية •

وليكن العراقى والسوري والنجدى والحجازى واليمانى عربيا مخلصا من قبل أن يكون عراقيا أو سوريا أو نجديا أو حجازيا أو يمانيا • لتكن الصلة الرابطة بيننا الدم العربى واللغة العربية ولننسى الحدود التى أقامتها ما بيننـا الايدى الخؤنة كى يسهل عليها هلاكنا ••• فجزيرة العرب هى أم كل العرب والبلاد العربية كلها هى موطن عزيز لكل عربى ••••

المؤتمر العراقى النجدى هو فجر لصبح العرب يود أن يراه كل من فى عروقه دم عربى • فعلى العرب كلهم أن يدعوا ويسعوا لنجاح ذلك المؤتمـر وعلى العرب كلهم ان يقفوا هنا ورا فيصل وابن السعود كالبنيان المرصوص •

الحضر والبــدو*

[هــذا بحث سياسى ــ اجتمـاعى لا يمكن للقارىء أن يفهم مغزاه الا اذا رجع ٣٧ سنة الى الوراء حـين كانت البـلاد العربيـة كلها تحت نفـوذ المستعمرين الغرباء ٠٠٠ فكانت نظرية تحضير البدو مع وجود الاستعمار نظرية خطرة لا يجوز الاخذ بها وبتطبيقها بالرغم من الفوائـد المادية والاجتماعية المغرية ٠٠٠]

« **العالم العربى :** فى هذا البحث يبدى حضرة العربى الجرىء الصميـم رأيا خاصا فى قضية البدو يخالف فيه كل من توغـل فى بحث هذا الموضوع الحيوى • وها نحن أولا ننشر مقال حضرة الكاتب الفاضل عملا بحرية الفكر والنشر ونحن مستعدون لنشر كل ردٍ عليه او نقدٍ نزيه فى هذا الباب •

وهذا مقال حضرة الكاتب الفاضل بحروفه » :

نحن الحضر كلنا وتقـريبا بلا استثناء نعتقد بضرورة تحضير البــدو كاعتقادنا بوجود الليل والنهار •••

فى كل فرصة يقوم زعماؤنا ويطالبون بقضية التحضير التى يعدونهـا سعادة كبرى للعرب بل يظنون أنها مسألة موت وحياة ••• ولم أر ــ مـع الاسف ــ حتى اليوم رجلا واحدا يعارض هذه النظرية « السقيمة » التـى تعلمناها من الغربيين فصارت عندنا كنص قرآني !

هذه الفكرة ، كغيرها من الافكار اللامعة جلبت قلوبنا ، فصرنا لا نري فيها الا خيرا كبيرا وسعادة عظمى لمستقبل العرب ••••

غير ان الذى يدرس هذه المسألة درسا عميقا ويقيس ما بين الخير والشر يرى ان نظرية تحضير البدو هى عملية سقيمة جدا ••• عمليـة « مضرة »

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١ آذار ١٩٣٠

يمكن أن تكون يوما « ضربة » قاضية على العرب ! ان اهتمام رجالنا فى أمر البدو وسعيهم الى تمدين أبناء البادية لا يأتى من سوء نية • هذا أمر مسلّم • ولكن ما أكثر المصائب التى تحل بالمجتمعات البشرية مع « حسن النية » و « قلة المحاكمة » • ينقسم اليوم العرب الى جماعتين : الحضر وهم سكان المدن والارياف والبدو وهم المتجولون فى البادية وفى أطراف الارياف •

الحضر ينقسمون الى طبقات عديدة مابين الفلاح والامير • والتباين بين هذه الطبقات فى المعيشة وفى السوية الاجتماعية كبير جدا • ولـذا نرى المستحضرين غير متحدين فى مبادئهم وفى أكثر الاحيان نجد الطبقة الواطئة ناقمة على الطبقة العالية •

أما البدو فكلهم كتلة واحدة • لا يوجد عندهم طبقات أو أصناف • ولا يفرق ما بينهم سوى النسب •

المستحضرون من العرب تقريبا كلهم اليوم تحت نفوذ الغرباء بأسماء مختلفة : كالانتداب والحماية والمساعدة والتحالف الخ •••• أما البدو فجميعهم تقريبا أحرار ، لا يخضعون الا الى شيوخهم وعادات البادية • الحضر كلهم ضعفاء غير مسلحين تعودوا تحمل الاستعمار والاستعباد لانهم مقيدون ومكتفون بمصالحهم ومنافعهم المادية • البدو كلهم أقوياء وأقوى سلاحهم تجولهم • وأمنع حصنهم البادية •

يدعى أرباب نظرية التحضير ان ترك البدو على حالهم هو كترك نصف الجسم بصورة عاطلة لا تعمل ولا تنتج • وحسب رأيهم ان البدو اذا تمدنوا وتعلموا حرث الارض سوف تحصل منهم فوائد اقتصادية عظيمة وتكثر الايدى العاملة فى البلاد وتزول الغارات وينقطع دابر السلب والنهب •

نعم هذا كله صحيح ولكن لهذه القضية وجها آخر أهمل درسه زعماء التحضير • ذلك ان استحضار البدو اليوم يعنى استسلام الشعب العربى كله لنفوذ الاجانب السياسى والاقتصادي فاذا ترك البدو سلاحهم وسكنوا أرضا

زراعية يصبح العنصر العربى شعبا فلاحا من الدرجة الثالثة أو الرابعة ...
ويكون العربى مسالما كالهندى يتحمل الجور والاذى والذل والاحتقار كى
يحافظ على أرضه وبيته ودكانه ... هذا لان القوة الوحيدة التى يملكها
العرب اليوم هى فى البادية . فاذا تمدن البدوى زالت تلك القوة ، ونفدت
تلك الذخيرة ، وأصبحنا « فلاليح » ضعفاء نخدم الاقوياء ....

يجب علينا أن لا ننسى ان الاعمال العظيمة التى أتى بها العرب فى
ساحة الفتوحات والثورات كانت كلها منوطة باندفاع البدو وقيامهم . فالذين
رفعوا لواء الاسلام والعرب من الصين الى اسبانيا هم من العشائر البدوية .
والذين قاموا بوجه المستعمرين لدفاع المدن والمتمدنين هم من العشائر البدوية
ومن انضم اليهم من الحضر . والذى يجعل الاجانب يحسبون حسابا للعرب
هو وجود تلك العشائر البدوية .

فالاجانب لا يخافون من الفلاح المسالم ولا من العامل ولا من الافندى
ولا من الباشا ولكنهم يخافون من ذلك العربى الابي ابن البادية. ذلك البدوي
الذى ينكسر قبل أن يلتوى !

لما تأسست الخلافات العربية فى الشام وفى بغداد وفى مصر وفى قرطبة
وفى المراكش رأينا الحكومات المركزية دائما تستند على العشائر البدوية
وتقوى بها جيوشها المنظمة . وهذه كانت أحسن واسطة للاستيلاء والدفاع .

ولكن لما تحضّر البدو فى تلك الممالك هجم التخدير على أعصاب الفاتحين
وتعوّد أولاد البادية الكسل والانس والطرب والشرب واللعب ! فاستبدلوا
السيوف بالاوتار . والرماح بالفلسفة .. والشعر الحماسى بالغزل . وضعفوا
وتفرقوا الى أن استولى عليهم خصومهم وفتكوا بهم وطردوهم وطاردوهم حتى
بيوتهم .

وهكذا أصبحت الاقطار العربية المتمدنة مستعمرات للاجانب ولم يخلص
من بلاء الاستعمار الا الصحراء والبادية .

وفي كل هذه الادوار المحزنة نرى البدو وحدهم قاموا بوجه الاستعمار

رافعين لواء الحرية . أما الحضر ففى أكثر الاحيان سلموا للقضاء والقـــدر وسكتوا وتحملوا ... وتلهى الكثيرون منهم بألاعيب السياسة ، والكراسى !

فلننظر الحوادث الاخيرة فى العالم العربى :

من الذى قام ونهض فى الحجاز ؟ ومن الذى هاج وثار فى العـــراق وسورية والجزائر والريف وطرابلس الغرب ؟

البدو ! البدو ! .... هذه حقائق ووقائع لا يمكن أن ينكرها أحـــد . فكيف يرتاح اذن القلب العربى الصميم لعملية التحضير ؟ وهل يجوز للعرب أن يمحوا قوتهم بأيديهم ؟

هل يجوز لهم تفضيل المحراث على السيف ؟ ــ كلا ! ثم كلا ! طالمـــا العرب ليسوا أسيادا فى بلادهم وطالما يوجد على رأس الاقطار العربية كابوس النفوذ الاجنبى لا يمكننا ان نقترب من قضية التحضير . لان البدو ــ مع كل مضراتهم ــ هم سندنا الوحيد . والبادية ــ مع بؤسها وفقرها ــ هى الحصن الاخير الذى يمكن الالتجاء اليه عند الحاجة فهدم ذلك المستند وذلك الحصن هو انتحار وجنون !

علينا أولا أن نقوى ونستقبل تماما . ونرفع مستوى البلاد وسكانهـــا الحاضرين . ثم نفتكر فى أمر البادية وأبنائها .

والا ما الفائدة فى تزييد عدد الخدم والاسرى ؟ انى لا أظن ان الفـــلاح العربى اليوم هو أسعد من أخيـــه البدوى . بل لا أظن ان عيشة الافنـــدية والبكوات والباشوات فى المدن غير المستقلة أطيب وألذ من عيشة البدوي الذى تعود أن لا يحنى رأسه الا أمام ربه !

أقول لزعماء التحضير ان ســـاعة التحضير لم تدق حتى الآن . وان الواجب علينا الاستفادة من البدو بصورة عملية كما فعل ذلك من قبلنا أجدادنا ولنعلم كلنا اننا لـــم نزل فى دور يحكم فيـــه الرمح والسيف قبل الفأس والمحراث .

السياسة العراقية وفلسفة « مردان »*

[كانت الوزارات فى العراق تأتى وتروح دون أن يعرف الشعب كيف أتت ولماذا ذهبت .. لان بالرغم من وجود الحكم الدستورى البرلمانى كل الامور كانت بين يدى المندوب السامى فهو الوحيد المسئول الحقيقى عن لعبة الكواليس وعن دواليب السياسة وكانت هذه كدواليب الهواء ينفخ فيها المندوب السامى من روحه فتدور كما يريد ويشتهى] .

مردان صديقى منذ الصغر ورفيقى فى المدرسة ... فأصحابى وأنا كلنا نحب « مردان » لانه « خوش ولد » وصريح فى أفكاره ولان له فلسفة غريبة مضحكة ، فلسفة مبنية على « النهيليزم » أى على الانكار المطلق ... ولكن ربك حميد هذه « الفلسفة » تأتيه فى بعض الاحيان فقط : مثلاً عندما يكون خُلقه ضيقا أو أعصابه متهيجة أو معدته «خربانة» الخ ... ففى هذه الاحيان هو ينكر وجود كل شىء موجود ، حتى أصحابه ، وحتى نفسه ! غير اننا كنا دائما نضحك ونقول له « سينگيمة ... سينگيمة ... سينگيمة » .

قبل يومين صادفت « مردان » فى الطريق . فدعوته الى الغداء فى أحد المطاعم المطلة على بحيرة « زوريخ » ودار بيننا الحديث حول الوزارة العراقية المستقيلة وحول الوزارة العراقية الجديدة الواصلة أخبارها الينا من الوطن العزيز . وها أنا ذا أنقل محاورتنا الى قراء العالم العربى الكرام كما هى من غير زيادة أو نقصان « والخطيئة فى رقبة مردان » .

الشوربة والسياسة :

ابتدأنا بالشوربة ... ثم سألته قائلا :

— يا مردان ما قولك فى استقالة الوزارة ؟

— (متعجبا) أي وزارة ؟

— جانم الوزارة ••• الوزارة العراقية !

— اتركني « أتزقنب » دعنا بالله عليك من السياسة والوزارة !

— خير ان شاء الله ••• معدتك « خربانة » ؟

— لا ! معدتي « عال » وكل شيء عال ! الوزارة استقالت : عال ••• الوزارة تشكلت : عال العال •• وانت والوزارة على العين وعلى الرأس ••• وأنا خادمك ••• بعد أي شيء تريد ؟

— لا تزعل يا أخي أنا لم أقصد ازعاجك ولكن المسألة تهمنا كلنا والسياسة هنالك أصبحت غريبة عجيبة • لا رأس لها ولا كعب • كل يوم وزارة جديدة • و « في الوسط ماكو شي » ! ••• فغضبك هذا ليس في محله • أولا انت لست تقدميا ولا زعيما ولا وزيرا •••

— الحمد لله والشكر •••

— الحمد لله على أي شيء ؟

— على الشوربة ••• خوش شوربة ••• ذكرتني بشوربة العدس في رمضان ••• اشربها قبل أن تبرد ، فتحمي بذلك أكثر من السياسة والوزارة •

السمك والوزارة والانكليز :

خلصت الشوربة وأتانا السمك وابتدأت أنا من جديد :

— ان الله لا يستحي من الحق ، يا مردان ••• الحكم في العراق صعب جدا وليس من الانصاف أن يلوم الانسان رجالنا •••

— (يغني على وزن دشداشة صبغ النيل) انتم تلوموني ولا تدرون والنار تحرق رجل واطيها • تره لا لا ترم ••• ترم ••• تره تم • !

— نحن نريد أن تتكلم مثل الاوادم ••• ما هذه الترهات ؟

— خوش سمك مثل البُني ! (يغني) : « يا صياد السمك صيد لي بُنيّة »

— اسمع يا مردان ! رجالنا تصلبوا ثم ضربوا الكراسي عرض الحائط ...
فهنا أخذ مردان ينظر اليّ وفي وجهه ابتسامة مُرة ثم ترك السمكة وقال :

انت تريد تحركني حتى أتكلم وانت تعلم اني أعترض على كل شيء ، وأثور على كل شيء وانكر كل شيء ! ... طيّب ابشر ! استقالة الوزارة لا تعني التصلب كماتدعي جنابك ويدعي جناب غيرك ! الاستقالة ـ حسب عقلي ـ تعني استسلام العراق أمام الانكليز وخضوع رجالنا أمام المندوب السامي ... والذي يزيدني ألماً هو ان تلك الوزارة كانت تحتوي على جماعة يعدّون من أحسن رجالنا الحاضرين . اذ كان فيها الخطيب الذكي ، والداهية الدهياء ، والعاقل الرزين ،والشجاع والمخلص ، والخائف ربه ... وفوق كل هذا كانت الوزارة تقدمية ذات أكثرية ساحقة . وكان الشعب ينظر اليها وعيونه مملوءة بالامل وفي قلبه ذرة من الايمان ... ولكن ماذا حصل ؟ حصل ان الصاحب «خنزر عينيه » و « كزكز » أسنانه و « دردم » فتدحرجت تلك الوزارة القوية ورجعت من نصف الطريق . يا من سلم ... هذا مع انها كانت تدري بأن أبناء الشعب كانوا مستعدين أن يعاضدوها في سيرها ذلك !

— نعم رجعت من نصف الطريق لان الانكليز أصروا ....

— اسمع يا علوان ! نحن في بلادنا ، نحن في بيتنا وفي بيت أبينا فيجب أن يكون قلب رجالنا أقوى من قلب الانكليز ، ولكن منذ عشر سنوات نحن وحدنا نتساهل ، نحن وحدنا نتنازل ، نحن وحدنا نخاف ، نحن وحدنا نستقيل ، نحن وحدنا ننتحر ، نحن وحدنا نرجع الى الوراء ! لماذا ؟ العلة لاننا لسنا أحرارا ؟

— لا تقطع كلامي ، العلة هي الجبن السياسي الذي يسميه بعض رجالنا

سياسة وكياسة .. العلة هي اهتمام زعمائنا في « تأمين خط الرجعة » العلة هي اعتقادنا بفلسفة « ألف صديق ولا عدو » العلة هي تفكيرنا في منافعنا الشخصية الحالية والمستقبلة ... فبدلا من ان نقوي اعيننا ولا نلتفت ، بدلا من ان نقطع خط الرجعة بالمرة . فلا يبقى لدينا سوى السير الى الامام ، نحن نمشي خطوة ثم نرى « السعلوة » امامنا فنحير في امرنا ونقع في حيص بيص ، ثم « گريه دون » نركض درت نعل الى الوراء !

— طبيعي نحن الآن قاعدون في زوريخ والكلام سهل ...

— اقول لك لا تقطع كلامي يا صلاتي ! انا لا اجد في استقالة الوزارة شيئا من التضحية والشجاعة كما تقولون . بل بالعكس ... هؤلاء الرجال الاذكياء ذبحوا مبادئهم بأيديهم وتركوا كراسي الحكم لاجل « الخاطر » كيلا يحصل قال وقيل . وكيلا يزعل المندوب السامي ... لان المخاربة مع المندوب اسامي فيها ما يضر مستقبل البلاد ومستقبل الاشخاص ... فكل هذا « احتياط » من غير معنى ... هذا هو الجبن السياسي !

— ولكن يا مردان لو كنا نحن في نفس الموقع ربما كنا عملنا نفس العمل !

— انا لا ادري ما كنت تعمله انت ولكني انا كنت عملت غير ذلك ...

— ما الذي كنت تعمله ، مثلا ؟

— كنت اكتب الى المندوب السامي واشكره على ارشاده فيما يختص بامور البلاد الداخلية واقول له : ببرودة دم واحترام يا صاحب الفخامة لاتتكلف اكثر من ذلك لان الوزارة قررت ما قررت . والمجلس والشعب والكل موافقون على ذلك . والله يطول عمرك .. وكنت ابقى على الكرسي وان قامت القيامة ! فالشطارة ان يبقى الرجل على الكرسي في وقت الشدة والخطورة ...

— واذا استعمل الانكليز القوة ؟

— فليستعملوا ما يريدون ! فاذا اجبرونى على الاستقالة بواسطة الطيارات فحينئذٍ اكون معذورا اما الله وامام الناس . انسحب ورأسى مرفوع الى السماء ، اعلى من الطيارات !

— وما الفائدة من كل ذلك ؟

— الفائدة عظيمة ... اولا : اطمئنان ضميرى بقيام الواجب . ثانيا : جلب الشعب وتوحيده تحت قوة وطنية جديدة . ثالثا : بث روح التضحية بين أفراد الطبقة المديرة . رابعا : جلب دقة الانكليز حتى يتركوا سياسة التضييق ويعرفوا انهم ليسوا فى بلادهم ... ام فى الهند .

— ولكن لا تنسى ان للانكليز اعوانا واصدقاء ..

— نعم الانكليز سيجدون دائما من هو حاضر ليخدمهم ويخدم نفسه . غير ان عاقبة هؤلاء الاشخاص هى كعاقبة محمد محمود الذى يخجل الآن ان يترك بيته .

هنا سكتنا برهة واكلنا السمك .

اللحم والختام :

وطلبنا اللحم فقلت لمردان بهدوء :

— طيب والوزارة الجديدة .

— يعنى قصدك شنو ؟ هل دعوتنى على غداء ام على زقنبوت ؟

— طول بالك يامردان ؟ انا احب ان استفيد من افكارك ... قل لى هل عندك امل فى نجاح المفاوضات المقبلة ؟

فلم يجب مردان بل « دردم » بعض الكلمات بين أسنانه فلم أفهم شيئا منها وعليه قلت له !

— مردان انا اعتقد ان الوزارة الجديدة اذا نجحت ......

وقبل ان اتمم كلامى رفع مردان رأسه وفتح عينيه وهما كجمرتين ..

فعلمت حالا ان « السينگيمة » هجمت عليـــه ... فندمت على عملي لأن مردان ترك الاكل وصرخ بأعلى صوته :

— بس ! بس ! وزارة قديمة ماكو ! وزارة جديدة ماكو ! انكليز ماكـو! عراق ماكو ! ارض ماكو ! سموات ماكوا ! يا جارسون جيب بيرة .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٥ نيسان ١٩٣٠ .

بين الجـــد والهـزل*

« يا منباش طلّعني ! يا منباش طلعني ! .. »

[هذه كلمة هزلية فى شكلها ومؤلمة جدا فى حقيقة مغزاها اذ تمثل العلاقة بين الوزارات العراقية والسلطات المنتدبة كما انها تمثل الادوار الهزلية المؤلمة التى كانت تقوم بتمثيلها تلك السلطتين المتنافرتين ... أمـا حسـاب كل تلك الفوضى فكان العراق وأبناؤه يدفعونـه مرغمين .. شأن الشعوب المغلوبة عـلى أمرها] .

كلما افكر فى قضية العراق وبلشته مع الانكليز تأتى الى بالى المرحومة « دادى زعفرانه » سبحان الله كيف يتخطر الانسان ايام صباه ! كأنما الشغلة كانت فى الامس !

كل يوم بعد العشاء وغسل المواعين كانت دادى زعفـرانه تصعـد الى الكفشكان وكنت انا اروح عندها والعب معها « يامنباش طلعنى » !

دادى زعفرانه كانت طويلة عريضة مثل الجندرة وقوية مثل الفيل ، ولذا عندما نبدأ باللعب وتحبسنى بين ساقيها كنت ابقى معصورا مثل الساردينـة . ولكن معلومك الولـد يحب اللعب مهما كان نوعه وانى كنت امـوت فى « يامنباش طلعنى » لاسيما مع دادى زعفرانة ... كنت ابقى معصورا مـدة طويلة واسعى ان اتخلص من تلك المصيدة وارفس برجلى واجر بيدى واصرخ من غير انقطاع « يامنباش طلعنى ! يامنباش طلعنى » أما دادي زعفرانة ـ الله يرحمها ويرحم موتانا وموتاكم ـ كانت ، خلال هذه العملية تدخن وتشرب شاى وتكرز حب وتصيد براغيث وتتسامر مع الخدامات وتنساني تماما هنـاك التوى بين ساقيها ...

غير انني في الاخير كان يضيق نفسي واتعب فابكي ... وعندما ابكي كانت تأخذني في حضنها وتبوسني وتعطيني شوية حامض حلو او قرص نعناع حتى اسكت ... وكنت اسكت حالا عندما ارى الحامض حلو ام قرص النعناع . وكنت اغفو بين ذراعيها وثاني يوم اجد نفسي في فراشي ..

فالامور الآن عندنا تشابه مسألة « يا منباش طلعني » .

تأتي وزارة مع منهاج طويل عريض وتدخل في « المفاوضات » مع الحليفة « جرَ وعرَ ... جرَ وعرَ .... » من غير قبض . ثم روح الوزارة تصل الى خشمها فتستقيل ... ثم تاتي وزارة اخرى وتأخذ بتمثيل نفس الدور : يامنباش طلعني ! يامنباش طلعني ... ثم تطلع يد من وراء يد من قدام ... ثم تاتي وزارة ثالثة في نفس الحال ، ثم رابعة ، ثم خامسة ولكن الحليفة سلمها الله ، مثل دادي زعفرانة ، ما تدير بال ... وتعمل الذي تريده !

وحق شاربك ايها القارىء العزيز قلبي ينكسر على رجالنا وتأتيني الخطية عليهم كلما أتصورهم يخبطون ويرفسون ويشرمخون ـ مثلما كنت أعمل انا ـ بغية التخلص من تلك المعصرة ...

غير ان ابليس اللعين يأتيني بعضا ويوسوس في صدري : « من المذنب؟ وما بال رجالنا لا ينتبهون فيدخلون في تلك المصيدة ؟ لماذا نراهم في كل مرة يذهبون عند الحليفة لاجل المفاوضات من غير قوة ثابتة فنقلب المفاوضات «يا منباش طلعني» ؟ لماذا لا يتوبون بعد أن انكوت ألسنتهم عندما ذاقوا عصيدة الحكم الشاذ ؟ لماذا لا يملون الصعود على الكراسي بعد ان تكربسوا عدة مرات ؟ .... هكذا يوسوس الشيطان الخناس في صدري !.. وصدور الكثير من الناس .

ثم اسمع القائلين يقولون « ان الانكليز نكثوا العهود معنا ، وانهم لم يثبتوا اقوالهم بافعالهم وانهم لفلفونا واكلوناوشربونا ... الخ .. الخ»

طيب ... هذه اشياء معلومة ومفهومة لا تحتاج الى الرواح عند القاضي ... ولكن هذه سنة الله في خلقه والقوى يأكل الضعيف ولذا يجب ان نفتح اعيننا ونقوى انفسنا حتى نتخلص من أكل الجماعات ...

وفي نظر الداعي يجب علينا اولا : ان نترك حب ضرب الكلاوات . ثانيا : ان لا نتزاحم بعضنا مع بعض في الوطنية والزعامة . ثالثا : ان نتحد ونلتف حول زعيم واحد لا نشك في اخلاصه ودهائه ومقدرته رابعا : اجراء انتخابات « من صدق » والحصول على برلمان يمثل الشعب تمثيلا صحيحا لا ريب فيه .

فاذا تمت هذه الامور فستبدل الوضعية ودادى زعفرانة ستفتح عينها وتهتم بنا اكثر من اهتمامها بصيد البراغيث !

جربوا وشوفوا !

زوريخ ١٠-٤-١٩٣٠

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٨ نيسان ١٩٣٠ .

اصبروا ولكن افتحوا عيونكم

[من غرائب الوضع الشاذ تبدل الوزارات كل بضعة أشهر وارسال وفود الى لندن من وقت لآخر لحل المشاكل واسترداد الحقوق المهضومة واقناع الحلفاء بضرورة تبديل السياسة وتعديل الاعوجاج ... وكانت كل هذه المحاولات لا تنتهى الا بالفشل تلو الفشل ...] .

كتبت قبل سنتين كلمة حول « رجالنا » قلت فيها بأن ٩٩ فى المائة منهم « ما يطلع منهم درب » ! فقامت يومئذ القيامة على راسى . وفهمونى – بالقلم العريض – اننى غلطان ونعسان ! وحتى ان احد المتبصبصين كتب « ردا » على مقالى ذلك . وبعد ان اصعد رجالنا الى السموات ، اتهمنى – غفر ذنوبه – باساءة الادب وادعى اننى « غفيان ورجلى فى الشمس » !... كنت اود ان يكون الحق مع من خالفنى فى رأيى ... كنت اود ان اكون انا الغلطان والنعسان والغفيان فى هذه القضية ! ولكن مع الاسف ارتنا الايام وحوادثها ان الحق كان معى . واننى لم ابالغ فى ادعائى . وان رجالنا مع استثناء النادر منهم – فى الحقيقة « ما يطلع منهم درب ويلزم ان نغسل ايدينا منهم » !... هذه حقيقة مرة ومزعجة ولكنها – مع الاسف حقيقة ناصعة وبارزة « تفقس » العيون التى تجتهد ان لا تنظر اليها !...

لننظر نظرة واحدة – نزيهة تماما – الى رجالنا ، الى زعمائنا ... ماذا نري فى الكثير من اثارهم ؟ نرى – مع الالم الشديد – « خرابيط » فى « خرابيط » فى « خرابيط » !!! أجل ، فلنطل النظر الحاد ، أفما يبدو لنا ، – من حيث المجموع ، ودوران الاحوال المتوالية بلا قاعدة مضبوطة ، وبلا نتيجة حقيقية – ان هناك ، ويا للاسف ، « شليلة وضائع رأسها » ! اما نرى – ويا للألم – ان هذا يجر بالطول ، وذاك يجر بالعرض ! – هذا عنده اقتدار ولكن ظهره غير « مسنود » وذاك ظهره مسنود ولكن ما عنده اخلاص !..

هذا مخلص غير مقتدر ، وذاك مقتدر ولكنه طماع !... هذا يريد ان يخدم البلاد ولكنه يجهل الطريق ، وذاك يعرف الطريق ولكنه لا يخدم الا نفسه !. هذا يركض وراء الزعامة الكاذبة تحت جنح الانكليز ، وذاك يركض وراءها متوسلا باعداء الانكليز !.. هذا يحتج وينقم على الغرباء ونكثهم العهود وتداخلهم فى أمور لا تخصهم . وذاك يقوم يشكر الغرباء على جميلهم « ويترنم بصداقتهم » !.. هذا يصرخ ! « الوطن والامة ! » وذاك يجيبه « الوطن والامة ! » غير ان الوطن والامة لا يستفيدان ، لا من هذا ولا من ذاك ! هذه هى حالتنا الشاذة المرتبكة المتناقضة . وفيها رجالنا ، ويا للأسف ، يخوضون ، ويتخبطون ، ويقومون ويقعدون ويصعدون وينزلون ، ويعيشون ويموتون ـ حتف انوفهم او منتحرين ـ فتزداد الحالة تعاسة والامور ارتباكا. فيحترق الاخضر بسعر اليابس . وتذهب مساعى الرجال المخلصين القليلين هباء منثورا . وفى النهاية لا يستفيد من هذه الحالة المحزنة سوى بعض الطفيلين وخصوم الوطن والامة اللذين لم يتعبوا فى الحقيقة يوما ولا يتعبون !... حالة تعسة ! حالة تمزق القلب ! ولكن ما العمل ؟... يجب ان نصبر ونتحمل ونفتح اعيننا وننتظر : فهؤلاء الرجال وامثالهم قد اقسموا على تمثيل دورهم بتمامه ، هذا الدور القاسى الذى سيكون ـ بالرغم من مساعى المخلصين النادرين ـ نقطة سوداء فى تاريخ النهضة العراقية وعبرة اليمة للاجيال المقبلة !... نعم يجب ان نصبر ونتحمل هذه المهازل ، وهذا الضعف، وهذا « الفرهود » الى ان يأتى « رجل » من الرجال الحقيقين فيجمع شمل المخلصين . ويؤلف منهم حزبا قويا يستند على الشعب والحق ـ لا على الخاطر والمحسوبية والطمع ـ فيكون لدينا « زغلولنا فيأخذ بأيدينا ويخرجنا من هذه الورطة !.. »

نعم يجب أن نصبر ونتحمل ونترك الراكضين يركضون مخدوعين وراء « السعادة والمراتب والاراضى والمزارع والكبكبة والطنطنة » الى ان يأتى ذلك

اليوم الذى لاريب فيه ... يوم يزهق الباطل ويعلو الحق !... اما الان فحالتنا ستبقى هكذا طالما ليس لنا قوة سياسية منظمة ومستندة على الشعب كالوفد المصرى ومتحدة تحت رئاسة زعيم عام قدير يخدم الشعب بكل قواه ومواهبه ، والشعب يلتف حوله ويعبده ويقدسه ... ان عدم وجود هذه القوة تجعلنا دائما لا شيء فى نظر اصدقائنا واعدائنا ... فالبرلمان الضعيف الاعوج والوزارات المستندة عليه ، وكل الظواهر الاستقلالية المنبثقة فى الوضع الشاذ ، لا تسمن ولا تغنى من جوع ! ولقد ارتنا الحوادث المتكررة موقف الغرباء تجاه البرلمان والوزارات وانظراتهم المشبعة بالاستخفاف وعدم الاعتبار !... فاذا اردنا ان تكون كلمتنا مسموعة ومعتبرة فعلينا ان نترك التبلبل ونفتش عن « الرجل المخلص القدير الذى يقدسه الاصحاب ويعتبره الاعداء » ...

الوفد العراقى (لا يخفى ان ابا شرارة كتب هذا فى زوريخ حين انتشار الشائعة القائلة بايفاد وفد عراقى الى لندن على شاكلة الوفد المصرى) يقال الآن ان « المفاوضات » ما بين العراق وانكلترة ستبتدىء عما قريب فنحن نقول : رب يسر ولا تعسر ... غير ان هنا امامنا مسألة تلقى الخوف فى قلوبنا . اذ لو بقينا على وضعنا الحاضر فالوفد العراقى المقبل سيكون اعرجا مشلولا يتعكز على حزب متفرق وبرلمان مفلوج وتحالف ارق من خيط العنكبوت ولاجله نكون غير منصفين اذا طلبنا من ذلك الوفد ما لا طاقة له عليه ... نعم نكون غير منصفين اذا لمناه على ارتجاف اعصابه وتعقد لسانه وارتخاء قواه ، لانه لا يستند على شيء قوى كما يستند الوفد المصرى الذى يفاوض الانكليز الآن فى لندن ... اننا نود من قلوبنا ان « يطفر » الوفد العراقى كل الموانع ، ويركض مثل الغزال ، ويقف وقفة الاسد فيحصل على غاية البلاد ، او اقله على قسم منها ، فلا يرجع فارغ اليد كالوفود السابقة ! ولكن من اين تأتينا هذه القوة ؟ اما اعلنت الوزارة السابقة ـ فى رجوعها وانسحابها ان لا ارادة

قاطعة فى العراق غير ارادة الانكليز ؟ وان ليس فوق ايديهم يد ؟... كيف يتأمل الانسان اذن ان يلد هذا المجتمع العراقى المتفرق الضعيف ما نريده له ـ فى الحال ـ من القوة الوطنية التى يمكنها ان تقف رافعة الرأس مع اهل لندن ؟ اين الحزب الجبار العامل المقتدر ؟ اين البرلمان « المنتخب » القوى اين القيادة والتضحية الحقيقيتان ؟ ان هذا كله « اليوم يومه » على الاخص ! ...

اننى لا اشك فى الوفد العراقى ـ اذا بقيت الحالة كما هى الآن ولم يجد « ظهيرا » يفيده الاستناد اليه ـ فيتسلح بالمداهنة والتوسل والتقنيع ، ويتوكل على حسن النية، نية العميد السامى ، ويذهب الى المفاوضات غير ان هذا السلاح ـ مع الاسف لا يأتى بالثمرة المحسوس بها . وخوفى شديد من ان يحصل اللاحقين ما حصل للسابقين ، وهو اما الاكتفاء بالزهيد غير المفيد واما الاستقالة والانسحاب !.. انى لا اقصد ان الوم الوفد العراقى الذي سيخوض المفاوضات ، والذى لا اعرف حتى الآن من هم اعضاؤه . ولكنى اطلب منه ان يتسلح قبل ان يتحرك بشىء اقوى من البرلمان المفلوج والمواعيد الفارغة ... هذا لاننا جميعا نود جدا ان نرى وفدنا مرفوع الرأس ومسموع الكلمة يطالب بحق البلاد بقلب قوى ولسان لا يرتل ... هذا لاننا جميعا نود ان نرى وفدنا يعود من المفاوضات غانما فيستقبله الشعب كله بالهتاف والتصفيق . فى صدق واخلاص حقيقين ـ ! هذا لاننا جميعا لا نريد ان نضيع علينا لاسمح الله ـ « سنتان اخريان » والحبل على الجرار !...

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٣ نيسان ١٩٣٠ .

ان المستعمرين اخـــوة !

[تبدلت الوجوه والاستعمار واحـد
.. فالاستعمار الافرنسى هو كغـيره من
الاستعمارات لا يفهم ولا يرحم ولنـا فى
الجزائر وما جرى فيها منذ أكثر من قرن
أقوى دليل وأحسن برهان ...] .

وان انتسبوا الى شعوب مختلفـــة . وان استعملوا وسائط متنوعـــة فالمستعمرون اخوة فى الاستعمار ...

يظن البعض ان الانكليز خير من الافرنسيين ، أو ان الافرنسيين أحسن من الطليان ، أو ان الطليان أخف وطأة من الهولنديين ـ غير ان الحقيقة ـ فى مسألة الاستعمار والمستعمرين ـ هى : ان « العمى اخو الجردام » .

تستحضر الآن الحكومة الافرنسية ما يلزم احضاره « للعيد » الـــذى سيجرى فى شهر مايس المقبل بمناسبة مرور مائة عام على فتح الجزائر .

ووافق البرلمان على صرف ١٣٠ مليون فرنك على هذا « العيد » ليكون فخما باهرا والحكومة الجزائرية ستقوم بالواجب وتصرف هذا المبلغ العظيم بكل سخاء وبلا تردد !

نعم ، بلا تردد لان هذه الدراهم آتيـــة من جيوب اولئك المســاكين الجزائريين بين الذين يسعون ليلا ونهارا لكيلا يموتوا جوعا . هذه الدراهـم سوف لا تصرف على ما يأتى بخير لاهل البلاد ، كالمدارس ، والمستشفيات ـ لا !لا ! بل انها ستصرف على أمور تافهة . طوق ظفر ، تزيين الشوارع . فتح غازينوات ومحلات رقص ، ومحلات انس وكيف وطرب !...

وسيتمتع الافرنسيون بهذا « العيد » السعيد . ويشربون ، ويرقصون ، ويطربون . والجزائرى المحكوم سينظر فى هذه الافراح الى اولئك الغرباء الذين سلبوا منه ما ملكت ايمانه ... سينظر الى هذا « العيد » بعيون حزينة . وسيتذكر بكل مرارة ايام الحرية ، ايام الجهاد الوطنى ، ايام الامير عبدالقادر !

ان الافرنسيين أحرار فى أعمالهم وليس من حقنا أن نلومهم على احتفالهم بيوم فتح الجزائر • ولكننا كنا نظن اننا فى عصر جديد ليس فيه الا الصلح والسلم والحب البشرى ••••

كنا نظن ان الذوق السليم يقضى علينا ان لا ننظر الى ما مضى • وان ننسى العداوة والبغضاء • الجزائريون خدموا فرنسا ومدوا اليها يد المساعدة والاخوة، اذ كانت «الام الحنون» فى موقع حرج خلال الحرب • فهم – مع المراكشيين – جهزوا جيشا كبيرا وارسلوه ليدافع عن « الوطن » وعن الشعب الافرنسى••• ولم يسلم من هذا الجيش الا نفر قليل • اما الباقون كلهم فخروا صرعى تحت قذائف الالمان فداءً للشعب الافرنسى ! ناسين كل ما مضى بينهم وبين المستعمرين !

فاذا مات عشرات الالوف من العرب قبل بضع سنوات دفاعا عن فرنسا فهل يجوز الآن للافرنسيين أن يحتفلوا بيوم ظفرهم على العرب قبل مائة عام ؟

هل هذاء جزاء الاحسان ؟

فما اغرب اخلاق المستعمرين ما ابشع اذواقهم ؟ اما كفاكم انكم نكثتم العهود التى قطعتموها لحلفائكم ؟

اما كانت تكفى تلك الدماء المسفوكة ، والارواح الزاهقة ؟ فما معنى هذا الاحتفال وهذه الاهانة ؟

مائة سنة ! نعم مائة سنة ، والمستعمرون يمصون دم الجزائر ولا يشبعون!

مائة سنة ! وخمسة ملايين من العرب عائشون اسرى ، يكدون ، ويسعون لاسعاد اولئك الفاتحين !

مائة سنة والجزائرى لم يزل يخضع لقانون خاص يجعله أوطأ من الافرنسيين الذين يسكنون بلاده •••

مائة سنة والجندي الجزائرى لا يرتقى فوق درجة الكابتين (يوزباشى)

مهما كانت مقدرته وشجاعته . الا اللهم اذا بدل تابعيته ودينه !

مائة سنة و ٦٠٠٫٠٠٠ طفل « يلوجون » فى الطرق من عدم وجـود المدارس الابتدائية الكافية !

مائة سنة وحالة الجزائر تعسة من جهات كثيرة مع ان الفاتحين هم ارقى الشعوب واكثرهم دمقراطية ! مائة سنة والجزائرى لم ينل حتى الآن حـق التصويت فى الانتخابات .

مائة سنة ! نعم من بعد مائة سنة يستلذ المستعمرون بمزيد الاحتفـال لذكرى يوم الفتح . ذلك اليوم المشؤوم على العرب . مائة سنة والعرب هناك جامدون لا يبدون حراكا .

ولكن ليعلم المستعمرون ان هذا الشعب الابى الذى رفع لواء الظفر فى قلب فرنسا فى ايام خلت لابد من انه سينهض يوما من الايام ويغسل العـار الذى البسه اياه الاستعمار .

ايها المستعمرون ! اطربوا وارقصوا الآن . كلوا واشربوا . عـدوا واخلفوا . احتفلوا وعظمـوا ايام الظفر . استعبدوا واستثمروا واستهلكوا وافنوا .... فهذا يومكم ... ولكن لكل عمل حسابا . وان يوم الحسـاب لآت ولا ريب فى ذلك !

---

* العالم العربى ٢ أيار ١٩٣٠ .

الانتداب وما أدراك ما الانتداب*

تحليل سياسى بالقلم العريض البسيط

[فى هذا الوصف الهزلى للانتداب حقيقة مؤلمة لما حل بالعرب بعد انتصار حلفائهم الذين صفوا الحساب مع الالمان والاتراك المنكسرين ولم يكتفوا بما حصلوا عليه من غنائم فعادوا الى « حلفائهم » الضعفاء ووضعوا أيديهم على ما يملكون باسم الصداقة والمحبة وشراكة التحالف أيام الحرب] .

بعد ان وضعت الحرب اوزارها وانتصر الحلفاء على اعدائهم اراد الغالبون ان « يطلعوا حيف الجماغات التى أكلوها» خلال الحرب . وعليه فقد اجتمعوا فى « فرساى » ورتبوا تلك المعاهدة المشهورة التى نعرفها كلنا ....

رأى الحلفاء الموت الاحمر على يد الالمان خلال الحرب فانتقموا بواسطة معاهدة « فرساى » من بعد الصلح . واخذوا سلاح اعدائهم . ثم اخذوا اموالهم ، واملاكهم ومستعمراتهم وكل شيء يمكن اخذه . ولولا اختلاف بعضهم مع بعض وخوفهم من امريكا لما ترددوا فى سلخ جلدوهم وقبض ارواحهم ايضا . وهذه الاصول موجودة « من قال وبلى » ويجب على المغلوب ان « يأكل الجراب » ويسكت .... ولما انتهى المنتصرون من افتراس المغلوبين ورؤا ان اعداءهم ما بقى عندهم غير « الجناجل والعظام » رجعوا على الضعفاء من حلفائهم ايام الحرب ، وحدّوا اسنانهم ! هذا مع ان بطونهم اصبحت منتفخة ومتخومة ! ولكن ما العمل اذا كانت العيون لا تشبع ابدا ؟ وهكذا « نزلت النايبة على رأس ابن الخايبة » ونزل البلاء على البلاد العربية ، وهى لقمة سمينة تسوق الانسان الى نكث العهود وخيانة الصداقة .....

راح يوم وجاء يوم وما رأينا الا بعض الحلفاء يعقدون ــ من غير خجل ــ

---

(١) الجماغات ــ مفردها جماغ وهى العصي المستعملة للضرب «الهروات».

اجتماعا فى « سان ريمو » ويقسمون البلاد العربية فيما بينهم كما يقسم الاولاد ارث أبيهم ... فهاج العرب كلهم لهذه المؤامرة وعملوا كل ما فى قدرتهم لازاحة هذا البلاء . وسفكوا دماءً جديدة . وضحّوا بأرواح غالية ، للتخلص من طمع « أصحابهم » غير ان الحق لمن غلب ... كان العرب يعتمدون كل الاعتماد على صداقة الحلفاء واخلاصهم . ولاجل هذا لم يقدروا فى بادىء الامر ـ ان يصدقوا ما رأته عيونهم من انواع نكث العهود فالتجأوا الى حمية الحلفاء قائلين :

العرب ـ يا معودين ! عدلوا ! بدلوا ! نحن حلفاؤكم ، نحن اخوانكم ، أنسيتم أننا قاتلنا بجنبكم ، وسفكنا دماءنا لقضيتكم ؟ أنسيتم أننا تعاهدنا واتفقنا معكم ؟ فما تريدون الآن بنا ؟ وما هذه الدواليب اليس من العار ان تجعلونا بدرجة الاقوام المتأخرة المستعمرة ؟ نحن عرب لنا ماضي مجيد ، ومستقبل عظيم ، فبالله عليكم دعونا نتمتع بما كسبناه بدمائنا وأرواحنا ! دعونا نشم نسيم الحرية والاستقلال .

الحلفاء ـ على بختكم ، أيها العرب ! لا تخافوا ، نحن اصحابكم واخوانكم حتى الممات . ولكن كما لا يخفاكم عصبة الامم « استرحمت » منا ان نقوم بخدمتكم ونعلمكم ونستثمر لكم مواردكم الطبيعية ، حتى تكونوا دولة عظيمة وامة قوية . ونحن لاجل خاطركم قبلنا بهذه المهمة واتيناكم منقذين لوجه الله تعالى !

العرب ـ الله يبارك فيكم ويطول عمر العصبة ذات القلب الحنون ! ولكن لا تتكلفوا اكثر من اللزوم ، فنحن نفضل ان نكون فى بلادنا وحدنا . ولا نريد أن نعمل عليكم «زحمة» ... ثم نحن حاضرون أن نعطيكم ما تطلبونه : ارض ، زفت ، نفط ... وكل شيء تشتهيه انفسكم . ولكنا فقط نرجوكم ان تتركونا لوحدنا ندير امر بيتنا ولكم الشكر سلفا !

الحلفاء ـ يا للعار ! يا للعار ! نحن لا نريد منكم شيئا ، لا أرضكم ، ولا

زفتكم ولا نفطكم .. نريد خيركم لا غير ! اموالكم هى لكم « عوافى وماء صافى » ونحن نخدمكم « بلاش » ! وسنبقى بحوله تعالى عندكم الى ان تقووا وتصبحوا رجالا لا خوف عليكم .

العرب ـ نشكركم كل الشكر على نواياكم الحسنة .. و « بلا زعل » نرجوكم ان تتركونا لان بقاءكم يخل بالسيادة القومية . ثم ان تدخلكم فى امورنا الكبيرة والصغيرة تعرقل اشغالنا ... فانتم تجرون بالطول ونحن نجر بالعرض . . « والشغلة تطلع مزعطة » .

الحلفاء ـ انتم لم تزالوا فى دور الطفولة ، وتجهلون تماما خيركم وشركم . فيجب عليكم أن تستمعوا لكلامنا ، وتستفيدوا من « ارشادنا » وتتبعوا نصائحنا المفيدة . وحياة راسكم العزيز هذه امامكم فرصة ولن تجدوا فى العالم احسن منا واشفق !

العرب ـ يا معودين لا تضحكوا على ذقوننا ! هذا عيب !

الحلفاء ـ « العيب فى الجيب » واذا المسألة صارت مسألة عناد فأنتم الخاسرون ! نحن لا يمكنا ان نترككم لاننا تعهدنا امام عصبة الامم «والجنتلمن» لازم يمسك كلامه ! ولذا نحن الآن هنا وسنبقى هنا الى ان .... يأتى الوقت المناسب !

من هذه المحاورة يمكنك ايها القارىء ان تفهم وترى نوع « البلشة » التى بلشنا[1] بها مع الحلفاء ... وهذه البلشة يسمونها فى جنيف «انتداب» ، وهذه القصة التى اصبحت اطول من قصة عنتر ستبقى الى يوم « الخلاص » والى ان يبدل ربك الامور ! فى هذه القضية لا يوجد لا حق ولا منطق ولا انصاف ... لا ! لا يوجد هنا سوى القوة والضعف . فالاقوياء ـ وخادمتهم

---

(١) بلشنا : بمعنى تورطنا .

المطية ـ عصبة الأمم ـ حفظها الله ـ وضعوا فى أعناقنا طوق الانتداب لوجه الله تعالى حباً بنا ، وشفقة علينا !! ••• الله يبيض وجوههم واذا زال « الانتداب » يوما ـ وكل حال تزول ـ فربما يتقدم حلفاء العرب واصـــدقاؤهم بدولاب جديد ••• لان العرب هم على كل حال « مبتلشون » بصداقة الاصـــدقاء المنحوسة ، وبحبهم « الاكثر » الى ان ••• يأتى الوقت المناسب ••• والكلام بينى وبينك ، ان الوقت المناسب هو يوم « ياكل الجراب » اصحاب الدولاب !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٦ أيار ١٩٣٠ .

فاعتبروا يا أولى الابصار *!

[كان فشل المفاوضات المصرية ـ الانكليزية سنة ١٩٣٠ درسا وعبرة لنا جميعا . فالانكليز بالرغم من وجود حزب العمال فى الحكم بقوا مصرين على مطاليبهم ولم يتنازلوا بشىء للمصريين . وعاد الوفد المصرى فارغ اليدين . وفى نظرى ان هذا الفشل خير من النجاح الناقص وان الجوع خير من أكل ما تشمئز النفس منه] .

ان فى فشل المفاوضات البريطانية ـ المصرية عبرة كبيرة ودرسا بليغا لمن لم يزل يعقد كل آماله على « حسن نية » السياسة البريطانية !

يقال ان المستر هندرسن الاشتراكى هو ألين وزير خارجية فى البلاد الانكليزية ! ويقال أيضا ان السر برسى لورين هو أبعد نظراً وأطيب قلبا من جميع المندوبين السامين . ولكن الكلام « عند القبض » والانكليز تصلبوا كعادتهم فى قضية السودان ، وكانت النتيجة المؤلمة الفشل والرجوع الى سنة ١٩٢٢ . وهذا التصلب فى القضايا المصرية والفلسطينية والعراقية يدلنا بوضوح على ان الاشتراكين البريطانيين لم يزالوا مقيدين بحبال الاستعمار والاستثمار التى هى أعز شىء عند الشعب البريطانى . فى جميع « المفاوضات » رأينا الانكليز يحاولون الاحتفاظ بكل حرص باموالهم واموال غيرهم تاركين للطرف الثانى القوت الزهيد . هذا ما جرى فى مصر وفلسطين . وهذا ما هو جار اليوم عندنا .

غير ان الوفد المصرى علمنا درسا بليغا بعدم قبوله اقتراحات المستر هندرسن وبتفضيله الرجوع فارغ اليد ، على الاكتفاء بما تجود به اليد البريطانية .. تلك اليد التى « لا تفتح وان ضربت عكس صاحبها الف ضربة !» فحن ايضا اسوة باخواننا المصريين يجب علينا ان لا نقتنع بالزهيد . انما

ان نتمسك بحقوق بلادنا وان لا نبنى كل آمالنا على حسن نية الحليفة !

فاذا دارت المفاوضات العراقية فى اخلاص وجرأة وصراحة كما دارت المفاوضات المصرية • واذا فشلت من بعدها مفاوضاتنا كما فشلت مفاوضات المصريين ثم اذا بقيت الحالة عندنا كما هى الآن ••• فهذا لا يعنى حينئذ ـ كما يزعم البعض ـ عدم اقتدار رجالنا ••• لا ! بل بعكس ذلك ، هذا يعنى ان رجالنا « ما يمشى عليهم قرش قلب » ذلك ان كانوا مطّلعين على الحقيقة ، فى مفاوضاتهم ، ومزوّدين بكل ما يلزم من الجرأة ، والحكمة ، والصلابة والاخلاص الوطنى وفى هذه القضية الحيوية ، فى هذا الجدال الدائم بين الحق والقوة ، يجب علينا أن نعتصم بحبل الاخلاص والثبات فاذا خسرنا اليوم فسننجح غدا • واذا خسرنا غدا فسننجح بعد غد • وعلى كل حال سننجح طالما لنا ايمان قوى فى صدورنا وفى قضيتنا، الفشل أهون شرا من الانخداع بنجاح غير كامل • وانى افضل الجوع على اكل ما تشمئز منه الروح وتلعب منه النفس • كما اننى افضل العيشة فى كوخ بسيط على العيشة فى قصر فخم مفتاحه بيد الغير •

ولذا يجب علينا اما أن نأخذ حقوقنا فنعيش أحرارا مع دوام الصداقة الحقيقة المتبادلة مع الانكليز • واما ان نتحمل اثقال « الوضع الشاذ » ونحن غير معترفين به ، وناقمون على سياسة الخداع ، وساعون الى أخذ حقوقنا بكل الوسائط المشروعة الممكنة •• واحد من الاثنين : « لو وره لو هره ! »[1] هذا لاننا قد سئمنا بقاءنا معلقين بين الارض والسموات •• هذا لاننا ضجرنا من كوننا مذبذبين بين هذا وذاك ••• هذا لانه قد حان وقت « فقس » هذه القرحة المؤلمة ••• يجب علينا أن لا نسلّي أنفسنا من غير قيد وشرط بحجة اننا يوما من الايام وساعة من الزمان سندخل ان شاء الله وان شاء الحلفاء فى عصبة الامم ! •• نحن لا نريد ان ندفع ثمنا باهظا يسبب هلاكنا بغية الحصول

---

(١) مثل شعبي معناه : الموت ولا التقهقر •

على كرسي ربما كان اكثر « تطرقعا » من « كاروك أم البلاوى » وما اكثر الكراسى « المطرقعة » فى قصر عصبة الامم .

انى لا اشك فى ان رجالنا يقدرون كل هذه النقاط كما اننى لا اشك فى انهم سيأخذون فشل المفاوضات المصرية بنظر الاعتبار ، وانهم سوف لا يأتونا بالحشف اليابس تاركين كل الرطب للحليفة ، فاننا سئمنا الحشف ، وارواحنا ملته كل الملل !

كلنا نعلم ان موارد بلادنا وسياستها وحياتها هى الآن فى أيدى الانكليز . ولذا فان تصلبنا وفشلنا سوف لا يكلفاننا شيئا جديدا . كيف يكلفاننا شيئا ونحن ما شاء الله اصبحنا قاعدين على بساط الفقر ونافخين بالتنك ؟ وبما ان المفلس فى القافلة أمين ، وبما ان « المبلل لا يخاف من المطر » فيجب علينا أن لا نخاف ، انما ان نطالب بكل حقوقنا بكل جسارة .

فالمسألة اذن بسيطة ولا يوجد والحمد لله لا خوف ولا خطر . فاذا « زعل » الانكليز زعلتهم ! ... واذا تعطل المجلس الموقر ـ الله ومحمد وعلى معه ! واذا اخذوا كرسينا المنتظر فى عصبة الامم ـ « عوافى عليهم » فالذى يخاف اليوم ليس هناك مبرر لخوفه الا اللهم المصلحة الخاصة !

فالشغلة اذن واضحة وبسيطة لا تحتاج الى شرح طويل أو قصير ... ربما يظن البعض ، من كلامى هذا ، اننى من المغالين . فاقول بكل اخلاص اننى من المعتدلين المسالمين . انى افضل ان يتم كل شيء بيننا وبين حليفتنا بريطانيا العظمى بخير وسلام ومن غير قيل وقال ، ومن غير ضرب « چماغات » ولكنى طبعا ـ لست من المستسلمين الذين يفوضون كل امرهم الى حسن نية الانكليز والى مرحمة عصبة الامم .

نحن اكلنا الجراب اكثر من مرة ، وذقنا انواع المرارات فيجب ان ننتبه والا فجلودنا تروح الى الدباغ ... والخطية حينئذ فى رقبة الوزراء .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ أيار ١٩٣٠ .

آخــر مــــودة*

[صرفت الحكومات الاوربية المنتصرة جهودا جبارة للحفاظ على مكاسبها وغناها وقامت بمشاريع مختلفة للوصول الى تلك الغاية ومن أهم تلك المشاريع تأسيس عصبة الامم وكانت آلة طيعة بين أيديها ولم تكتف بذلك بل حاولت تأسيس « الحكومات الاوربية المتحدة » لهم وكان بطل هذه الفكرة وزير خارجية فرنسا المسيو « بريان » الذى كان شخصيا بلا شك من محبى السلام ولكن القصد الاساسى كان تأمين سيطرة فرنسا على أوروبا والتخلص من النفوذ الانكلو ساكسونى من الغرب والشيوعى من الشرق كما يحاول ذلك اليوم الجنرال ديغول] ٠

كان الدين فى القرون الوسطى أكبر سلاح فى يد السياسيين الاوربيين • صفحات التاريخ السوداء ترينا كيف اساء السياسيون للدين باستعمالهم اياه كواسطة لارتكاب أكبر الجنايات وأفضح المخازى• من بعد ذلك الدور الاسود أتت مودة « الوطنية » • وصارت الدماء تجرى سيولا والارواح تزهق بالالوف والملايين باسم الوطن • هذه المودة لعبت دورها حتى الحرب العظمى • اما اليوم فالسياسيون الاوربيون وجدوا واسطة جديدة للوصول الى غاياتهم : « السلم العالمى » ••• كلمة جذابة ولماعة يسمعها الانسان اليوم فى كل المحافل وفى جميع المجالس • فهذا يتسلح من رأسه الى رجله لاجل (السلم العالمى) وذاك يقتل ويسلب باسم (السلم العالمى) ••• والكل ياكل لتأمين (السلم العالمى) •• وبفضل هذه المودة خلقت عصبة الامم ومعاهدات لوكارنو والانتداب وميثاق كيلوغ ـ بريان ومؤتمرات نزع السلاح • وبفضل هذه المودة بانت هذه « الحلقة الجديدة » التى يسمونها

فكرة « الحكومات الأوربية المتحدة » والذى اتحف العالم بهذه الفكـــرة الجديدة هو المسيو بريان وزير خارجية فرنسا .

ويقال ان المسيو بريان رجل مخلص يحب الخير وسعادة البشر ، وانه لم يقصد من هذه الفكرة الجديدة الا خيرا وسلاما .. خيرا وسلاما لكـــل البشر !

وفى المذكرة التى ارسلها المسيو بريان قبل بضعة ايام الى الحكومات الاوربية المتحدة قد شرح لهم مفصلا غاية الاتحاد الاوربى ومزاياه وخيره وحسناته ! كل شىء يعمله الاوربيون هو (خير وحسنات) ونحن جربنا هذه الخيرات والحسنات وبما ان المجرب أحسن من الحكيم نحن « لا يفوت علينـا قرش قلب » .

ما الذى دفع المسيو بريان ومن يؤمن بايمانه على هذا الجهاد الاوربى ؟

هل هذا التشبث هو حقيقة لوجه الله تعالى ؟

هل اوربا تحتاج الى اتحاد يقوى ظهرها وهى ـ ما شاء الله ـ مثـــل العفريت قوية وغنية وحاكمة على آسيا وافريقيا ؟

وما معنى تأسيس « عصبة اوربية » مع وجود المحروسة « عصبة الامم » ؟

يحتار الانسان امام هذه الاسئلة التى تتوارد اليه عندما يدرس هـــذه القضية . لا سيما والسلم العالمى الآن غير مهدد ولا يوجد « لا قال ولا قيل » ومهما ارادوا ان يقنعونا بالكلمات المزوقة فنحن نعلم ان هدف الاتحاد الاوربى بلا شك أبعد من قضية السلم العالمى . والعامل الاساسى هو خوف اوربا وقلقها من تلك الاشباح التى صارت تحيط بها وتهددها .

فهناك خطر الاستيلاء المالى الامريكى الذى أخـــذ يزعجها ويضيـــق صدرها وهناك كابوس البولشفيكية المخيف الذى سلب راحتها ... ثم هناك بلاء انتباه الاقوام الاسيوية والافريقية الذى صار « ينغز » قلبها ويرعبها .. فما العمل امام كل هذه البلايا والى أين المفر ؟ هذه الحالة جعلت السياسيين

الاوربين يفتشون عن واسطة جديدة تضمن لهم السيادة العالمية التى اخذت تهتز وترتجف ـ علامة الشيخوخة والهرم ـ هذا الذى خلق فكرة تأسيس « الحكومات الاوربية المتحدة » .

نعم عندنا عصبة الامم . ولكن هذه لها نطاق واسع . ولا يمكن بواسطتها معالجة القضية الاوربية . ولا يمكن بيان باطن المسألة أمام الشعوب غير الاوربية !

فالقصد اذن هو تأسيس قوة جديدة لتقف أمام السيل الاقتصادى الغربى والسيل السياسى الشرقى والعامل اذن هو الخوف من امريكا من جهة ومن آسيا من جهة أخرى !

واذا سهل الله عليهم وتأسست الوحدة الاوربية فتأثير هذه العملية سيكون كتأثير أبرة (مصل) فى جلد شيخ عجوز ... واوربا ربما تقوى نوعا ما وتقاوم الى مدة من الزمن . ولكن قانون الطبيعة قهّار والنتيجة لا مفر منها .

اوربا ـ هذه العجوز التى حكمت العالم وظلمت وسلبت وقتلت ، لها يوم تحاسب فيه ، لها ساعة سوف تدق فترعبها . لها لحظة تلفظ فيها انفاسها .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٥ حزيران ١٩٣٠ .

حاجتنا الى الدعاية*

[من الامور التى أهملناها فى الماضى كانت قضية الدعاية . أما أسباب الاهمال فكانت متعددة : مشورة الانتـداب ، قلة المخصصات ، عدم المعرفة والاستعداد . والعرب بصورة عامة كانوا ولا يزالـــون غير مقدرين لفوائد الدعاية وتأثيرها فـى العالم حق قدرها] .

تعرفت يوما فى القطار بين زوريخ وباريس على عائلة أمريكية .. رجل وامرأة وبنت لهما . سألنى الرجل عن بلادى . فقلت : « العراق » فرأيت من ملامح الوجوه ان الجماعة لم يفهموا القضية فقلت « ميزوپوتاميا » فابتسم الرجل وفتح عينيه وقال : « اوو ! آى سى ! أنا أحب اليونان كثيرا » .

وقبل سنة فى جنيف اجتمعت بسيدة أمريكية ـ مدرسة التاريخ القديم فى احدى مدارس العالم الجديد فسألتنى من أى بلد أنت ؟ فأجبتها اننى من بغداد من العراق ... فرأيت انها انبسطت من « الشغلة » فقلت لا بد انهـا تحب العرب .. وبعد بضعة دقائق قدمتنى الى صاحبة لها هكذا : « المستر ... من الهند ...!» ولما شرحت المسألة قالت : «اوف كورس بغداد .. بغداد .. « حرامى بغداد » هرون الرشيد .. الفرات . وقبل يومين لقيت رجلا منورا يدعى العلم بكل شىء فسألنى هكذا : « عاصمة العراق بغداد أم طهران ؟ » قلت له : « عاصمتنا بغداد » . قال « لماذا يسكن رضا شاه اذن فى طهران ؟ .. » هذا واحد من ألف .. وما أكثر المنورين الغربيين الذين يظنون ان الموصل هى على ساحل الخليج العربى . أو ان اللغة الرسمية فى العراق هى الفارسية . أو ان الملك ابن السعود هو ابن الملك فيصل . أو ان العراق جمهورية الخ ... الخ ... واقدر ان اقول ان ٩٠ فى المائة من المنورين الغربيين يجهلون تماما وضع العراق وكل شىء يختص به ماعدا اللهم هرون الرشـيد والف ليلة وليلة !.. والاذكياء المتولعون بالسياسة هناك يعرفون شيئا قليلا عن بلادنا .

وذلك بفضل الحرب العظمى ، ومحاصرة الكوت ، وآبار نفط الموصل ..
اما العوام فهم يجهلون حتى وجودنا على وجه الارض !.. نعم يوجد فى الغرب علماء مستشرقون وسياسيون مستعمرون . فهؤلاء يعرفون تاريخنا وماضينا وحالنا ومستقبلنا احسن منا . غير ان هؤلاء الرجال عددهم محدود جدا ومعرفتهم لا تخلو من الخيال عند المستشرقين ومن الخداع عند المستعمرين . فالغربى الذى يدرس بلادنا على احدى هاتين الجهتين لا يتمكن من معرفة الحقيقة كلها .. لماذا يجهلنا العالم المتمدن كل هذا الجهل ؟ الجواب بسيط جدا : يجهلنا لاننا لم نسع حتى الآن الى ان نعرّف أنفسنا اليه ! كيف يعرفنا العالم حق المعرفة ونحن لا نملك شيئا من الدعاية ؟ كيف نريد ان يسمع صوتنا ونحن لا صوت لنا ؟ كيف يمكننا ان نجلب انظار العالم علينا ونحن الآن كفرخ « مهلوس » متخف تحت اجنحة النسور المفترسة . اننا الآن فى وضعنا هذا اتعس من وضع « فطيم سوق الغزل » !..

يقول الانكليز « ان الدعاية فى الحرب العظمى كانت من اكبر عوامل الظفر » هذه حقيقة لاشك فيها . فان جيش الدعاية الذى كان يترأسه اللورد « نورثكليف » كان لا يقل أهمية عن الجيش العسكرى تحت قيادة « فوش » فالذى اهلك الالمان ليست مدافع الحلفاء وحدها . لا ! بل اشتراك القوتين العسكرية والسياسية . ولولا دعاية الحلفاء الهائلة لما دخلت الحرب امريكا وايطاليا . ولما تهافتت الحكومات البلقانية والعرب على مساعدة الحلفاء ! ان المانيا اعتمدت على قوتها ومدافعها ولم تهتم بالدعاية الا قليلا . فقام الرأى العالمى ضدها وضد غرورها فانكسرت . بينما الحلفاء جلبوا قلوب العالم نحوهم بفضل الدعاية الواسعة النطاق ، فاتت المساعدات من كل جانب فكان النصر معهم . نرى من كل ذلك ان الدعاية هى سلاح عصر العشرين القاطع . فالذى لم يتسلح به ولا يحسن استعماله هو فى خسران مبين . فيجب علينا أن ندرس هذا السلاح ونستعمله فى قضيتنا ، ولا سيما ونحن الآن فى دور نهضتنا لانملك

سلاحا آخر ندافع به عن انفسنا • ان وقت وضع الحجر الاســاسى للدعاية العراقية قد حان فيجب ان نتوكل ونعمل • ولكن كيف نبتدىء ؟* يجب علينا ان نمد ارجلنا على قدر بساطنا • وعليه نبتدىء اولا بصورة مختصرة مفيدة ثم نوسع الدعاية مع الزمان • يمكننا اذن أن نشرع بالاشتغال بالدعاية : (١) تؤسس الحكومة دائرة صغيرة فى وزارة الخارجية للقيام بالدعاية الرسمية مع تأسيس مجلة اسبوعية تنشر فى لغة اجنبية (٢) نشر جريدة سياسية ـ اقتصادية تعالج القضية العراقية فى اللغة الانكليزية (٣) السعى الى بث الدعاية بواسطة الممثليات العراقية (٤) بث الدعاية بواسطة البعثات العلمية وتدريب التلاميذ لهذه الغاية قبل ان يتركوا العراق (٥) درس مسألة جلب السياح والاعتناء بهم مدة أقامتهم فى العراق (٦) تشكيل قوميسيون لمراقبة الصادرات العراقية (٧) مســاعدة الصحف التى تنشر فى الغرب للدفاع عن القضية العربية • ويمكننا تطبيق هذا المنهاج بغير تكليف كبير وتعب عظيم ولكن الفائدة التامة لا تحصل طبعا اذا لم تتحد شعبا وحكومة للحصول على الغاية المقصودة فعلى الحكومة ان تشجع وسائل الدعاية بكل صورة • وعلى الشعب ان يسند الحكومة فى هذا الباب حتى يسهل عليها القيام بتلك الدعاية •

---

* نشرت فى العالم العربى بتاريخ ٥ حزيران ١٩٣٠ •

مستقبلنا والسكك الحديدية*

[ان قضية سكة حديد حيفا ـ بغداد ـ لعبت دورا كبيرا على مسرح السياسة العراقية ـ البريطانية ·· وكان العراق الرسمى يميل كثيرا الى قبول وجهة نظر الانكليز · ولكن المعارضة فى العراق كانت قوية جدا ضد ذلك المشروع الاستعمارى وهنا تجد بعض الاسباب التى استندت عليها تلك المعارضة القوية] ·

لا اريد ا اتكلم هنا عن « قضية السكك الحديدية » المعهودة التى كانت ولم تزل عقدة عسيرة الحل بيننا وبين حلفائنا الانكليز ··· فهذه تكلمنا عنها حتى نشف ريقنا وتصلب الانكليز حولها حتى اصبحت المسألة اشهر من نار على علم ··· انى اريد ان اتكلم حول الخط الحديدى المقصود تمديده مع أنابيب النفط من العراق الى ساحل البحر المتوسط ، ذلك الخط الذى يمكن أن يكون فى المستقبل سبب سعادتنا أو أكبر عامل لشقائنا ··· أريد أن أدرس ـ واود ان ندرس كلنا ـ تلك القضية التى تتراءى لنا الان لامعة براقة فتسحر قلوبنا وتخدر اعصابنا « وهى خافية وجهها الثانى » ! اننا لا ننكر وجود الفائدة من اتصال العراق والبحر المتوسط بسكة حديدية ··· اننا لا نجهل الاستفادة الاقتصادية التى ستحصل من ذلك المشروع اننا نقدر الرقى المادى والمعنوى اللذين سينتجان عن ذلك التشبث ··· فهذه المحاسن والخيرات كلها ظاهرة وبارزة يراها ويحس بوجودها حتى العميان ولاجله لا حاجة لنا لشرحها وبسطها ··· فالذى نريد أن نشرحه ونبسطه هى الجهة غير البارزة · هى الامور التى يمكن أن تسبب ندمنا حيث لا ينفع الندم !

فى مسألة « السكة النفطية » سياستان اثنتان :

الاولى مبنية على تمديد خط من شمال العراق الى شمال سورية والثانية

مبنية على تمديده من جنوب العراق الى الساحــل الفلسطيني • الاولى هى سياسة الافرنسيين • والثانية هى سياسة الانكليز • ان الفرنسيون يفضلون ان تنتهى السكة الحديدية والانابيب فى البلاد التى تحت انتدابهم وحجتهم ان المسافة فى الشمال هى اقصر • وعليه ستكون مصارف التجهيز والمحافظـة اقل • اما الانكليز فهم يرجحون ان يكون الخط الحديدي كله فى منطقـــة نفوذهم ويدعون ان فى جنوب العراق آبارا نفطية ايضا • فيجب ان يحسب لها حساب • غير ان اكبر استفادة الانكليز هى ربط مصر وفلسطين وشرق الاردن والعراق بخط واحد فيكون لديهم طريق جديدة عظيمة قوية ، ما بين البحر المتوسط وخليج البصرة •

رأينا سياسة الانكليز والافرنسيين فى هذه القضية • فعلينا الآن ان نبين الاسس التى يمكننا ان نبنى عليها السياسة العراقية ، اذ يجب ان يكون عندنا هنا ـ نحن اهل البلاد ـ سياسة صريحة وواضحة ! يستفيد العراق من تمديد الخط الجنوبى استفادة اقتصادية كبيرة • ولكن من الجهة الاخرى يمكن ان يتضرر باضرار عظيمة ، ربما تكون قتالة فى المستقبل • الخط الشمالى فيه نفع سياسى كبير ولكن الاستفادة الاقتصادية ربما هى اقل منها فى الحالة الاولى لانها ستكون محصورة نوعا ما فى المنطقة الشمالية • الخط الجنوبى يحسن التجارة والترانسيت ما بين اوربا وايران فتستفيد المناطق الجنوبية العراقية كل الاستفادة • ولكنه يفصل العراق والاقطار الشمالية العربية الاخـــرى عن الجزيرة العربية انفصالا تاما • وبتعبير آخر يفصل الاقطار المنتدب عليها من البلاد العربية الحرة • وبتعبير أصح يفصل العرب الضعفاء عن العرب الاقوياء ! الخط الجنوبى الذى ستكون ادارته وحمايته فى يد الاجانب سيكون كحاجز حديدى يقوم بين عرب الشمال وعرب الجنوب • بل سيكون كسيف ذى حدين ممدود فى قلب البلاد العربية • واذا تم أمر ذلك الخط سنرى بلا شك المخافر المحكمة تمتد على طوله وسنرى مراكز للطيارات فى عدة نقط •

وسنرى القطارات المدرعة تجول فى البادية • وسيصبح ذلك الخط من أهم صرق المواصلات الامبراطورية • فيكون أعز من « قنال السويس » فى نظر المستعمرين • وسيدافعون عنه باموالهم وارواحهم • وتصبح لديهم حجة قوية للبقاء فى بلادنا • وسوف لن نرى الاستقلال • ويصبح العراق فى وضعه السياسى اضعف مما هو عليه الآن • وسيبقى العرب كلهم تحت رحمة اصحاب السكة الحديدية المذكورة الى يوم يوعدون ! هذه الملاحظات تنطبق ايضا على شرق الاردن • وفلسطين وسورية وحتى على جزيرة العرب نفسها التى لا تملك الا منفذا واحدا وهو الشمال • ويجب ان لا ننسى ان قوة العرب الوحيدة الآن وفى المستقبل هى جزيرة العرب فاذا اصابتنا يوما مصيبة فليس لنا ملجأ غير الجزيرة • وليس لنا غير اخواننا ابناء الجزيرة اعوان : لو كانت البلاد العربية مستقلة لما كان لهذه الملاحظات محل • ولكان الخط الحديدى المذكور عبارة عن سكة مواصلات فى داخل البلاد العربية • ولكانت المحاسن لا تعد ولا تحصى • ولكن نحن الآن مع الاسف محكومون • وخلاصنا متوقف على اتحادنا وتقاربنا من بعضنا • فالمستعمرون يعرفون هذه الجهة حق المعرفة ولاجله مزقوا شملنا وخلقوا لنا الانتداب الذى صيرنا شرذمات ضعيفة لا أهمية لها اننا لا نريد أن تقام لنا موانع جديدة تفصلنا وتبعدنا من بعضنا ، أكثر مما نحن عليه الآن ••• اننا لا نرتاح من ان نرى فى بلادنا هذه الحواجز الحديدية المستحكمة التى يحرسها المستعمرون خصوم الوحدة العربية • لهذه الاسباب يجب علينا ان نكتفى بتمديد الخط الشمالى • وان نقتنع بالخيرات الاقتصادية وان كانت أقل من خيرات الخط الجنوبى • الخط الشمالى لا يؤثر على الوحدة العربية ، وهو فوق ذلك سيكون بمثابة حاجز قوى فى حدودنا الشمالية • فاصحاب النفط سيدافعون عن ذلك الخط بكل قواهم • وهكذا سوف نحصل على استحكام قوي يضمن لنا سلامة حدودنا الشمالية • فى كل اعمالنا ، في كل حركاتنا

وسكناتنا ، يجب ان يكون هدفنا الوحيد وغايتنا القصوى : الوحدة العربية ، فلا استقلال ولا حياة للعرب اذا لم تحصل هذه الوحدة . وفى نظرنا النفط ، والانابيب ، والسكك الحديدية ، وكل شىء يأتى من بعد الوحدة العربية ، هذه يجب ان تكون سياسة العراق فى قضية السكك الحديدية ، ومن الواجب على اولياء امور العراق الذين اختبروا حتى الآن معظم الاعيب السياسة الاستعمارية، واكثر ظواهرها ومواعيدها الخلابة الخداعة ، ان يضعوا هذا نصب اعينهم ، ليكونوا على بصيرة !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٣ حزيران ١٩٣٠

الفال بلاش والدعاء بفلوس*

[فى بعض المصائب أدوار مضحكة ... مثل ذلك قصة المفاوضات بيننا وبين الانكليز طيلة أيام الاحتلال والانتداب اذ كانت الحكومات العراقية كلها منهمكة ومشغولة « بمفاوضات » لا نهاية لها . ومن المهازل انه عندما أوشكت المفاوضات أن تنتهى تسقط الوزارة فيبدأ العمل من جديد حتى تسقط الوزارة الجديدة وهكذا قضينا عشر سنوات عجاف ...] .

سياسة المفاوضات ما بين الشرقيين وبريطانيا العظمى تشابه فى بعض الحالات سياسة « ملا عبد الفوال » مع عجائز بعض المحلات .. كان الملا عبد ، واذا كان لم يزل حيا فلابد من أنه حتى الآن على ذلك الترتيب « يلوج » فى الطرق وينادى بصوته المعلوم :

« فوال فتاح فال ! الفال بلاش والدعاء بفلوس »

فتهافت عليه العجائز من نوع « اسكى عقل » تهافت الصبيان على « أبو أذرة الشام » او على « ابو باسورك وحب » .

« الفال بلاش » هل يوجد أحسن من هذه الشغلة ؟ بعض الناس يرحبون بالسخونة اذا كانت « بلاش » نعم الفال بلاش ولكن « اخينا بالله » ملا عبد مع جنونه فهو ليس باحمق كما يظن الناس . لا ! الملا يعرف شغله تماما أحسن منى ومنك ... يفتح الفال بلاش ، هذا صحيح ، يفتح الفال مرة مرتين ثلاث مرات عشر مرات من غير ان يعجز او ان يمل ولكن فى كل مرة يسعى الى وجود مسألة يقتضى لها دعاء والدعاء يكلف من « ام اربعه » وفوق « حال حالنجه » وبعض النساء يعتقدن بتأثير ادعية الملا اعتقاد بعض الرجال بحسن نية حلفائنا خلال الحرب وبعد الحرب ... وبعض العجائز لايكتفين بدعاء واحد بل يطلبن عدة أدعية مثلا دعاء لاجل النوم لان العجوز فى الليل تفز فزات ... دعاء

لافساد المحبة بين ابنها وكنتها ••• دعاء للحبل لان بنتها صار لها سنتين متزوجة ولم ترزق ـ دعاء لابن ابنها كرّومي حتى لا يسقط في الامتحان ••• دعاء حتى تلد البقرة حولية بدل الحولي • والحاصل دعاء لكل شغلة مهمة ! أما الملا فكان عفريتا لا خوف عليه في هذه المسائل • فهو يرتب الادعية ثم يعدلها ثم يضيف عليها عبارات جديدة •••

وفي بعض الحالات الاستثنائية اذا رأى الشغلة دهينة يشق قطعة صغيرة من عمامته القذرة ويضعها بين طيات الدعاء لاجل العين • في كل هذه العمليات ملا عبد طبيعي يطلّع حق التعب •

نعم ان « الشلاتية » يضحكون على لحيته لانها تشابه ذقن التيس ويرمونه بقشور الرقي والبطيخ صارخين باع ! باع ! ولكن الملا يضحك على عقول العجائز ••• وسلطنا بعضكم على بعض •

هذه هي الدنيا••• هذه صفحة من صفحات الجدال الحيوي الذى نشترك فيه كلنا من العاقل الى المجنون • فالمفاوضات « البريطانية ـ الشرقية » عامة « والبريطانية ـ العراقية » خاصة هي ، كفال ملا عبد ، بلاش • بل هي ارخص من البلاش واكثر من اللازم كل سنة مفاوضات كل شهر مفاوضات كل يوم مفاوضات •••

اصحابنا الانكليز والحق يقال كانوا ولم يزالوا دائما «حاضرين على المفاوضة » ولربما سخاؤهم في هذه المسألة يزيد حتى على سخاء ملا عبد في فتح الفال وكما ان الملا عنده وقت وعنده لسان لا يتعب لاجل مصلحته فاصحابنا الانكليز ايضا عندهم وقت وعندهم رجال وعندهم بال طويل وعندهم مال كثير وعندهم دم بارد وعندهم دواليب والحاصل عندهم كل شيء يقتضي لاجل المفاوضات •

مفاوضات الى الصبح ••• مفاوضات الى يوم القيامة ••• مفاوضات « كومة بفلس » مفاوضات بلاش ! ولكن القبض ؟

ها ! هذه مسألة أخرى « القبض » مهما كان نوعه يكلفنا معاهدة جديدة أو تعديل جديد فى معاهدة قديمة تماما عــلى ترتيب أدعية ملا عبـــد ... « المفاوضات بلاش ولكن كل شيء ما عدا المفاوضات بفلوس ! » .

منذ عشر سنوات ونحن ندفع ثمن تلك المعاهدات التى يقال أنها سوف تؤدى بنا الى الاستقلال التام الناجز وهذا الاستقلال الذى حتى الآن ماشممنا رائحته قدكلفنا فى الحقيقة كثيرا كثيرا . امتيازات قرقوشية كأمتياز النفـط وامتياز اللطيفية واتفاقيات غريبة كالاتفاقية العدلية والاتفاقية المالية . ثم هـذا الفرهود ثم هذا الفقر ثم هذه السفالة ، وربك وحـده يعلم ماذا سيكلفنا فى المستقبل لاسيما وامامنا الآن « دعاء » تخين لاجل العين وهو كرسينا فى عصبة الامم .... فهنا بلا شك سندفع أكثر من أم اربعة فلوس والمستقبل كشاف. المحزن فى كل ذلك هو اننا سنبقى « بطرگ المعاهدات » كما تبقى العجائز «بطرگ الادعية» . قبل عشر سنوات عندما قالوا لنا اننا استقلينا ظننا ان الشغلة انتهت من صدق ، فحمدنا ربنا وشكرناه ولكن بعده رأينا اننا متوهمون وان الشغلة لم تنته بل بعكس ذلك فهى ابتدأت منذ ذلك اليوم ! فى ايام الاحتلال كنا عارفين المسألة استعمار من غير رواح الى القاضى غـــير اننا من بعــــد ان ضربنا مدافع الاستقلال ضاع علينا الحساب ويا ضيعة كونى ضيعة الى يومنـا هذا . ومنذ ذلك اليوم كلما أوشكنا ان نجد رأس الشليلة تأتينا ضربة فتكثر العقد وتزيد المشاكل ... نتوكل عــلى الله وندخل فى مفاوضات جديدة . وعندما تتقدم المفاوضات الجديدة وتنقضى عدة أشهر ويأتى « الجواب من لندن » « ويروح الجواب الى لندن » ثم يأتى ثم يروح ، ثم يأتى ثم يروح ... وبعده يرى الانكليز ان الحديدة صارت حامية فتستقيل الوزارة وتقوم القيامــة . فندخل من جديد فى المفاوضات الجـــديدة وننتظر الجـواب من لنـدن على الاصول وهكذا دواليك ...

عشر سنوات ونحن مشتغلون بهذا الشغل ... الله يساعد رجالنا ...

في الحقيقة ان صبرهم كصبر النبي أيوب .

متى تنتهي هذه المهازل ؟ العلم عند الله ! ما هو وضعنا الآن ؟ هو تماما كوضع العجوز أمام ملا عبد . فالملا يفتح الفال ويريها الموت حتى تقبل بالسخونة وهي تنظر اليه حائرة في أمرها ... هي تريد أن تتخلص من هذه « البلشة » بدعاء واحد ولكن الملا ما يفك ياخة ويريد أن يبلعها « أبو قبيح » .

متى تخلص العجوز من هذه البلشة ؟

بالطبع ! عندما تتوب وتترك أكل « حب الرمان » !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٣٠ .

بحث تاريخي سياسي*

انكلتـــرة والهند

[قصة استعمار الهند هي من أهم صفحات الاستعمار البريطاني يجب على كل من يدرس التاريخ الحديث أن يهتم بها كل الاهتمام ... اذ قصة الهند هي المسرح الواسع لمن اراد أن يدرس ويفهم تطور الاستعمار بشكل مفصل واضح.. وعلينا كلنا أن ندرس هذه الناحية لنتعلم ونعتبر] .

فوق مسرح الامبراطورية الواسع تمثل الهند الدور الرئيسي من فاجعة الاستعمار . الهند هي أم المستعمرات ! هي بمثابة العروق والساق من الشجرة للامبراطورية العظيمة ، بينما المستعمرات الاخرى هي عبارة عن الاغصان والاوراق . اغصان واوراق لم تكن تخلق لولا وجود الساق وعروقه .

لكل حادثة تحدث في الهند تأثير كبير في كل ناحية من نواحي الامبراطورية البريطانية وبما أننا اصبحنا نوعا ما مرتبطين بذلك المجتمع فلا يمكننا ان لا نهتم بالهند وبكل ما يحدث هناك من الامور .

يهمنا أمر الهند أولا ــ لانها أمة شرقية ومغلوبة على أمرها مثلنا .

ثانيا ــ لان الشرارة التي أصابتنا هي من نفس تلك النار الملتهبة في الهند منذ ثلاثة أعصر .

ثالثا ــ لان الهند هي ضحية الاستعمار الكبرى فاذا نظرنا اليها يمكننا ان نرى مليّا عنكبوت الاستعمار الغربي من كل جهاته وهو فوقها يمص دمها ويمزق جسمها .

لم يكن استيلاء الانكليز على الهند نتيجة حركات عسكرية كما كانت الحالة في أقطار اخرى فالانكليز لم يفتحوا البلاد الهندية بجيوشهم بل انما

فتحوها بطريقة أخرى يمتازون بها على غيرهم ••• بطريق الدسائس السياسية والتفرقة والحروب الداخلية •

فى بادىء الامر ذهب الانكليز الى الهند لاجل التجارة والاستفادة الاقتصادية بصورة سلمية وأول شرذمة تجارية نزلت الساحل الهندى كانت قبل ثلاثة اعصر أى فى زمن الملكة اليزابيث • ثم تلت تلك الشرذمة جماعة اخرى سنة ١٦٦٨ فى أيام الملك ويليام الثالث •

فهؤلاء (التجار) جعلوا مركزهم فى جنوب البنغال وأسسوا مدينة كلكتة وفتحوا وكالة « شركة الهند الشرقية » المشهورة •

أما الحالة السياسية فى الهند آنذاك فكانت سيئة جدا والحكومة المركزية المغولية كانت ضعيفة تماما لا يمكنها أن تسحق الامراء الهندوس الذين أخذوا يجاهرون بالعصيان عليها •

فاستفاد الانكليز من هذه الفرصة وهذا التبلبل السياسى وأخذوا يستعملون كل الوسائط المشروعة وغير المشروعة ليزيدوا الحالة تعاسة بغية الحصول على مطامعهم • فعمت الفوضى الاقطار الهندية وانفجرت نيران الحروب الداخلية وكان الانكليز دائما يساعدون الفريق الواحد على هلاك الفريق الآخر وفى الاخير هلك الفريقان كلاهما • واصبح الانكليز أى شركة الهند الشرقية حاكمة على قسم كبير من الهند ولها جيش قوى وسطوة عظيمة •

اننا لا يمكننا أن نذكر أكثر من هذا حول الاستيلاء على الهند وعلى القارىء أن يراجع التاريخ اذا أراد أن يقف على صحائف تلك الفتوحات السود •

وأتى زمان حيث كانت ثلاثة أخماس البلاد الهندية تحت ادارة الشركة رأسا بينما الخُمسان الآخران كانا تحت حكم الامراء الهنود الذين نصبّتهم الشركة وهم مرتبطون بها بمعاهدات متنوعة • وهكذا انقسمت الهند الى قسمين • الهند البريطانية والحكومات المستقلة وفى سنة ١٧٦٥ أعلنت السيادة البريطانية فى

الهند رسميا وصارت الحكومة الانكليزية مشتركة مع « الشركة الشرقية » فى ادارة البلاد . فى سنة ١٨٥٧ حصلت ثورة عظيمة فى الهند وعصا الجيش الهندى وكاد الانكليز يفقدون المستعمرة . هذه الحادثة احدثت تطورا جديدا فى السياسة الهندية واخذت الحكومة البريطانية مسؤولية الحكم فى الهند وحدها وذلك بالرغم من احتجاج شركة الهند الشرقية وهكذا منذ ١٨٥٨ اصبحت الحكومة البريطانية وحدها حاكمة الهند المطلقة وصارت الهند مستعمرة مربوطة رأسا بالتاج كما هى الآن .

غير أن أصول الحكم الهندى منذ ثورة ١٨٥٧ الى يومنا هذا تبدلت اكثر من مرة وما الحكم الحالى الا نتيجة استحالات متوالية مرت على ماكينة الادارة بسبب الثورات المتعددة التى حصلت خلال تلك السنين .

ويمكننا أن نقسم أدوار الحكم البريطانى للهند الى ثلاثة أقسام: (١) دور الاستبداد المطلق (٢) دور الاستبداد المعتدل (٣) دور الدمقراطية . منذ ثورة ١٨٥٧ الى سنة ١٩٠٩ كان الحكم مستبدا خالصا لا ترى فيه ذرة من الدمقراطية . لا فى الظاهر ولا فى الباطن فالحكام الانكليز وعلى رأسهم الحاكم العام كانوا يأمرون وينهون بلا حساب ولا محاسب ، سوى البرلمان البريطانى . وكان الهنود ابناء البلاد لا يشتركون ــ لا اسما ولا فعلا ــ بالحكم وكانت الثورات تخمد بالدماء من غير تردد . والدراهم تصرف من غير ان يتمكن الهندى ان يعرف طريقة الصرف وغايتها . والحاصل كل الامور الصغيرة والكبيرة والمهمة والتافهة كانت فى أيدى الانكليز وحدهم . وهذا الحكم القاسى دام حتى سنة ١٩٠٩ .

فى سنة ١٩٠٥ استقال اللورد كرزن من حاكمية الهند العامة وحل اللورد « منتو » محله . فالحاكم الجديد وجد الهند فى استياء عظيم لا سيما من نتيجة حكم اللورد كرزن القاسى . فازداد الاستياء الى درجة احدثت ثورات دامية فى البنغال والبنجاب الخ ... فرأى الحاكم الجديد ان دوام الحالة سوف

يأتى بأمور غير مستحسنة وعليه صار يسعى الى احداث اصـــول جديدة فى الادارة •

واتت انتخابات سنة ١٩٠٦ فى انكلترة باكثرية ساحقة لحزب الاحرار فهذا الحادث سهل الامر على حاكم الهند الجديد الذى مع موافقة وزير الهند حينئذ ـ وهو لورد « مورلى » وضـع منهاجا جديدا للهنـــد تحت عنـوان : « منهاج مورلى ـ منتو » (Morley - Minto Reforms) ولقـــد صدق البرلمان البريطانى هذا المنهاج سنة ١٩٠٩ وهكذا أصبحت الهند فى دور جديد وهو الذى أسميناه بدور الاستبداد المعتدل •

بموجب هذا المنهاج صار الهنود يشتركون ـ ولو اسما ـ فى الادارة وذلك بواسطة المجالس النيابية لكل منطقة واعضاء هذه المجالس كانت تنقسم الى قسمين منتخبة ومنصبّة • وهذه المجالس كان لها حق السؤال والاقتراح من غير ان تصوت وتقرر •

فى الحقيقـة ان الحكم بقى بـين أيدى الحكام ومجالســهم الخاصة واعضاؤها كلهم كانوا يوظفون من قبل الحاكم نفسه ولكن الاشتراك ولو فى الاسم أراح نوعا ما الهنود وطمن قلوبهم الى درجة والانكليز استفادوا كثيرا من ذلك لاسيما خلال سنين الحرب • ودام هذا الحكم حتى سنة ١٩١٩ •

خلال الحرب العامة « كان الحلفاء والانكليز فى موقف حرج فاقتضت السياسة البريطانية ان تعد الهنود بمواعيد خلابة حتى تقنعهم وتجلب قلوبهم• فقام وزير الهند وصرح فى وسط البرلمان البريطانى بوعده المشهور ـ وعـــد مونتاكيو ـ فى ٢٠ آب ١٩١٧ •

بموجب هذا التصريح تعهدت بريطانية ان تمنح الهند استقلالا داخليا تاما على أساس الدمنيون مع بعض القيود والشروط • وبعد الحرب انتظـــر الهنود مدة ولما رأوا التماطل ثاروا مجددا •

واتحد غاندى مع زعماء حركة الخلافة وتوسعت حـركات المقاطعـة

واسفكت الدماء في « امرستار » ومحلات أخرى فاضطرت انكلترة ان تفي بوعدها بصورة من الصور وسافر المستر مونتاكيو الى الهند وهنالك رتب - مع حاكم الهند العام اللورد جلمسفورد - منهاجا جديدا يعرفه العالم تحت اسم منهاج مونتاكيو جلمسفورد ، وصدق هذا المنهاج سنة ١٩١٩ وجرى رسميا افتتاح « المجلس النيابي العام » في دلهي لاول مرة في تاريخ الهند . وضربوا المدافع وأصبحت حكومة الهند دمقراطية ... ولكن دمقراطية في الظواهر فقط .

ولندرس ماكينة الحكم الهندية الحاضرة لكي نرى ثمن هذه الدمقراطية التي كلفت الهنود ضحايا لا يحصى عددها . تنقسم اليوم الهند البريطانية الى تسع مناطق . في كل منطقة يوجد حاكم انكليزي منصَّب من قبل الحكومة الانكليزية بموافقة الحاكم العام . ولكل حاكم مجلس تنفيذي وفي كل منطقة مجلس تشريعي متشكل من أعضاء منتخبين من قبل الاهالي ومن أعضاء معينين من قبل الحاكم . فالحاكم والمجلس التنفيذي هما كالوزارة بينما المجلس التشريعي يكون كمجلس النواب عندنا . الحاكم ينتخب أعضاء المجلس التنفيذي ، قسما من المجلس التشريعي وقسما من الخارج وعليه يكون « الوزراء » قسما هنود وقسما انكليز .

وفي كل حكومة من الحكومات التسع ما عدا الحكومة الشمالية الغربية - نوعان من الوزارات : « الوزارات المحفوظة » و « الوزارات المتحولة » (Reserved and Transferred) فالوزارات المحفوظة هي وزارة المالية والعدلية والبوليس والمعادن والغابات الخ ... وهذه كلها بين أيدي « الوزراء » المنتخبين من الخارج . وعليه يمكن أن يكونوا كلهم انكليز والوزارات المتحولة هي وزارة الصحة والمعارف والاشغال العامة الخ ... وهذه كلها بين أيدي « الوزراء » المنتخبين من المجلس التشريعي وعليه يمكن أن يكونوا كلهم هنودا ومختلطين .

« الوزراء المتحولون » مسئولون أمام الحاكم - أي هنا نقدر أن نقول

رئيس الوزراء ـ وأيضا أمام المجلس التشريعي ويجب عليهم أن يرضوا الطرفين اذ ان كلاً من الطرفين له حق أن يعزلهم ! « الوزراء المحفوظون » مسئولون فقط أمام الحاكم وليس للمجلس التشريعي أى نفوذ عليهم لان الحاكم هو مسؤول بواسطة الحاكم العام أمام البرلمان البريطاني فقط ، فهذا ما يسمونه الـ (Dyarchy) أى الحكم المزدوج الهندى ثم ان الحاكم فى كل منطقة يتمتع بسلطات فوق القانون (Emergency Powers) وهذا يجعل وجود المجلس التشريعي وعدم وجوده سيّان اذ يستطيع الحاكم أن يصرف أى مبلغ وينفذ أى حكم وأية ارادة من غير استشارة المجلس . وحتى برغم ارادته اذا أصدر قرار منتظما فى ذلك الباب . فوق هذه الحكومات المحلية تأتى الحكومة المركزية تحت رئاسة الحاكم العام أى نائب الملك فهذه بيدها ارادة الهند الداخلية والخارجية وتتشكل الحكومة المركزية من مجلس تنفيذى وهو بمثابة وزارة رئيسها نائب الملك ومن مجلسين تشريعيين هما بمثابة مجلس النواب ومجلس الاعيان ولا يوجد (وزراء متحولون) فى الحكومة المركزية . وعليه ان المجلس التنفيذى العالى هو المسئول أمام البرلمان البريطاني فقط . والمجلس الحالى يحتوى على ثلاثة أعضاء هنود فقط !

وفى المجلس النيابى Legislative Assembly وفى مجلس الاعيان (Council of State) الاكثرية هندية . غير ان الحاكم العام له سلطات واسعة فوق القانون . فالسلطة الحقيقية هى اذن بين أيدى المجلس التنفيذى بينما البرلمان الهندى له حق المراقبة والاقتراح فقط .

هذه هى الدمقراطية الهندية فى أيامنا . ويجب أن لا ننسى ان هذه الدمقراطيةَ القرقوشية لم تحصلها الهند الا بعد عدة ثورات وبعد سفك سيول من الدماء وبعد تضحية مئات الالوف من أبنائها خلال الحرب دفاعا عن الامبراطورية البريطانية وبعد اهداء نحو ثلثمائة مليون پاون كمساعدة حربية وبعد انتظار طويل مدة عشرات من السنين قُضيت كلها بالمفاوضات وارسال

القومسيونات وبعد ... وبعد ... وبعد ... فلندخل الآن فى الموضـــوع الاصلى - أى قضية تقرير لجنة (سايمن) .

ان منهاج مونتاكيو جلمسفورد فيه مادة تقضى بارســـال وفد نيابى الى الهند بعد مرور عشرة أعوام من تطبيق المنهاج وذلك لدرس ماكينة الحكـــم الدمقراطية الجديدة وبعده رفع تقرير ضافٍ مع الوصايا المقتضية حتى تتمكن الحكومة من أن تقرر خطتها الجديدة نحو الهند . بناءً عـلى هذه المادة انتخبت حكومة المستر بالدوين سنة ١٩٢٧ لجنة برلمانية مؤلفة من ستة أعضاء منتسبين الى الاحزاب الثلاثة تحت رياسة السر « جون سايمن » .

فى كانون الثانى سنة ١٩٢٨ سافرت لجنة ســـايمن الى الهند لتقـــوم بأعمالها . ولقد هاج الهنود يومئذٍ على هذا العمل الذى عدّوه حقارة لبلادهم اذ ان اللجنة كانت انكليزية بحتة ليس فيها عضو واحد من الهند . ولـــذا احتجوا احتجاجا شديدا على تصرف الانكليز هذا وأعلنوا مقاطعة اللجنـــة وطلبوا منها أن ترجـــع القهقرى وضربوها بالحجارة عند وصولها الهند . وصرخوا بوجهها ساخطين ناقمين . ورموا قنبلة (بومبه) على القطار الذى ركبت فيه اللجنة . ورموا قنبلة فى وسط المجلس التشريعى فى دلهى أمام السر جون سايمن . وبالرغم من كل ذلك يدعى الانكليز ان المقاطعة كانت موقعية وغير ذات أهمية . والهنود بخلاف ذلك يقولون ان المقاطعـــة كانت عامة . ولم تتوفق اللجنة للاطلاع على أحوال الهند الحقيقية ولم تتواجه الا مع أناس أتت بهم الحكومة الهندية لذلك الغرض ولا شك فى ان المقاطعة الشديدة عرقلت مساعى لجنة سايمن فكان درسها ناقصا وصار عملها مبتورا وعليـــه تقريرها هو غير سالم ... نعم اننا نعتقد باخلاص لجنة سايمن وصدقها ولانظن كما يدعي الهنود ان كل شيء فى التقرير هو كذب ومبالغة . ولكن عندنـــا نقطتين يجب أن لا ننساهما :

١ - المقاطعة الشديدة .

٢ ــ كون اللجنة انكليزية بحتة .

فهل يمكننا أن ننكر تأثير المقاطعة ؟ ـ لا ! هل يمكننا أن نفـرض ان الروح الاستعمارية لم تؤثر على اللجنة ؟ لا ! وأكبر دليل هو الجزء الاول من التقرير الذى نشرته اللجنة قبل بضعة أيام ... فهنا تصف لنا حالة الهند الاجتماعية والسياسية وتعـدد لنا أمراضها وترينا فقرها وسفالتها وتأخـرها وجهلها وتعصبها وكل عيوبها . ويستدل الانسان من هذا الكتاب الذى يحتوى على أكثر من ٤٠٠ صحيفة . ان اللجنة درست حالة الهند من وجه واحـد يلائم المصلحة البريطانية. وبيّنت العيوب والنواقص فقط . فى ٢٤ من الشهر الحالى سينشر الجزء الثانى من التقرير وهذا سيحتوى على الوصايا التى يجب اتباعها لتحسين حالة الهند . ولا شك فى ان هذه الوصايا سوف لا تأتلف مع غايات الهنود وان التعديل على موجب اقتراح سايمن سوف لا يعدل الاعوجاج السياسى والحكم الغريب فى البلاد الهندية .

وبعد كل هذه المهازل المؤلمة . هل يعجب الانسان من أن يرى هنالك الثورات متوالية والدماء سائلة والسجون غاصة والرجال والنساء ناقمين ؟

ثلاثة أعصر مرت على الهند وهى تحت الحماية وهى فى مدرسة الاستعمار تتعلم وتدفع ثمن التعليم غاليا والآن يقال لها انها لم تزل جاهلة وبعيدة جـدا جدا من أن تحكم نفسها ! ثلاثة أعصر مملوءة بالاستعباد والاستعمار ! هذا هو تاريخ الهند الحديث . أما المستعمرون فهم يرسلون اللجنات الواحدة تلو الاخرى لدرس الحالة ولا يقصدون بذلك الا كم الافواه المعاتبة الحـرة فى بلادهم وفى العالم كله وما تقرير سايمن الا صفحة جديدة فى كتـاب مهازل الاستعمار ، فهل يعجب الانسان اذا رفضه الهنود ورموا به عـرض الحائط ؟

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٦ حزيران ١٩٣٠ .

العراق وعصبة الامم*

[كان المؤيدون لمعاهدة ١٩٣٠ يعللون النفس باحلام الدخول الى عصبة الامم ويدعون الناس الى قبول المواد الظالمة الصارمة فى سبيل الانتماء الى العصبة كأننا بمجرد ذلك الانتماء سنصبح احرارا ويستقل العراق استقلالا ناجزا لا شائبة فيه .. اما جهلا منهم بوضع عصبة الامم الحقيقى او خدمة لتسهيل الامر على الحليفة واعوانها] .

عصبة الامم تشابه فتاة جميلة فتانة لها أفكار سامية وغايات مقدسة ولكنها مع الاسف مريضة ومشلولة بدرجة انها لا تستطيع أن تقف على ساقيها من غير أن تتكىء على ساعد فرنسا من جهة وذراع انكلترة من جهة أخرى . هذا الضعف وهذا الشلل جعلاها تحت نفوذ هذين البطلين القويين .. فبالرغم من كل الظواهر يمكننا اذن أن نقول ان عصبة الامم هى آلة مفيدة يستعملها الانكليز والافرنسيون مناوبة وباتفاق الطرفين ... نعم يوجد ٥٥ حكومة فى العصبة ولكن لا يوجد أكثر من سياستين : سياسة انكلترة ومستعمراتها وأصحابها (اليابان هولاندا والحكومات الاسكندنافية الخ ...) وسياسة فرنسا وأعوانها وحلفائها (يوغوسلافيا رومانيا جكوسلوفاكيا بولونيا بلجيكا اسبانيا وبعض الحكومات من أمريكا الجنوبية) ما عدا هذا يوجد جماعة صغيرة لا تدخل فى هذا التصنيف مثلا ايطاليا ، ألمانيا ، النمسا ، المجر وبلغاريا . فهؤلاء لا يمكنهم ان يؤثروا على كفة الميزان . هذا الوضع صيّر عصبة الامم مشلولة فى ساحة السياسة العليا فانحصرت أعمالها فى دائرة محدودة كالمنازعات الحدودية والمصالح الحقوقية ومكافحة الامراض السارية واستعمال المخدرات والسعي على توحيد الدراسة العالمية وغيرها من الامور الاجتماعية المفيدة ، فلا عجب اذن اذا رأينا العصبة فصيحة وجريئة فى بعض

الاحيان وصامتة خرساء فى أحيان أخرى ... جريئة ونطوق مثلاً فى قضايا الاقليات الاوربية وجبانة سكوتة فى قضية مصر والبلاد العربية والهند ... يحترق قلبها مثلاً من أعمال البولشفيك فى بلادهم ولكنها لا تبالى بكل ما يعمله المستعمرون فى بلاد غيرهم . تقيم القيامة اذا ما مصالح بعض الاجانب فى الصين تضررت ولا تفتح شفتيها ولا تنطق بكلمة واحدة عند حروب الريف وقصف الشام وحروب طرابلس الغرب الخ ... هذه وأمور عديدة أخرى ترينا بكل وضوح ان عصبة الامم هى مفيدة ولكنها مربوطة لا يمكنها أن تبدي رأيها قبل استشارة أسيادها . هذا هو وضعها العملى أما وضعها النظرى فحدث عن البحر ولا حرج . لندخل فى الموضوع ولندرس قضية العراق وعصبة الامم بصورة عملية وصريحة . هل يستفيد العراق من دخوله فى عصبة الامم ؟

الجواب : نعم !

هل مجرد دخولنا فى العصبة ـ يعنى بصورة عملية ـ استقلال العراق التام ؟

الجواب : لا !

ان أكبر استفادة ينالها العراق من دخوله عصبة الامم هى زوال الانتداب بصورة رسمية لاننا اليوم ـ اذا قبلنا أم لم نقبل ـ فى نظر العالم تحت انتداب عصبة الامم وتحت وصاية انكلترة وهذا الوضع يجعلنا دائما فى درجة سياسية أوطأ من درجات الشعوب الحرة وان كانت السوية الاجتماعية عند بعض تلك الشعوب هى أوطأ من سويتنا فاذا زالت الوصاية وتساوينا مع الاقوام المستقلة سيكون لنا موقع عالمى وصوت ـ وان كان ضعيفا ـ فى جوق السياسة العالمية . ما عدا ذلك يمكننا أن نستفيد من بعض مواد ميثاق العصبة لا سيما فيما يخص المعاهدات التى وقعنا عليها كرها والامتيازات التى منحناها جبرا وكل العقود التى عقدت على أساس غير عادل

من ذلك نرى ان استفادتنا هي بالطبع محدودة ولكن لا بأس فيها ويجب أن نقبلها بسرور وندفع ثمنها الحقيقي بطيبة خاطر . ولكن يجب علينا أن لا نضحي في سبيلها كل غال ورخيص ويجب علينا أن لا ننسى بأن التمتع بهذه الاستفادة لا يعني التمتع بالاستقلال التام . ان الكراسي في عصبة الامم أنواع وأشكال منها ما يخص الحكومات المستقلة بكل معنى الكلمة ومنها ما يرجع الى الدومنيون والمستعمرات ومنها ما يعود الى الحكومات المستقلة المرتبطة بمعاهدات طويلة عريضة مع جهة من الجهات ولا شك في أن كرسي العراق سيكون من النوع الاخير اذن لا حاجة لقتل أنفسنا بغية الحصول عليه ولا لدفع ثمن باهظ عن الكرسي في الموقع الثالث . صديقتنا بريطانيا العظمى مشغولة اليوم بفتل الرباط الذي سيقوم مقام قيود الانتداب وهي سوف لا تكسر تلك القيود من قبل أن تتأكد من متانة « حبل الصداقة » الذي سترتبطنا به وسوف لا تتركنا نسرح ونمرح في مرعى جمعية الاقوام من غير قيود وشروط من هنا يأتي اهتمام الانكليز بالمعاهدة الحاضرة التي يريدون ان نوقع عليها قبل دخولنا في عصبة الامم فالامر واضح مفهوم ونحن نقدر الانكليز لاهتمامهم بمصالح الامبراطورية البريطانية . غير اننا نحن أيضا يجب علينا أن نهتم بمصالح بلادنا ونفتح أعيننا أمام هذه المناورات وأن لا نرمي أنفسنا في أحضان الامواج من قبل ان نلبس الطوافات المقتضية . اننا نقبل الكرسي في العصبة وان كان في الموقع الثالث واننا نوقع الآن على معاهدة سنة ١٩٣٢ وان كنا الآن في سنة ١٩٣٠ واننا نتحمل « رباط الصداقة » وان كانت هذه الصداقة تكلفنا كثيرا . نعم اننا مستعدون لقبول كل ذلك ولكن على شرط أن تبنى المعاهدة الجديدة على أساسات قويمة تأخذ فيها النقاط الآتية بنظر الاعتبار :

١ ـ تأمين الاستقلال السياسي التام .

٢ ـ عدم التعهد بما يخل الاستقلال الاقتصادي .

٣ ـ عدم الموافقة على تمديد خط حديدي يفصل العراق عن الجزيرة

العربية والاكتفاء بخط يربط شمال العراق بشمال سورية .

٤ ـ التحاشي من درج كل شيء يخل بالوحدة العراقية واعتبار العراق بحدوده الحاضرة كوحدة لا تتجزأ .

٥ ـ الغاء المعسكر الجوى البريطاني في العراق .

٦ ـ الموافقة على تجهيز قاعدة بحرية عراقية في الفاو .

٧ ـ تحديد حكم المعاهدة لخمس سنوات فقط .

اذا وافق الانكليز على هذه الاساسات فنحن راضون وقانعون واذا كان القصد تبديل الاسم فقط مع ابقاء الوضع الشاذ واستعمار البلاد فلا حاجة لنا بالكرسي الاممي ولا خير لنا في التحالف البريطاني اذ بقاؤنا كما نحن الآن غير راضين وغير معترفين أهون شرا لنا ...

---

* نشرتها جريدة العالم العربي بتاريخ ٥ حزيران ١٩٣٠ .

ان كانت السابقة زعرور فالميت محروق صفحة*

[قلنا أن الهند كانت مسرحا واسعا ومدرسة مهمة للاستعمار وما يتعلق به من مناورات • ومن متممات المدرسة هذه ارسال اللجان كلما اقتضى الامر للتمويه والماطلة وكانت « لجنة سايمن » التى اشتغلت مدة تقارب ثلاث سنوات فى دراسة وضع الهند ابرز مثال لتلك الاساليب الجهنمية] •

هذا مثل بغدادى مشهور بين « المجادي والحبربشية » فقط ! ولاجله يجب ايضاح القصة حتى يفهمه « الافندية » •

يقال ان أحد البخلاء أوصى قبل أن يموت أن تكون « السابقة » ـ أى الخيرات التى توزع على الفقراء والمساكين عند الدفن ـ طبقا من الزعرور وبما ان « الحبربشية » متعودون فى هذه الاحوال على حلاوة التمر و « الجورك » اشمئزوا وانزعجوا من هذه البدعة ولما أكلوا الزعرور « على ريقهم » لزمهم « صانجي » وصاروا ينزلون اللعنات على روح البخيل أشكالا وأنواعا • وصاروا يدخلونه فى جهنم « ويطمسونه » فى الزمهرير ويسبون آباءه وأجداده وأقاربه وأقارب أقاربه وذريته أجمعين • وهكذا أصبح المثل المذكور مشهورا عندهم منذ ذاك اليوم •••

فالجزء الاول من تقرير سايمن بالنسبة الى الهند من نوع الزعرور ـ بل ان الهنود يدعون انه من نوع البعرور أجلكم الله ! وعليه ان الجزء الثانى وما بعده سيكون كل منهما محروق صفحة تماما ! اننا لا نقصد هنا الدفاع عن الهند ولا نريد أن نلوم اللجنة المحترمة التى قضت سنتين ونصف السنة وصرفت ألوفا من الپاونات بشأن هذا التقرير • بل اننا نريد أن نتعلم درسا من هذه القصة العويصة حتى نستفيد ونعرف شغلنا فى المستقبل • أقول فى المستقبل لان الدنيا دنيا ، ومسألة اللجان والتقارير هى على قول أهل بغداد

« دجاجة ميتة » يستعملها أصحابنا الانكليز على رأس أصحابهم عند الحاجة • فكلما فشلت المفاوضات «وحمى الداس» ، تستعجل الحكومةالبريطانية وترسل لجنة فيها لوردات وأسرار (جمع سر) « وبالك بالك » حتى تبرد الدماء الساخنة وتسد الافواه الصاخبة فى الداخل والخارج !

الهند رأت أشكالا وألوانا من هذه اللجان ومصر « تمتعت » هى أيضا بهذه السعادة وفلسطين أيضا نالت نصيبها من « الدجاج الميت » اذن ليس من البعيد أن تأتى يوما نوبتنا مرة أخرى ••• وعليه يجب أن ندرس ونتحضر من الآن ونستفيد من تجارب الغير « ومصائب قوم عند قوم فوائد » •

فالذى يقرأ أول جزء من تقرير سايمن يلزمه « صانجي » من صدق ! اسمعوا : « الهنود وحوش جهال متأخرون مرضى (مجردمون) ضعفاء متفرقون سرسرية طراطير ظُلاّم مستبدون » والحاصل الله يحفظنا ويحفظ السامعين ان فى الهنود كل عيوب الشرع وغير الشرع ! المستعمرون يقولون ان كل شيء مذكور فى التقرير هو صدق • أما الهنود فهم يدعون ان كله افتراء وكذب •

اذن الشغلة اما صدق واما كذب • فان كانت كذبا فأصحاب الانصاف يقولون الله يصخم وجوه الكاذبين أما اذا كانت صدقا فنقول : يا معودين يا أبناء بريطانيا أنتم صار لكم ثلثمائة سنة فى الهند • وقصدكم كان ولم يزل حسبما تدعون « الارشاد » و « التعليم » و « ترقية » الهنود • فلماذا اذن كل هذا التأخر ؟ قولوا لنا بالله عليكم ماذا صنعتم خلال كل هذه السنين الطوال ؟ هل قضيتم أوقاتكم « بصلخ النمل » أم « بصيد الذباب » ؟ أين هى مقدرتكم وعلومكم وفنونكم ؟ أهذه هى الوصاية والحماية والرعاية ؟

لا ! اذن الشغلة فيها علة ! اذن الحق مع الهنود اذا ثاروا وطلبوا منكم أن تلزموا الباب ! اذن المسألة ــ اذا كان التقرير صادقا ــ ليست مسألة ارشاد وتعلم انما هى سلخ جلود !

فلنتعلم نحن العراقيين من مصيبة الهند ولنفتح أعيننا لرؤية الحقائق والوقائع ولنسد آذاننا عن سماع الاباطيل الملهية . ثلثمائة سنة والهند تدرس وتدفع أثمان باهظة من الارواح والاموال لاجل أن تتعلم والنتيجة ؟ النتيجة حسب تقرير « سايمن » أنها سقطت فى الامتحان وانها يجب أن تتعلم من جديد لمدة عدة سنوات أخرى ربما ٥٠ سنة أو ١٠٠ سنة أو ١٠٠٠ سنة أو الى الابد !

هذه هى مدرسة الارشاد الاستعمارية يتعلم الانسان فيها « من المهد الى اللحد » وبعده يموت جاهلا فالعلة يا ناس هى فى الاستاذ أكثر مما هى فى التلميذ وتقرير لجنة سايمن شاهد على ما نقول !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٤٠ .

شهوة العجوز حب رمان*
أو
الفاشستية العراقية

[من غرائب ايام الانتداب أن ظهرت جماعة تدعى الفاشستية وتدعو لها في حين كان العراق يرضخ تحت اثقال الاستعمار وتصرفات الحكومات الخاضعة له . فالفاشيون العراقيون كانوا أشبه بالمرضى والمهسترين المبتلين بالخيال والاوهام] .

قبل كل شيء أقول : اذا كانت غاية الحزب الجديد أي الفاشستية العراقية هي الحصول على الاستقلال التام والوحدة العربية ، فان كل من يعاكسها هو خائن ابن خائن ابن ستة عشر ألف خائن . ولكن اذا كان القصد الوحيد من هذه « البستة » الجديدة هو تشكيل حزب جديد يحمل اسما ضخما فيزيد التفرقة والتبلبل فينا ، ويضيف نغمة غريبة وعجيبة في طنبورنا فهذه رعونة و « بصقاعة » و خطيئة لا تغتفر ! وبعد هذه الكلمة الصريحة الواضحة أقول انني قرأت بكل دقة وامعان كل ما كتبه أنصار « الحركة » الجديدة في هذه الايام الاخيرة ولكني مع الاسف لم أتمكن من معرفة قصدهم بصورة واضحة . والسبب الوحيد هو الدعاية الغريبة الغامضة التي صار يبثها اولئك الانصار ! فهذه الفاشستية العراقية فيها كل شيء ... فيها ألف شيء ما عدا الفاشستية الحقيقية ـ أي الفاشستية الايطالية ـ اني درست الفاشيزم درسا عميقا وعشت في ايطاليا مدة طويلة وتعرفت على فاشستيين أقحاح وأيضا على أعداء الفاشيزم . ولكني حتى الآن لم أرَ ولم أسمع بوجود فاشستية كالتي يسعى الى تأسيسها اخواننا في العراق ! يقولون مثلاً انهم لا يكتفون بالعراق فقط بل يريدون تشكيل امبراطورية عربية واسعة تحت لواء الفاشستية

العربية • ثم ينصحونا أن نتسلح بالمعاهدات ! ويلومون الحزب الوطني لأنه في نظرهم متطرف وله « سياسة هوجاء » فهذه تطلع « من بابه بهريز ! من بابه ياكل طرشي ! » ثم يلزمهم الحال ويضربون من العالي : ثلاثة ملايين نفس وثلاثمائة ألف كيلو متر مربع •••• هذه ترهات ! فهم يريدون بالميت ثمانين مليونا من النفوس ، والجزيرة العربية كلها مع مصر والسودان وشمال افريقية الى المغرب الاقصى • والبلاد الشمالية كلها الى أعالي جبال طورس مع ـ ربما أيضا ـ حق المفاوضة حول ايران وأفغانستان والهند واسبانيا وجنوب فرنسا !!!

وحق شاربك أيها القاريء ورأس السنيور موسوليني ما كنت أدرى من قبل ان عندنا أبطالا من هذا الطراز ! ••• صدق كذب ؟ ولكن الاعمال بالنيات • وبما ان نيتهم « خوش نية » فنحن لا نلومهم على هذا النفخ ! ولكن « على بختك » لا أدرى كيف نسوا الانكليز والانتداب ولم يذكروا كلمة واحدة حول هذا الموضوع ؟ هل قصدهم أن يتركوا الانكليز أسيادا في العراق ويذهبون لفتح العالم ؟ أم هل كل هذه الحركات العظيمة ستكون بمساعدة وارشاد بريطانيا ؟ كنا نود أن يشرحوا لنا ذلك بوضوح • ثم يقولون انه يجب علينا أن نلتف حول زعيم واحد وراية واحدة فاشستية ! طيب نحن حاضرون ! ثم يقولون ان الملك ابن السعود هو فاشستي ! اذن ؟ هل يريدون أن نلتف كلنا حول العلم الوهابي ؟ •• ثم يقولون ان الفاشستية العراقية هي بعث الروح التي كانت تقدس محمدا في فجر الاسلام لتقدس اليوم حفيده مليك البلاد ••• اذن هنا يجب على الوهابيين أن يلتفوا ويعتصموا براية العراق ؟ •••

سألتك بالله أيها القاريء العزيز هل فهمت ما يقصدون ؟ اذا فهمت « برافو عليك » وانت أيضا اذن « فاشستي جديد » من نوعهم ! اسمع الشغلة بعد ما خلصت !

يقولون : الفاشستية هى البعث بعد الموت ! نقول : موافقون ! ولكن نحن بعد ما عشنا ! يا معودين ، نحن بعد لم نولد ! نحن « بعدنا » فى رحم الانتداب . فما معنى البعث بعد الولادة ؟

يقولون : ان العربى خُلق فاشستيا ... سبحان الله من أين أتوا بذلك ؟ فالعربى كان ... ولم يزل ، وسيكون دائما دمقراطيا . يا جماعة ! اقرأوا الادب العربى ثم احكموا . فالذى قال مثلاً :

اذا الملك الجبار صعّر خده　　مشينا اليه بالسيوف نعاتبه !

هو عربى ابن عربى .. وهل نحتاج الى دليل أكثر صراحة من هذا البيت الذى يمثل الروح العربية أحسن تمثيل ؟ .. فالذى يقول ان العربى خُلق فاشستيا اما انه يجهل العرب واما انه لا يعرف معنى الفاشيزم .

ثم يزعمون ان مصطفى كمال ، ورضا خان ، وغاندى ، وابن السعود ، هم فاشستيون . ومن هنا يظهر انهم يظنون ان الوطنى المخلص يجب أن يكون على كل حال فاشيا ... ولا شك انهم يجهلون ان القميص الاسود فى بعض الاحيان لا يمنع من أن يكون وجه صاحبه أكثر سوادا منه ! ، وليعلموا ان الفاشست وغيرهم فى هذه القضية سواء . فهنا وهناك يوجد مخلصون وخائنون .

ان اولئك الرجال قاموا بأعمالهم العظيمة من غير ان يتوسلوا بالفاشيزم ومن غير أن يرتدوا القمصان السود . بل انما هم ثاروا فى وجه المستعمرين وجاهدوا بكل جرأة وصراحة . فكيف يمكننا نحن أن نقوم بنفس الاعمال اذا تسلح رسل الفاشستية العراقية بالمعاهدات الانتدابية فقط ؟

اذا كان القصد تشكيل دكتاتورية مثل دكتاتورية محمد محمود أم داماد فريد باشا فهذا بحث آخر . ولكن هذه الفكرة السقيمة لا يمكن تطبيقها الآن مع وجود العمال فى لندن ولاجله لا حاجة لكل هذه « الدوخة » وهذا التزمير فى الحال الحاضر ... لوجود كل هذه المناقضات فى الدعاية الفاشستية

العراقية يصعب علينا ان نفهم القصد الحقيقي من تشكيل الحزب الجديد • اننا نود ان نعلم رأي الجماعة حول العلاقة العراقية ـ البريطانية قبل أن تذهب « لفتح البلاد » شرقا وغربا • نريد ان نعلم أي بطل سيقلدون ؟ مصطفى كمال الذي ثار على حكومة الداماد الخاضع لحكم الانكليز ، أم محمد محمود الذي أسس دكتاتورية تحت حماية المعتمد السامي فأصبح مسخرة في العالم كله ؟!

ونريد أن نعلم هل انهم يطلبون من العرب الاحرار الذين لم يخضعوا للانتداب أن يلتحقوا بنا ، نحن المنتدب علينا ، أم بعكس ذلك ؟

نريد أن نعلم هل يمكنهم ان يثوروا ثورة فاشستية حقيقية ؟ أم ان الشغلة في أولها الى آخرها عبارة عن شهوة حب رمان ! نريد ان نعلم كل ذلك حتى نقرر : اما ان نمد لهم يد المعونة واما أن نتركهم في ضلالهم يعمهون !

يا دعاة الفاشيزم ! ان الفاشيزم قائم على الصراحة والجسارة فتجاسروا وصرحوا وكلنا لذلك منتظرون •

---

* نشرتها جريدة العالم العربي بتاريخ ٣ تموز ١٩٣٠ •

النفط وما أدراك ما النفط*

[كان النفط وما يتعلق به كالسكة الحديدية بين حيفا وبغداد على طول الانابيب من أهم عوامل الاحتكاك بيننا وبين الانكليز ومن الغرائب أن انفاشستين العراقيين كانوا يحبذون مد تلك السكة الحديدية مؤيدين وجه نظر الانكليز وهم المبالغون فى القومية والوطنية ولكنهم لم يخدعوا الا انفسهم] .

اذا ما فتحنا أفواهنا بكلمة واحدة حول السكة والانابيب النفطية المنوي تمديدها من جنوب العراق الى فلسطين وتخوفنا من ذلك « التمديد » الذى سيفصلنا عن الجزيرة العربية فيكون مانعا أمام الوحدة العربية وضربة قاضية على مستقبل العرب .... قالوا لنا : انكم « عرب جرب » لا تفهمون ولا تقدرون الفائدة الاقتصادية العظيمة التى ستصيبكم من « التمديد الجنوبى » فتصبح أيديكم « طامسة فى الدهن الى عكوسكم » فاسكتوا ولا تتداخلوا فى هذه المسألة فالسكوت خير لكم وأفضل .

واذا أثبتنا لهم بالادلة والبراهين الواضحة ان منافعنا السياسية والاقتصادية تقضى بتمديد الخط فى الشمال بدل الجنوب واننا على كل حال لا نؤمن بالعهود والمواعيد ... أجابوا ناقمين : انكم متأخرون ورجعيون « وما يطلع منكم درب لانكم تفضلون البعير على القطار والجربان على الانابيب والشختور على الموتوربوط[1] والحمار على الاوتوموبيل والقفه على الطيارة والجماغ على المتراليوز واليمنى أجلكم الله على القنبلة الخ الخ ... » واذا سهل الله علينا ونوعا ما تجاسرنا وقلنا لهم بالقلم العريض ان هذه كلها دواليب وبعد أن تحق المحقوقة ويتم الامر تكون السكة لكم وشرها علينا والنفط يكون

---

(١) الموتوربوط (Motorboat) اى الزورق البخارى .

لكم ومصائبه علينا ... والنعمة تسكن عندكم والنقمة تلزق بنا والحكم يصبح كله فى أيديكم والله ويالك يا استقلال وبعده من يسمع ومن يجيب ؟

ردوا علينا ساخرين : ان قلوبكم سود لا ترى الا الخدعة والمصيدة فى جميع الاعمال فاذا ظننتم ان الانسان لا يعمل خيرا لوجه الله فنحن سنريكم خلاف ذلك وسنعلمكم كما علمنا غيركم من قبلكم ! .

ثم نحن نقول « لا » وهم يقولون « يس » ونحن نقول « نعم » وهم يقولون « نو » وفى الاخير تنتهى القضية حسب ارادتهم ويتم الامر بموجب رغبتهم لانهم متمدنون ونحن وحوش « وكنا عندكم وجينا » ..

أما كون النفط هو نفطنا والبلاد بلادنا والمستقبل مستقبلنا « والبيت بيت أبونا » فهذا كله كلام فارغ ولغوة يابسة أى نعم لغوة يابسة . فاليوم حياتنا هى مربوطة بالسكة النفطية وهذه مربوطة بالنفط وهذا فى يد الشركة والشركة انكليزية والانكليز مستعمرون والاستعمار فى الصندوق والصندوق يريد مفتاح والمفتاح عند الحداد والحداد يريد فلوس ... آخ ! من درد الفلوس والفلوس فى جيب العروس والعروس فى الحمام والحمام يريد قنديل والقنديل واقع فى البير والبير يريد حبل والحبل على الجرار وتعال « طلّع هالزمال من هالوحلة !!! » .

بعضا أقول فى نفسى : يا رب السموات والارض وخالق الانكليز والعرب لماذا ابتلينا بهذه البلوة النفطية ؟ لماذا خلقت النفط ؟ أو لماذا خلقت الانكليز ؟ أحتى نشقى وجلودنا تروح الى الدباغ أم لماذا ؟ اذ لولا النفط لربما كان الجماعة كفوا أيديهم عنا ولربما كانوا يشهدون ويقسمون بأننا متمدينون « وخوش ناس » ولا نحتاج لا الى انتداب ولا الى معاهدات ولا ودعة ولا دهاشة ولا خرخاشة ... ثم لولا الانكليز واخوانهم فى الاستعمار لربما كنا ذقنا « لذة النفط » وبربعنا وصرنا أوادم بفضل تلك الآبار الثمينة ... ولكن

... انكليز ونفط في وقت واحد ومكان واحد ! « هذه بلشه سوداء ! هـذا صخام ولطام » .

غير ان سبحانه وتعالى له ارادة فخلقنا أولا على طريق الامبراطوريـــة وفوق الحمل علاوة . أنعم علينا بآبار نفطية يخر لها لعاب الافواه وفـوق ذلك منحنا أراضي زراعية ومياه عذبة تفتح المشتهى ... ثم كتب علينا أن نتحالف ونتصاحب مع الانكليز وتعال يا عمي شيِّلني ! والآن اخواننا الانكليز يريدون أن يربطوا الشمال بالجنوب والشرق بالغرب حتى تكمل السبحة وننفصـل عن الجزيرة العربية ويكون لدينا سكة حديدية ـ نفطيـــة ـ استعمارية ـ امبراطورية ـ عراقية ... و « دق يا بو طبل » ويقال لنا أننا بفضل هـــذه السـكةالجنوبية سـنتمدين ونغتني ونسمن ونثخن ونطمس في الدهـن الى عكوسنا وننال الاستقلال التـــام ... والذي يغيظني ويؤلمني هو ان بعض الوطنين الفاشستيين يؤمنون أيضا بكل ذلك ويقومون ويقعدون ويطالبـون أكثر من الانكليز أنفسهم بأن تمتد السكة النفطية في الجنوب واذا سألتهـم لماذا تفضلون الجنوب على الشمال أتوا بمائة حجة فارغة لا تستند على شيء الا اللهم على رغبة الانكليز . ناسين ان السكة الجنوبية ستكون أكبر مانع للوحدة العربية وأقصر الطرق لتثبيت حكم الغرباء في البلاد !

وفي نظري ان الذي يفضل السكة الجنوبية على الشمالية هـــو كالذي يحفظ رجليه ويترك رأسه للخطر ولله في خلقه شؤون !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٣٠ .

السكة النفطية ومستقبل العرب*

[بالنظر لخطورة قضية السكة النفطية كتبت عدة مقالات حولها فى جريدة العالم العربى وهذا مقال آخر نشرته فى جريدة التقدم باسمى الصريح وهذا ما اغضب اصحاب المشروع وفى طليعتهم الملك فيصل الذى اقتنع فى نهاية الامر بان الحق كان معنا نحن المعارضين فكان نصيبه الاهمال] .

يمكن ان تكون السكة النفطية عاملا قويا لسعادتنا ورقينا فى المستقبل ولكن يمكن ايضا ان تكون سببا لشقائنا فتذهب بنا الى الدرك الاسفل من جحيم الاستعمار . هى فى نفس الزمن منبع خير وغنى ومصدر شر وعناء . فاذا عرفنا ان نستفيد منها سعدنا واذا جهلنا وانخدعنا فيكون قد كتب علينا البلاء وندمنا حيث لا ينفع الندم . فاذاً يجب علينا ان نفتح اعيننا وندرس قضية السكة والانابيب النفطية من كل جوانبها وان نتخذ لنا سياسة واضحة وقويمة حتى لا تصبح النعمة نقمة لنا وعذابا . ان أهم الامور فى قضية السكة النفطية هو موقعها ولقد رأينا كيف اختلف الانكليز والافرنسيون حول ذلك لان مصالحهم تجعلهم يتمسكون بسياسة معينة ومنهاج معلوم . فالانكليز يفضلون الخط الجنوبى الذى ينتهى فى فلسطين والذى يربط مصر وفلسطين بالعراق فيكون لديهم طريق جديدة للمواصلات الامبراطورية بينما فرنسا تفضل الخط الشمالى لانه أقصر ولانه ينتهى فى سورية التى هى تحت انتدابها .

اذن فى هذه المسألة الهامة سياستان : الانكليزية والافرنسية اى الجنوبية والشمالية . علينا نحن أهل البلاد أن ننتخب واحدة من الاثنين ، فأيهما خير لنا ؟ هنا تقسم الاراء العربية الى قسمين . القسم الاول ـ وهؤلاء عددهم قليل جدا ـ يؤيد السياسة الانكليزية . والقسم الثانى الذى هو بنسبة ٩٠ فى المائة من العرب يفضل النظرية الافرنسية . من يدرس هذه القضية بصورة عميقة

يجد ان الفئة الاولى هى فى ضلال وان مصلحة العرب هى فى تأيد نظـــرية الخط الشمالى • يزعم دعاة الخط الجنوبى ان تمديد الخط فى المنطقة الشمالية هو خطأ ومضر و •• و ••

وهم يستندون على ثلاث نقاط : ١ ــ الترانسيت مع ايران : ٢ ــ محافظة السكة فى الشمال تكون صعبة وقربها من الحدود التركية هو خطر • ٣ــ قضية آبار النفط فى الجنوب • هذه هى حجج مروجى النظـــرية الانكليزية وهى عبارة عن فرضيات غير صحيحة بثتها الدعاية البريطانية واليك البيان : ــ

أولا ــ ان كانت السكة فى الشمال أو فى الجنـــوب فمسألة الترانسيت لا تتغير لان العراق يفصل ايران عن البحر المتوسط وانتهاء السكة فى فلسطين أو فى سورية لا تبدل الحـــالة لان الاموال الايرانية لا بد من أن تمـر من العراق • اذن حجة الترانسيت هى واهية وركيكة •

ثانيا ــ محافظـــة السـكة فى الشمال ستكون أســـهل بكثـير من محافظتها لـو كانت فى الجنوب وذلك لان الخط الشمالى ســيكون أقصر من الخط الجنوبى ثم انه سيمر بمناطق بعيدة عن العشـــائر البدوية وســالمة من الغرق • أما الخطر التركى فهـذا كلام غير معقول لان فرنســة وانكلترة وامريكا وكل من له حصة فى النفط سيدافع عن الخط ولا يمكن للـــذى فى رأسه دماغ أن يتصور ان تركية تقوم بحركات عسكرية ضد كل هـــذه الحكومات • ثم وجود المنابع النفطية فى الشمال يجعل هذه التخوفات لا محل لها من الاعراب لانه اذ فرضنا جدلا ان بلادنا الشمالية يمكن ان تكون يوما مهددة بخطر الاستيلاء التركى فما فائدة وجود السكة فى الجنوب عنـدما تكون الآبار محتلة فى الشمال ؟ ومن هنا نرى ان الحجة الثانيـــة مبنية على الخيـــال •

ثالثا ــ النفط الموجود فى جنوب العراق هو قريب من خليج البصرة وليس من المعقول ان يفضل الانسان نقله الى البحر المتوسط وقطـع تلك

الصحراء بلا لزوم • فالحجة الثالثة هي ايضا مردودة • رأينا هنا ان فى الحالات الثلاث تقتضى المصلحة العراقية فى ان يمتد الخط فى الشمال واذا اضفنا الى الفوائد التى شرحناها المضرات التى يمكن حصولها للقضية العربية فى تمديد السكة الحديدية فى الجنوب فسوف نرى ان لا محل للتردد فى تفضيل النظرية الافرنسية على نظرية الانكليز • الاضرار التى يمكن حصولها من تمديد الخط الجنوبى هى : ١ ـ انفصال العراق والاقطار العربية الشمالية عن جزيرة العرب وهذا معناه فصل العرب الضعفاء المنتدب عليهم عن العرب الاقوياء الاحرار حتى يتم الاستعمار • ٢ ـ تمديد السكة فى الصحراء يقتضى تشييد مخافر وقواعد جوية لاجل المحافظة وهذا يعنى ان البادية ستصبح كلها تحت رحمة الانكليز ويجعل الوحدة العربية امرا عسيرا جدا • ٣ ـ انتهاء الخط فى فلسطين وهى تحت النفوذ الصهيونى ليس فيه شىء من صالح العرب وطالما وضع فلسطين لا يتبدل فالارجح ان تنتهى السكة فى سورية وهى بلاد عربية • ٤ ـ الخط الجنوبى سيكون سكة حديدية امبراطورية وطريق مواصلة جديدة لها خطورة كقنال السويس وهذا معناه بلاء جديد على رأس العرب • يبان من كل ما اتينا به ان مصلحة العراق الخاصة ومصلحة العرب العامة تجبران العراقين والعرب على الابتعاد والتحاشى من سياسة الانكليز النفطية فعلينا اذن ان نتمسك بالخط الشمالى على ان يكون ذلك الخط بالاقل فى شمال تكريت • وعندى عدم وجود سكة نفطية بالمرة اهون من اقامة مانع حديدي وهو كالسيف المسلول فى وسط البلاد العربية • فالنفط وغير النفط وكل شىء يأتى من بعد الوحدة العربية التى هى غايتنا المقدسة ومذهبنا الوحيد •

---

* نشرتها جريدة التقدم بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٣٠ •

الاستقلال التام طيّر نعاسي*

[معاهدة ١٩٣٠ الشهيرة كانت سببا لقيام نقاش وجدال وتحليل وانتقاد دام عدة شهور قبل تصديقها . كتب الكتاب وخطب الخطباء وهاج الناس وماجوا ولكن تم فى النهاية ما اراد الحلفاء الاقوياء ودخل العراق من دور الانتداب الى دور المعاهدة] .

لا تظن ايها القارىء ان عنوان هذا المقال هو مطلع « بستة » جديدة على وزن « الاسمر أبو الشامات هيج ونيني » لا ! لو تدرى ما أبعدنى عن « البستات » ! انى الآن فى غرفتى وحدى ، فى ديار الغربة ، والوقت بعد منتصف الليل ... أمامى المعاهدة العراقية الجديدة ... يدى ترتجف وانا اكتب هذه الاسطر ... احس بنفسى اننى « متخنفس » بكل معنى الكلمة كانما امامى بطل دهن خروع !

قرأت المعاهدة قبل النوم . وانا فى السرير وياليتنى لم اقرأها لان نومى طار ... اطفأت النور وصرت اسعى ان انساها وافكر فى أمور اخرى ... ولكن من غير فائدة ! اخذت احسب من الواحد الى الالف ، ثم ارجع « گرى » من الالف الى الواحد حتى يرجع النوم .... ولكن لا فائدة ! صرت العب بريج وبوكر فى مخيلتى ولكن كل خمس دقائق اجد نفسى وانا مشغول بالمعاهدة ، والاستقلال التام والحزب الفاشيستى العراقى والانتخابات، والمجلس الجديد الذى سيتكون من اولئك الذين سيصدقون المعاهدة كما هى !... هذه « اشلون بلشه ؟... »

صرت العن الشيطان والعن المعاهدات والعن ولع الاشتغال بالسياسةوانى أتقلب ذات اليمين وذات اليسار واتوسل بالنوم أن يأتى واتكلم مع نفسى فى الظلمات .. ولكن كل ذلك لم يفد ! والنوم طار وراح .

وفى نهاية الامر سلمت أمرى لله وفتحت المصباح واخذت المعاهدة وقرأت المواد من جديد وعلمت بالقلم الاحمر على الاسطر التى «دوخت» رأسى . ثم تناولت القلم والقرطاس وصرت اكتب هذه الاسطر لاجل التنفّه ... وفى حالتى هذه ارى الكتابة هى الطريقة الوحيدة لاراحة البال . لاننى هنا وحدى . وليس لى احد من ابناء وطنى حتى اتكلم معه وافرغ سمى ....

ولذا ارجوك ايها القارىء العزيز ان تعتبر مقالى هذا عبارة عن « مداردة » بين صديقين وان « لا تزعل » وان كانت افكارى من الممكن ان تخالف افكارك . المعاهدة الجديدة فيها بعض مواد جيدة ولا بأس بها . ولكن فيها ايضا مواد اخري ليتها لم تكن !

اذن عندنا هنا حلو ومر ، زين وشين ، شوك وشجر ..... ولعلك تقول : « ميخالف » لان الانسان لا يمكنه ان ينال كل شيء فى هذه الدنيا وكل وردة فيها شوك .... فاننا نغمض أعيننا ونبلع هذه المواد المرة كما يبلع الانسان « القنقينة »[1] .... غير ان لكل شيء حدا .... وفى المعاهدة ثلاث مواد كل واحدة منها تضرب الاستقلال التام الف « چلاق » وترسله الى موتاه بالسلامة !... فهذه المواد هى التى طيرت نعاسى وكلما اردت ان ابلعها وقفت فى « زردومى » !

النقطة الاولى : هى تعهد العراق بمساعدة بريطانيا عند نشوب حرب بين بريطانيا وامة اخرى ... اننا لا يهمنا ان نتحارب مع انكلترة ضد اعدائها وان لم يكن لنا لا دعوة ولا طلبة مع اولئك « الاعداء » . فالصداقة هى مقدسة فى نظرنا وحق الصديق على الصديق . ولكن اذا جاء يوم من الايام واعلنت انكلترة الحرب على حكومة عربية اخرى فماذا يكون وضعنا ؟ هل يجب ان نتقاتل مع اخواننا الذين هم من دمنا ولحمنا لخاطر الانكليز ؟ انى ليقشعر جلدى عندما اتصور العرب يسفك بعضهم دماء بعض لاجل المصلحة

---

(١) هى مادة (الكنين) الطبية .

البريطانية ..... انى افضل في هذه الحالة ان ارى يدى مكسورة على ان أراها تحمل سيفا مسلولا بوجه أي عربي كان ... انى أرى في هذه المادة خطرا كبيرا على الوحدة العربية فيجب اذن تعديلها وصبها في قالب آخر .

النقطة الثانية : وهي مذكورة في الذيل . اعني ذيل المعاهدة . أى نعم! لان المعاهدة الجديدة لها ذيل طويل يستحق ان يبتر بضربة ساطور ..... ولكن اين الساطور ؟ فهنا يسمح العراق لصديقته بريطانيا ان تبقى جيشا بريطانيا لمحافظة المواصلة البريطانية ، ولمساعدة العراق على الدفاع عن نفسه.

المعاهدة تذكر محاسن ابقاء ذلك الجيش في العراق ولكن من الذى يضمن لنا عدم استعمال تلك القوة عند اللزوم ضد العراق نفسه ؟ وكيف يكون حينئذ الاستقلال التام ؟ كيف يمكن التأليف بين وجود قوة بريطانية والسيادة القومية المطلقة ؟ ثم من ذا الذى يتجاسر ويتجاوز علينا اذا كنا حلفاء الانكليز ؟ واذا حصل ما حصل اما يمكننا ان نستدعى النجدة من الهند البريطانية ؟ انى لا اظن ان العراقيين سيرتاحون من رؤية جيش بريطاني يقابلهم ويقعد.. يراقب أعمالهم ويحسب لقماتهم ويذكرهم دائما بالاحتلال والانتداب !

النقطة الثالثة : هي مدة المعاهدة أى ٢٥ سنة والخير قدام ! هذه المدة الطويلة هي الصفة الممتازة في المعاهدات التى تعقد بين القوى والضعيف ، بينما المعاهدات الدولية اكثرها لا يتجاوز خمس سنوات . فالانكليز يريدون ان يربطونا برباط طويل ومتين . وطبعا هذا يوافق المصلحة البريطانية غير اننا لا نرى الا ضررا من طول تلك الصداقة المؤسسة على المعاهدة الجديدة . فقصر المدة هو السبب الوحيد الذي يجعلنا نقبل بمواد المعاهدة التى لا تأتلف مع السيادة القومية . فاذا قبلنا كان ذلك حبا بصداقة الانكليز لمدة خمس سنوات فلا يمكننا أن نتحمل ونصبر خمسا وعشرين سنة ! هذه النقاط الثلاث التي طيَّرت نعاسي . والذى ينبش ويفتش لابد من ان يجد نقاطا اخرى منحوسة . وذلك بالرغم من اننا ما حصلنا على هذه المعاهدة الا بشق الانفس وزهق

الروح . انا لا الوم هنا احدا ... انما اندب حظنا الاعوج الــذى ابى ان يعتدل ... وبينما الداعى وامثال الداعى الذين هم ليسوا آكلين ولا شاربين ونومهم يطير ، هنالك اناس آكلون وشاربون وشاخرون وارجلهــم فى الشمس واخاف من انهم سيقومون فى وسط المجلس الموقر المقبل ويدافعون عن هذه المواد المنحوسة وبنفس « الغيرة الوطنية » التى جعلتهم ينظمــون القصائد الفاشيستية ..... وفي الاخير يظفر الانكليز ويخسر العراق ... وكان أمر الله مفعولا .

* نشرتها جريدة العالم العربى بتاريخ ٢ آب ١٩٣٠ .

رأى فى المعاهدة الجديدة !*

[هذه كلمة هزلية – جدية فى المعاهدة العراقية – البريطانية لسنة ١٩٣٠ ترى فيها ما ترى وقد اثبتت الايام أن الحق كان مع المعارضين المنتقدين بالرغم من دعايات « الفاشيين » وطبولهم ومزاميرهم] ..

كتب لى أحد الاصدقاء من بغداد يسألنى رأى فى المعاهدة الجديدة ... فقلت فى نفسى .. – يا معود اشوازاك ؟ قبل اسبوع عندما قرأت المعاهدة كان قد طار نومى وبقيت الى الصبح (يا حي يا قيوم) ولم أتوفق على التأليف ما بين الاستقلال التام والاحتلال أو (الايجار) والآن يا صديقى العزيز تسألنى رأى. فلماذا هذه الكلفة ودفع اجرة البريد وعندك فى بغداد الجماعة الفاشيستية ؟ لماذا لا تسألهم وهم دعاة التسلح بالمعاهدات ؟ لماذا لا تسأل (هرون الرشيد) و (حمورابى) و (السفاح) وغيرهم من الابطال ؟[1] انى لا أشك فى مقدرة اولئك السباع السبمبعية فى تفسير الاحلام وشرح المعاهدات وتنوير الافكار. فلماذا سكتوا واختفوا بعد ان أتت المعاهدة الجديدة ؟ فانى اود والجميع يود ان نقف على آراء (الحزب الجديد) الذى يريد ان يفتح العالم شرقا وغربا تحت لواء سيدنا (حمورابى) عليه السلام . اننا ننظر بفارغ الصبر شرحهم للمعاهدة الجديدة التى ستكون سلاحهم الوحيد لفتح البلاد من اعالى جبال طورس الى المغرب الاقصى ! – اما رأى يا صديقى العزيز هو : رغيف خبز لا تكسر ، باقة فجل لا تفك ، وكل حتى تشبع !!! . وان كنت ما تعرف هذه السالوفة فسل الطباخة عندكم دادى زعفرانة فهى تعلمك ما معنى ذلك . المعاهدة فيها استقلال ومساواة مع الانكليز وحرية مطلقة فى قضية ادارة البلاد الخارجية والداخلية والدخول فى عصبة الامم وغيرها من الامور اللذيذة

---

(١) اسماء مستعارة لبعض الكتاب الفاشستيين .

ولكن جنب كل ذلك فيها ايضا قواعد جوية وجيوش بريطانية ، وايجارات ولعبة خبيثة الى ٢٥ سنة ... والانكليز يقولون ان المعاهدة الجديدة هي نجاح باهر لبريطانيا العظمى . والفاشستيون يقولون انها ظفر جديد للعراق والشغلة صارت « جنابي من جنابك صار ممنون » ــ اما قولك بانك لاتظن ان المجلس الجديد سيصدق على المعاهدة كما هي مما يسر ويشرح الصدر غير ان التجارب علمتنا مع الاسف ان المجلس هو عبارة عن آلة ميكانيكية ادارتها بيد الغير . فاذا النواب المقبلون هم من نفس فصيلة النواب السابقين فاعلم ان المعاهدة مصدقة وانا بلعنا « أبو قبيح » . لا بل اذا كانوا رجالا من صدق في قلوبهم ايمان قوي فانهم بلا شك سوف لا يصدقون المعاهدة ما لم يعدلوا اعوجاجها ويحذفوا منها تلك المواد التي تهجم البيت وفي الاخير انصحك نصيحة لوجه الله تعالى : كلما ضاق صدرك في مطالعة المعاهدة او لعبت نفسك من منظر السياسة العراقية خذ لك مقالة (فاشستية) وسل نفسك بها والذي مكتوب على الجبين لابد ان تراه العين والسلام .

---

* نشرتها جريدة الجهاد بتاريخ ٧ آب ١٩٣٠ .

انظـــروا واعتبـــروا*

[كان النواب والمجالس النيـابية ، باستثناء نفـر قليـــل يعرفهم الناس ويحترمهم، العوبة بين أيدى الوزارات وهى بدورها ، مع استثناء البعض من اعضائها، العوبة طيعة بايدى ارباب الانتداب ... ويأتى مجلس ويذهب مجلس والقضـايا المهمة معلقة بين السماء والارض لا تجـد حلا ولا أملا بحلها بشكل يضمن مصالح البلاد وأبناء الشعب ...] .

انظروا الى حالة النواب السابقين واعتبروا ! اين تلك الاكثرية الجبارة! اين تلك « الكشخة » وتلك النفخة ؟ اين تلك القوة وتلك العظمة .

انظروا اليوم الى الشعب كيف يقرع الكثيرين من « نوابه » السابقين ساخطا ناقما ويفرح لسقوطهم ! لماذا كل هـذا السخط ؟ لماذا هـــذه النقمة ؟ لان الكثيرين من اولئك النواب ، وقد جلسوا على الكراسى بعد أن عاهدوا ما عاهدوا ، ألهتهم المقاعد والجاه عن الشعب فلم ينصفوه ولم يفرجوا عن كربه وضيقه وكانوا فى وسط نعيمهم الزائل لا يتعذب ضميرهم ولا يتألم وجدانهم لانهم ـ لا اقصد كلهم طبعا ـ لانهم كانوا آلة صماء استعملها كل من اتى كيفما شاء . فمنهم من دافع عن المستشارين ومنهم من أيد ابقـــاء المفتشين الاداريين على وضعهم ومنهم من وافق على زيادة الرسوم على المنتجات الوطنية وتخفيض رسوم البودرة والحمرة ومنهم من وقع على امتياز اللطيفية وامتيازات أخـرى كانت صفقة البـلاد فيها خاسرة ومنهـم من أقـر بلزوم « المرسومين » المعهودين ومنهم من عرقل سير مسألة التجنيد الاجبارى ومنهم من نادى بقضية سماها بقضية الكرد التى لا يزال ذيلها طويلا مؤسفا ! ومنهم من موه وخادع وظلل ! وكل ذلك لا عن قناعة وجدانية او عن مبدأ شخصى ولكن اطاعة لاهواء الوضع الشاذ ، واجابة لطلب الحكومات المتوالية التى أتت

الى كراسى الحكم ! .

هكذا كان الكثيرون من اعضاء المجلس السابق الذي بقي ثلاث سنوات وهو يضع اصابعه فى آذانه كيلا يسمع صراخ الوطن . أنعجب بعد كل هذا اذا رأينا الان الشعب ساخطا ومعاتبا ولائما ؟ انظروا يانواب الغد الى هــذه الحالة المحزنة واعتبروا ! انظروا كيف يتحمل جبابرة الامس كل هــذه التقريعات وهذه الرجمات التى صارت تنزل عليهم وهم جامدون ساكتون لانهم هم المقصرون ، لانهم التهوا بمصالحهم الشخصية ونسوا القضية العامة ، لانهم تمتعوا بنعمة الشعب ثم أنكروا « الخبز والملح » . انظروا واعتبروا واعلموا ان المحاسبة لم تنته اذ انه لابد من ان يأتى يوم الحساب الكبير يوم تتكلم ايدى اصناف المقصرين والمذنبين وتشهد أرجلهم ومن احزن الحــالات أن يرى الانسان شعبا ساخطا ينتقم هكذا من رجاله لانهم لم يقوموا بواجبهم ولانهــم يطعنونه طعنات دامية بأسم الوطنية الكاذبة ويتركونه العوبة بين الايدى او ريشة تتلاعب بها اهواء السياسة والمطامع !.

فاعتبرو يا نواب الغد من هذا الدرس المحزن وضعوا المصلحة العامــة أمام أعينكم واذا خدمتم الوطن باخلاص فالخير يعود أيضا عـلى أشخاصكم . ولا تغرنكم الربيات والجاه الموقت فان محبة الشعب هى أغلى وأثمن وأجمـل من الانواط الخُضر والالقاب الفارغة والكراسى المترجرجة . افتحوا عيونكم يا نواب الغد واعلموا ان تخليد الاسماء المجيدة هو أطيب من الركض وراء الربيات . فان خدمة الوطن هى أشرف من التبصبص لعمر وزيد وان كـرم الاجانب وكل ما يأتي منهم ما هو الا « عرس واوية » .

وأنت يا شعب كفاك أن تنخدع وتتوهم بعد هذه التجارب المُرة . فـلا يغرنك من بعد اليوم الكلام المزوق . والوطنية الكاذبة والزعامة الفارغــة والسداير الانيقة والعمائم الكبيرة والذقون المنفوشة والخطب الرنانة . فانتخب المخلصين الذين يفعلون ما يقولون فيكون عندك مجلس جديد فى رأســه

دماغ سالم وفي صــدره ايمان قــوي وفي فمه لسان صادق وفي شرايئه دم متحرك !

هذا اذا كان الامر كل الامر في يدك وكنت منتبها كل الانتباه وحريصا كل الحرص على حقوقك ومصالحك أما اذا لم يكن هذا كله فواأسفي عليــك وعلى مقدراتك ويا ما أشبه الليلة بالبارحة !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي بتاريخ ٨ آب ١٩٣٠ .

المستعمرون وحماية الاقليات*

[ان حمــــاية الاقليات من أسلحة الاســـتعمار التقليدية . فهم يحركـــون الاقليات ويشعلون نار الفتن ثم يزجون أنفسهم فى المعمعة لحمايـــة الاقليـــات ويخلقوا المشاكل لكى ينصبوا من أنفسهم حكاما ليحلوا تلك المشاكل المصطنعة بما يضـــمن لهـــم مصالحهـــم واستمرار سلطانهم ...] .

لا يكتفى المستعمرون ـ من أى جنس كانوا بالمدافع والطيارات والسموم الخانقة لتنفيـــذ خططهم والفوز بالمـــرام .. ولا يكتفون باصول الاستعمار الاقتصادية التى تمص دماء الاقوام المستعمرة كما يمتص العلق دماء القلـــوب ولا يكتفون بما فى الاستعمار أو فى الحماية أو فى الانتداب من شدائد وأهوال ترتعد منها فرائص الشعوب الضعيفة ولا يكتفون بالمعاهدات وحبالها التـــى تربط أيدى من يوقع عليها من الضعفاء كمـــا يربط العنكبوت فريسته بتـــلك الخيوط الناعمة . لا يكتفون بكل ذلك بل يستعملون سلاحا آخر أقوى مـــن الحديد وأسرع من النار وأمضى من الغاز : « حماية الاقليات » ومعنى ذلك هو التفرقة ، والشقاق والنزاع والضعف والاضمحلال .

لو درسنا الاستعمار وتاريخه الاسود لوجدنا ان حماية الاقليـــات هى ألذ شيء عنـــد المستعمرين فلنأخذ مثلاً الاســـتعمار الافرنسى ... فأينما حلت حضارته حلت معهما سموم التفرقة والانشقاق أنواعا وأشكالا ! ففى الجزائـــر مثلاً لم يكتف الاستعمار بالقوة المسلّحة ولا بالقوانين التى تنتـــزع الاراضى والاموال والحقوق الطبيعية بل أن الاستعمار منذ أن حل أخـــذ يسعى الى فصل العرب عن البربر وايقاد تلك النار التى خمدت منذ اكثر من الف سنة بين العرب والبربر . فهذه الدعاية لا تنحصر فى الجزائر بل يمتـــد مسرحها الى تونس والى مراكش ومع ان العرب والبربر هاجوا وقاموا معا محتجـــين

ضد هذه الاعمال فاستعمار الام « الحنون » فرنسا لا يبالى ! وهو الى يومنا هذا لا يزال يرسل الى شمال افريقيا جيوشا من المبشرين لتلك الغاية ويفتح مدارس خاصة للغة البربر ويعمل كل شيء في مقدرته ليفصل الشعبين عن بعضهما . مع انهما منذ ١٢ قرنا اتحدا اتحادا تاما فصارت لغتهما واحدة ودينهما واحدا وامتزجا واختلطا حتى زال كل فرق ما بينهما .

ولننظر الى شقيقتنا سوريا ! ماذا نرى ؟ نرى ما تشمئز منه النفس ويضيق منه الصدر . نرى فى قطر واحدا أربع حكومات اسمية منعزل بعضها عن بعض . ولم تخلق تلك الحكومات حبا بالاقليات ولكنها خلقت ليسهل أستعمارها ولكيلا يتحد الجميع ضد الاستعمار فينزعونه من بلادهم ! وهذه صديقتنا انكلترة نراها يوما تدافع عن المسلمين فى الهند ويوما تدافع عن الاروام ضد الاتراك المسلمين ويوما تفضل الاقباط على مسلمى مصر . ويوما ترجح اليهود فى فلسطين على العرب ويوما ترجح العرب على الاتراك فلماذا كل ذلك ؟ كل ذلك لتمشية المصالح البريطانية لا غير . صرنا الآن نسمع أن عندنا فى العراق قضية كردية وقضية آثورية ... فهذه كلها دواليب استعمارية !.. أما رأينا من قبل قضية الشيعة والسنة ؟ أما الحقيقة فهى اننا كلنا عراقيون أننا عرب وأكراد وآثوريون واسلام ونصاري وشيعة وسنة وبدو وحضر كلنا أخوان . فلا يوجد عندنا أقلية او أكثرية اذ كلنا نتمتع بنفس الحقوق ونسكن نفس البلاد ! غير ان السياسة من طبعها ـ لا ترتاح اذا رأتنا عائشين فى اخاء وأتحاد ولاجله نرى الظروف المريبة تحرك العواطف بين حين وآخر وتضرب على اوتار « حماية الاقليات » .

والاغرب من كل هذا هو ان المستعمرين فى بلادهم هم « اتحاديون » أقحاح . فالافرنسى لا يحب أن يسمع بمختارية الالزاس أو بقبول اللغة البريطانية فى بلاد البريطان (شمال فرنسا) مع ان الفرق بين الافرنسى

والالزاسى او البريطانى اكثر من الفرق بين العـرب والبربر فى شـمال افريقيا . والانكليزى يرى فى الوحدة البريطانية غايته الكبرى ولكن ذلك لا يمنعه من أن يرى الخير فى تمزيق وحدة الاقوام الاخرى ! فعلينا نحـن الشرقيين أن لا تخدعنا الدعايات التى لا يقصـد منها الا ابتلاعنا بصـورة هينة وعلينا نحن العراقيين أن نقف كلنا كالبنيان المرصوص أمام هـذه المناورات وان نعلم علم اليقين أن المستعمرين وعصبة الامم اذا بكوا لا يبكون على الحسين بل على الهريسة فقط وفى نظرهم اننا كلنا العربى والـكردى والآثورى والسـنى والشـيعى والمسـيحى والصابئى والبدوى والحضرى والباشا والحمال والغنى والفقير والعاقل والمجنون والحاصل كلنا ، من أولنـا الى آخرنا سواء فهم لا يفضلون الا من يفدى مصالح بلاده لمصلحتهم ومن يحنى رأسه متذللا أمامهم فالذى يغتبط أذن بتلك المحبة ويؤمن بحمـاية الاقليات هو فى ضلال مبين .

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٥ آب ١٩٣٠ .

الشعب العراقى والمعاهدة الجديدة*

[انقسم الشعب العراقى بآرائه حول معاهدة ١٩٣٠ الى عدة أقسام ... منها المعارضون المتطرفون والمعتدلون وهم الاكثرية الساحقة ومنها المؤيدون المعتدلون وهنالك جماعة صغيرة من المطبلين المزمرين الذين أخذوا على عاتقهم تمجيد المستعمرين وتقديس المعاهدة الجديدة ولكنهم بقوا بسواد الوجوه] .

ينقسم العراقيون بارائهم حول المعاهدة الجديدة الى أربعة اقسام :

(القسم الاول) هم المعارضون المتطرفون أي ارباب السياسة السلبية الذين ينظرون الى المعاهدة الجديدة بعيون خائفة كأنما امامهم مصيدة مخيفة او كابوس تشمئز منه النفس ويضيق منه الصدر . فهم يعتقدون ان عقد هذه المعاهدة مع بريطانيا هو انتحار وهلاك ليس من بعده قيام وعليه يفضلون المقاطعة السياسية مع الانكليز الا ان تتبدل الامور بغير طريقة المفاوضات والى ان يقوى العراق ويتسلح بشيء امتن من هذه المعاهدات .

(والقسم الثانى) هم المعارضون المعتدلون الذين لا يرون بأسا فى اتخاذ سياسة ايجابية بشرط ان تصان الحقوق العراقية وان لا تتلوث السيادة القومية بمواد لا يمكن تأليفها مع الاستقلال التام . فهم يعتقدون ان تصديق المعاهدة كما هى مضر بالبلاد فعليه يجب تعديل بعض موادها وحذف قسم كبير من ذيلها واضافة بعض القيود التى تقوى أساس الاستقلال وتثبت السيادة القومية . فاذا تم كل ذلك لا بأس فى عقد المعاهدة لمدة خمس سنوات على شرط ان يعاد النظر فيها بعد انقضاء تلك المدة .

(القسم الثالث) هم الحكوميون الذين يؤيدون نظرية الحكومة . فهؤلاء يعترفون بأن المعاهدة الجديدة فيها قيود وشروط ثقيلة يتمنى كل واحد

عدم وجودها ولكن هذا أعظم ما يمكن استحصاله من الانكليز فى الحال الحاضر . فالآن يجب قبول هذه المعاهدة حتى ندخل فى عصبة الامم ويعترف العالم باستقلالنا فنرتقى ونقوى مع الزمان ونستفيد من تحالف بريطانية لنيل غايتنا القصوى ، وهى الاستقلال الكامل .

فكل من هذه الجماعات الثلاث لها حق الاجتهاد وبما ان آراءهم هذه هى نتيجة الاخلاص والقناعة الوجدانية فهى معتبرة ولها موقعها .

أما (القسم الرابع) : فهم جماعة المطبلين المزمرين الذين يصعدون بالمعاهدة الى السماء ويمدحون الحكومة ويثنون على الانكليز ودافعهم الوحيد هو العلة فى قلوبهم . علة حب المال والجاه وانتخاب اقصر الطرق للوصول الى الغايات المعلومة المذمومة . نرى تلك الجماعة دائما أكثر انكليزية من الانكليز . واشد حكومية من الحكومة ، واقوى وطنية من اكبر الوطنيين تراهم يسودون صحائف بعض الجرائد بمقالاتهم التى لا رأس لها ولا كعب والتى لا يرى الانسان فيها سوى التفاخر المتصاعد حتى السموات أمام المعارضين والتذلل والتمرغ بالتراب أمام الانكليز ... وتراهم يدافعون عن المعاهدة والحكومة الحاضرة كأنهم يدافعون عمن أتى أمرا لا مثيل له . لماذا كل ذلك ؟ فالحكومة لا تحتاج الى هذا الدفاع الذى ليس فى محله فهى أتت لنا بهذه المعاهدة بعد سعى طويل وهذا ما تمكنت ان تحصله من الانكليز .... فهى بلا شك سعت وجادلت وصارعت ونتيجة كل ذلك كانت هذه المعاهدة التى عرضتها على الشعب ومن حق الشعب الآن ان يقبلها او يرفضها كما انه من حقه أيضا أن ينتقدها أو يشرحها ويحللها .. فالمعارضة هنا لاتكون تجاوزا على الحكومة أو تحديا لها .. وأشد المعارضين وامرهم لم يسندوا الى الحكومة سوى الضعف أمام القوة فلماذا اذن كل ذلك الدفاع المستميت ؟ لماذا كل هذه المقالات الطوال التى تصبغ الحكومة بصبغة هى بلا شك بعيدة عنها ؟ لماذا كل

هذه الضجة وليس فى العراق من وصف الحكومة بشيء سوى الضعف ؟ وهذا الضعف أيضا هو ليس من ذنب الحكومة وكلنا نعرف ان العراق تجاه الانكليز هو ضعيف وضعيف جدا .

يدعى اولئك المتهورون ان المعاهدة هى كاملة وان العراق لا يحتاج الى أكثر من ذلك وان الحكومة اكتفت بهذه المواد وقبلتها بطيبة خاطر وهى الآن مرتاحة ومسرورة ومغتبطة وشاكرة للانكليز ... انى لاصدق بذلك وأعتبر هذا افتئاتا للحكومة واعتقد انها لا ترتاح من هذه الدعاية العاطلة وان أتت من طريق المدح والثناء . فرجال الحكم يشعرون بكل ما يشعر به الوطنيون ولكن مركزهم فى المسؤولية يمنعهم من ان يتظاهروا بما يخالج ضمائرهم . وانى لا اشك فى انهم فى هذه القضية اقرب الى المعارضين منهم الى اولئك المداحين الذين يتبصبصون ويخلطون ويظنون انهم بذلك يخدمون الحكومة غير انهم بعملهم هذا يسيئون اليها ويشوهون سمعتها ويجعلون الشكوك والتردد تتسرب الى القلوب .

فهم يعددون لنا مظالم جنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك وجمال باشا وعاكف بك ويذكروننا بأيام الاتحاديين السود وقصدهم الوحيد من ذلك هو تخفيف وطأة الاستعمار ولكنهم يجهلون ان عزة النفس تجعل العرب يفضلون الاعادى المتجاهرين كجمال وعاكف على « الاصحاب » المخادعين والحلفاء الكاذبين .. ويصفون لنا مشانق السفاح جمال باشا وهو بلا شك عدو العرب ولكنهم يتناسون الدماء التى اهرقتها حراب المستعمرين فى خلال الثورة العراقية : يذكرون جيدا منافى الاناضول ـ وهم بلا شك لم يروها ولكن ربما سمعوا بها فقط ـ ولكنهم يجهلون « خان دلة » وهنجام والحقارات التى اتى بها جيش الاحتلال ... يتألمون من عداوة الترك ولكنهم لا ينزعجون من استعباد الانكليز ..

يقولون : ان بريطانية مدت يد المعونة الى العرب وقدمت اليهم اناء طافحا

بالماء الزلال حيث كان العرب هالكين من شدة الظمأ ...

ليت شعرى أين ذلك الماء الزلال ؟ أهذه العهود المنكوثة ؟ أقفص قبرص ؟ أم واقعة ميسلون ؟ ان فضل العرب على الحلفاء يا مساكين هو اكبر من ذلك « الاناء الطافح » الذى لم يحتو سوى السم القاتل . يقولون : ان بريطانية العظمى تتنازل عن حقوقها التى نالتها بالسيف والتى حصلتها من عصبة الامم أين اذن حصة سيف العرب ؟ ذلك السيف الذى كان احد عوامل النصر للحلفاء ؟ وما هى فى نظركم تلك الحقوق المقدسة ؟ أفى نظركم مؤامرة « سان ريمو » مقدسة ؟ لويد جورج وكلمنصو نكثا العهود المقطوعة للعرب وقسما البلاد العربية بين انكلترا وفرنسة ، أتعتبرون ذلك حقا قانونيا مقدسا ؟

أما تخجلون من هذا الاستسلام المشين فى حين نفس الاوربيين والامريكان ـ ماعدا المستعمرين طبعا ـ انفسهم لا يعتبرون الانتداب الاكخدعة اتى بها ابطال الاستعمار ؟

يقولون بكل سرور ان العراق سيكون اقوى حارس لمنافع وطريق الامبراطورية وان العراق ـ نواة الامبراطورية العربية ـ سيكون سدا منيعا أمام الاقوام المعادية للامبراطورية البريطانية أفى هذه الخدمة شرف ؟ أفى هذا التذلل والخضوع ما يرفع الرأس ؟

ألهذه الغاية سفك العرب دماءهم ؟

انى لا أظن بأن زعماء الثورة الكبرى يتنزلون الى تمثيل الدور الذي تدعونهم اليه . يقبل العرب صداقة الانكليز بكل سرور ولكنهم بلا شك يفضلون أن يكونوا أعداء لهم على قبول صنعة الخدم... فاذا أنتم يا أبطال لا ترون بأسا من ان تكونوا حراسا او خدما او ... لبريطانية العظمى فهذا ما لا يهمنا وانتم أعلم بما تستلذ منه قلوبكم ولكن نرجوكم ان لا تتكلموا بلسان العراق أو العرب وأن لا تحشروا أنفسكم بين صفوف زعماء الثورة المقدسة.

ان العراقيين والحكومة العراقية وكل شخص فى رأسه دماغ سالم وفى شريانه دم شريف لن يقبل ان يكون خادما او حارسا لاية دولة كانت .

فاتقوا الله يا عباد الله واتركوا هذه الدعاية الباطلة التى تشين سمعة البلاد وحكومتها فالحكومة هى فى غنى عن هذه الخزعبلات والشعب يعرف جيدا قيمة هذه الاساطير مهما كانت كلماتكم مزينة واسلوبكم ملتهبا وأسماؤكم المستعارة ضخمة ... ، واعلموا ان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها .

---

* نشرتها جريدة الزمان فى ١١ ايلول ١٩٣٠ .

فــوائد المعارضــة*

[تقـوم المعارضـة البناءة النزيهـة بخدمات جلى فى الانظمة البرلمانية وهـى عادة تكون سلاحا قويا بين أيدى الحكومـة اذا تفاوضت هذه مع الجهات الاجنبيـة . وقد قامت المعارضة فى العراق بخدمات كبرى فى مصلحة البلاد وساعدت بشكل غير مباشر الحكومات القائمة فى الامـور الهامة ولا سيما المفاوضات مع سـلطات الانتداب] .

يلقى علينا الآن الغازى مصطفى كمال باشا درسا جديدا فى الوطنيـة ويرينا عبرة بليغة فى السياسة العصرية وذلك بسماحه لفتحى بك ان يشكل حزبا سياسيا جديدا مهمته الكبرى هى معارضة حزب الشعب الذى يترأسه الغازى بنفسه . فالغازى وعصمت باشا وهما بطلا الاخلاص والوطنية لـم يترددا فى قبول طلب فتحى بك لتأسيس حزب جديد يقوم امامهما ويحاسب أعمالهما وينتقد سياسة حزب الشعب بكل جرأة وصراحة . وهكذا نرى هؤلاء الرجال المخلصين يثبتون لنا مرة اخرى ان مصلحة الوطن يجب أن تكون فوق مصالح الاشخاص مهما كان موقعهم . وهذا الحادث يرينا أيضـا بوضوح ان الديكتاتورية ـ اعنى طبعا الحقيقية ـ وان كانت مفيدة فى بعض الاحيان فهى لا تخلو من العيوب والنواقص ولها تأثير مضر جدا فى ساحة الاقتصاد . ان الرقى الاقتصادى يحتاج الى مسرح سياسى واسع وجو حـر طلق لا تتمكن الدكتاتورية ان تمهدها ولذا نرى دائما وفى كل مكان قامت الدكتاتورية فيه حلول الضعف الاقتصادي وشلل الحالة المالية . يكفينا أن نلقى نظرة واحدة على الحالة الاقتصادية فى اسبانيا وايطاليا وروسية وتركية. ففى كل تلك البلاد التى ذاقت او أنها لم تزل تذوق الحكم المستبد نرى الحالة المالية فى تعاسة وضيق . فى اسبانيا انفجرت قرحة الدكتاتورية بالرغم من

ارادة الدكتاتور والآن فى تركيا يفتح الدكتاتور بنفسه منفذا جديدا لتخفيف وطأة الحكم الدكتاتورى ولا بد من ان سيأتى يوم نرى فيه توسع السياسة الضيقة فى روسيا وايطاليا وغيرهما من الممالك التى لم تزل تحكم بالدكتاتورية •

يعتقد انصار الحكم المستبد ان المعارضة عندنا تسبب الضعف والتشتت فيستفيد منها الغرباء اكثر مما يستفيد منها الوطن فهذه نظرية ركيكة وادعاء باطل • وانى اعتقد كل الاعتقاد فى ان الحكومات العراقية كلها بلا استثناء استفادت من وجود « المعارضين » اكثر مما استفادته من مساعدة « الموافقين » •

أنى لا أشك فى أن القضية العراقية استفادت كثيرا من وجود المعارضة وان الحكومات التى تفاوضت مع انكلترا قوت نفسها وتجرأت واستندت على معارضة المعارضين فقط •

ربما ادعائى هذا يظهر غريبا فى بابه ولكن هذه الغرابة لا تمنعه من ان يكون صحيحا • لنأخذ مثلا الحالة الحاضرة عندنا • فالحكومة دخلت فى ساحة المفاوضات وليس فى يدها سلاح وليس لهـا مجلس يسندها ولا حزب يساعدها • فالشيء الوحيد الذى هددت الانكليز به اذن هو وجود المعارضة• اى اعتقد أن الحكومات العراقية كلها التجأت الى سلاح المعارضة عندما جابهت الانكليز فى قضية من القضايا ولا شك فى ان الحكومات لا يمكنها ان تعترف بذلك ويصعب عليها ان تقر بانها استعملت سلاح خصومها هذا كله والمعارضة العراقية لا تزال غير منظمة تماما وغير كافية وفيها بعض العناصر التى يجب ان لا تكون فيها • ولكن مع كل ذلك فهى خدمت البلاد وساعدت الحكومات فى صراعها مع الانكليز اكثر من اولئك الذين طبلوا وزمروا وصفقوا ورقصوا ولو كانت المعارضة عندنا انظم وأقوى مما هى عليه الآن وكان المجال أمامها

واسعا فسيحا لرأينا الحكومة الحاضرة خارجة من الجدال وفى يدها معاهدة أخف وطأة من المعاهدة الحاضرة •

فالرجال مهما كا اخلاصهم ومقدرتهم فهم يحتاجون الى مستند قوى يستندون اليه • وفى وضعنا الحاضر أقوى مسند للحكومة هو ـ لا الاكثرية الساحقة كما يتراءى لنا ـ بل هو المعارضة •

فمن صالح الوطن ومن صالح الحكومة اذن أن يكون عندنا معارضة منظمة ونزيهة غايتها خدمة البلاد الحقيقية لا الصعود على الكراسى فقط فالمعارضون المخلصون هم كالسيوف المسلولة فى وجه كل خصم للوطن فعلى الوطنيين الذين يتحملون اعباء الحكم أن يستفيدوا من المعارضة ويقدروها حق قدرها لاسيما ونحن فى وضع شاذ غريب لا يسمح لهم ان يسلوا سيوفهم كما فعلوا من قبل أن يصعدوا على منصة الحكم •

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ آب ١٩٣٠ •

المستر دبليو Mr. (W) والمعاهدة العراقية الجديدة*

[يعتقد الاكثرية من الانكليز ان الله حمل الشعب البريطانى رسالة خاصة لخدمة البشر واسعاد الناس فكانوا يتعجبون عندما تثور عليهم الشعوب وتطلب اليهم فسخ المعاهدات وترك الاستعمار والانتداب .. والمستر دبليو هذا من تلك الفصيلة المؤمنة برسالة الشعب الانكليزى وفى هذا المقال مثال لما كان يجرى بينى وبينه من حوار حول المعاهدة العراقية ـ البريطانية] .

المستر « دبليو » هو صديقى أريد خاطره ويريد خاطرى ... « كثير خوش ولد » واخلاقه طيبة جدا . ولكن له « خصلة » غريبة : فهو « مستعمر » اسود فى النهار ، واشتراكى احمر فى الليل .... فى النهار يمثل المستر «دبليو» الشعب البريطانى المحافظ أحسن تمثيل : سكوت ، وقار ، رزانة ، برودة دم ، « تايمس » و « ديلى ميل » .... ولكن قبل ان تغيب الشمس يأتى الويسكى فيذهب السكوت والوقار والرزانة والبرودة .... والشغلة تصير « شلح واعبر » تماما على ترتيب « ابو جاسملر مال بغداد » . فى الليل خذلك كلام ترهات وسب وشتايم على المستعمرين من الانكليز وانت نازل ، ومحبة وحنو فوق العادة للعرب والمصريين والهنود وغيرهم من المستعمرين. أتذكر انه فى يوم من الايام كان معنا صديق هندى والمستر دبليو كان « درنگه » . كنا نتباحث فى موضوع بعيد جدا جدا عن السياسة فما رأينا الا والمستر « دبليو » قام وقبّل صديقنا الهندى وقال له « ان لويد جورج يروح فداء لغاندى ....! » وذلك مع ان المستر « دبليو » ينتسب رسميا الى حزب الاحرار !..

قبل أيام أتى المستر « دبليو » لزيارتى فى زوريخ فعندما رآني هجم عليّ مسرعا وأخذ يدى وصار يعصرها مهنئا .... خير انشاء اللـــه ؟ فى بادىء الامر ما فهمت القضية وظننت ان « اخينا بالله منشع » من الصبح . ولـكن بعده فهمت . فهذه التهنئة « والخبصة » كلها من أجل المعاهدة الجديدة !.

طبعا شكرته على احساساته وبدلت موضوع الكـلام حالا لانى كللت ومللت من المعاهدة ومن كل ما يتعلق بها . غير ان صديقى كان مستـــلذا بالشغلة وصار يروح ويجى ويصعد وينزل حول المعاهـــدة ويتباهى بكرم الانكليز ويتفاخر باحسانهم وسخائهم وخدمتهم للعرب عامـة وللعـــراق خاصة ... ثم يصقل ثم يعيد ... ثم يعيد ثم يصقل ... الى ان كفرنى ... ولما كفرنى أفهمته رأيى بالقلم العريض ... فتعجب صديقى المستر « دبليو » من كلامى واخذ يلومنى ويندب حظ انكلترة :

ـ مسكينة انكلترة ... مساكين نحن الانكليز ... كل ما نعمـــل « ما يغزر » فى العيون ... كلما احسنا أساؤا الينا ونكروا الجميل . فهـذه انكلترة عملت كذا وكذا ... وهنا اخذ يعدد الخدمات العظيمة التى اتت بها انكلترة للشعوب الشرقية كلها وللعراق خاصة !! اما انا فتركته يعدد محاسن الانكليز والخيرات التى صبوها فوق رأســـنا ولـم أعاكسه . لانه كما قلت « خوش ولد » ومخلص فى وطنيته « الاستعمارية » ويعتقد من كل قلبه ان الله عزوجل خلق انكلترة لخدمة البشر ولاسعاد الشعوب المتأخرة وترقيتهم . لاجله نراه يتألم كل التألم عندما يرى ان البشر « والشعوب المتأخرة »لايؤمنون « برسالة » الشعب الانكليزى . وبعد ان انتهى من حديثه « ونفه قلبه » قلت له :ـ يا عزيزى ، يا مستر « دبليو » هب ان كل ما قلته هو صحيح وانه لولا انكلترة لهلكت الامم التى هى الآن تحت حمايتها ! ولكن اسمح لى ان اسألك سؤالا واحدا وهو اذا قيل لكم اليوم يا انكليز انكم الآن فى بحران اقتصادى عظيم . عندكم مليونان من العمال المعطلين ... صناعتكم ضعيفة . ســـيادة

البحار ذهبت . الديون « قامة ورفعة يد » دافع الضرائب البريطاني في اسوأ حالة ... اسنانكم صارت « مطرقعة » .. ومعدتكم فيها فساد . تعالوا واقبلوا انتداب امريكا عليكم لمدة موقتة ... مثلا ٢٥ سنة فقط ... فترجع اليكم ثروتكم وقوتكم وتصبحون في خير ونعيم . وسوية الحياة عندكم ترتفع وديونكم تزول .... و .... و .... و .... فما قولكم ؟ هل تقبلون ؟

فهنا أخذ المستر « دبليو » ينظر اليّ متعجبا كأنما أمامه أحد المجانين :

تتعجب من كلامي هذا يا عزيزي المستر «دبليو» الورد ! تتعجب ؟ ولربما تقول في نفسك انني « تخته سز » وعقلي لاعب ... تتعجب لانك لا يمكنك أن تتصور انكلترة تحت انتداب امريكا ولو لدقيقة واحدة وذلك مع ان امريكا هي اليوم أقوى واغنى وارقى ماديا من انكلترة . ومع ان الامريكان هم انكلو ساكسون مثلكم ودينهم دينكم ولغتهم لغتكم وعاداتهم تقريبا كلها كعاداتكم . طبعا انت لن تقبل بانتداب امريكا ولا يوجد في بلادك كلها رجل واحد يتمكن من قبول ذلك . بل انكم كلكم تفضلون الحرية والسيادة القومية في بلادكم على الغنى والرفاه والراحة والرقي وكل شيء يمكن حصوله بفضل الإمريكان ... ولكن ما بالكم انت واخوانك الانكليز لا تفهمون عدم ارتياحنا من وجود مستعمرين في بلادنا ؟ ما بالكم تتعجبون من حبنا للحرية وللسيادة القومية وانزعاجنا من تدخلكم في أمورنا وأمور بلادنا ؟ لماذا لا ترون بأسا في بقائكم عندنا منتدبين أو مستعمرين . وانتم بعيدون عنا جدا في كل شيء ؟ لماذا تسندون الينا التعصب ونكران الجميل اذا طالبنا بحريتنا وحقوقنا التي منحتها ايانا الطبيعة ؟ لماذا يصعب عليكم ان تفقهوا اننا لنا ارواح وقلوب وأعصاب وعزة نفس وغرور قومي مثلكم ؟ فأنت يا عزيزي و ٩٠ بالماية من الانكليز المستعمرين الذين ورثوا « استعمارهم » من آبائهم وأجدادهم والذين ليس لهم منبع لمعلوماتهم سوى التايمس والديلي ميل لا يمكنكم أن تنظروا الى أبعد من منتهى أنوفكم . فأنتم

ترقصون على تصفيق اولئك « المستعمرين » السود الحقيقيين الذين يخدعونكم ويخدعون العالم كي يمتصوا دماء الشعوب الضعيفة بادعائهم ان الله خلقهم لخدمة البشر واسعاد الامم المتأخرة ... هذه هي حقيقة « الرسالة »البريطانية. فلما سمع المستر «دبليو» هذه الكلمات البسيطة « برد صوابه » وحار في أمره واقترح على ان نستبدل السياسة « بويسكي اند صوده » وهكذا كان ... !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢٨ آب ١٩٣٠ .

نغمة جـــديدة
أو
الاســـــتبداد العـادل*

[كانت جماعة الفاشيست العراقية تقيم القيامة وتقعدها على رأس المعارضين ضد الاستعمار والناقدين للمعاهدة ومن جملة مطاليبهم تشكيل حكومة قوية تحكم البلاد « بالاستبداد العادل » وغيره من العنتريات والمقصود من كل ذلك كـم الافـواه والقضاء على حرية الصحافـة المحدودة كي يبقى الميدان حرا للانكليـز وأعوانهم ..] .

يدعى بعض معجبى الفاشيزم الذين عشقوا القميص الاسـود لعـلة من العلل ان فى بلادنا فوضى سياسية مهلكة ومعارضة رجعية مضرة ودعاية سلبية مسمومة وبولشفيكية حمراء مثل الدم واشتراكية متطرفة ومائة ألف « بلـوة سوداء » . يدعون كل ذلك ويطلبون تأسيس ادارة جبارة واستبداد عادل ـ ربما من نوع استبداد الامبراطور الخليفة الحاكم بأمر الله ـ وفاشيستية غريبة فى بابها ويحركون الحكومة على البطش والكسر والشنق وكم الافواه الساخرة وخنق الحرية حتى تزول تلك الفوضى ويتخلص الوطن العزيز من شـر التمرد والمعارضة ويصبح الشعب قويا مثل الفولاذ وغنيا مثل روكفلر . وهكذا تتشكل نواة الامبراطورية العربية بفضل الفاشيزم من جهة وبمساعدة الانكليز من جهة أخرى ! والذى يسمع بهذه النغمات اللذيذة وهو يجهل حقيقة الامر يقول فى نفسه الله يبارك فيكم يا فاشست ! كلامكم هذا در وجواهر ... ومنهاجكم هو « ملح للجرح » و « للدوخة دوا » . ولكن باطن القضية هو غير ظاهرها ... ويا للأسف !

اولا : ليس فى بلادنا فوضى سياسية وليس هنالك اختلاف كبير اساسى

بين الاحـــزاب السياسية وليس عنـــدنا طبقات اجتماعية متباينة . وعليـــه فلا يمكن ان يكون عندنا معارضة رجعية او فوضى مضرة او بولشفكية او ادنى شيء يستلزم الادارة الجبارة والاستبداد العادل .

ثانيا : العراقيون كلهم متحدون فى مبادئهم الاساسية وهى : الاستقلال التام ، والسعى الى الوحدة العربية . فالاختلاف هو فى انتخاب الطرق المؤدية الى الغاية القصوى وفى حقيقة الحال ان المخلصين كلهم معارضون للاستعمار ولمروجيه غير ان منهم من يعارض متجاهـــرا وصارخا ومنهـــم من يلبس « المعارضة » ثوبا من المجاملة ويسلك طريق الاعتدال .

ثالثا : المعارضة المتجاهرة فى الظاهر هى موجهة الى الحكومات العراقية وهذا شيء طبيعى اذ ان الحكم فى الظاهر هو فى ايدى تلك الحكومات ولكن سهام المعارضة لا تقصد الاهدفا واحدا وهو الاستعمار .

رابعا : لقد كتب على الحكومات العراقية كلها ان تحكم وهى فى معصرة ذات جدارين : من جهة مطالب الشعب ومن جهة أخري ارادة الانكليز . فهذا موقع حرج جدا وصفه لنا فقيد الوطن السعدون بهذه الكلمـــات : « الامة تريد الخدمة والانكليز لا يوافقون » .

وهذه الحالة ستبقى كما هى طالما للانكليز ارادة عالية وكلمة مسموعة فى بلادنا . فاذا عارض المعارضون هذا الوضع الشاذ المؤلم فعملهم هذا لا يعد عداء ونقمة على الحكومة بل بعكس ذلك .

فالآن ماذا يريد دعاة الحكم المستبد ؟ — يريدون ان يهدموا جبهة واحدة فى تلك المعصرة كى تتنفه الحكومة . وبما ان الجبهة الانكليزية هى قوية جدا فلم يبق لديهم الا هدم الجبهة الوطنية المعارضة للانكليز . ماذا يحصل اذا زالت المعارضة ؟

فالجواب هنا سهل جدا : اذا زالت المعارضة يبقى المسرح خاليا أمـام الانكليز الاقوياء والحكومات العراقية مهما كان اخلاصها وجرأتهـا تكون حينئذٍ آلة ضعيفة يستعملها الاستعمار كما يشاء . يجب ان لا ننسى ان فى وضعنا الغريب تأسيس ادارة مستبدة يعنى خلق حكومة ضعيفة خاضعة كل الخضوع للانكليز ، مثال ذلك حكومة الداماد فريد باشا المستبدة وحكومـة محمد محمود المستبدة ، والحكومة المصرية الحالية المستبدة ... هذا يرينـا ان الاستبداد مع وجود النفوذ الاجنبى هو ضعف واستسلام لان الحكومات المستبدة فى هذه الحالات لا يمكنها ان تسلك غير طريق المجاملة الترابية ولا يمكنها ان تقف أمام الاجنبى القوى بغير لباس « الصديق الصغير المطيع » . اننا لا ننكر فائدة « الحكم المستبد العادل » فى بعض الحالات الاستثنائية غير ان هذه الفائدة لايمكن حصولها فى بلاد كبلادنا حيث الغرباء هم اولو الامر . فالذى نحتاج اليه كل الاحتياج الآن هو ليس الاستبداد كما يزعم اولئـك الفاشيستيون بل هى الحرية المعتدلة التى تسمح لكل فرد من افراد الشعب ان يشترك فى مكافحة الاستعمار حسب مقدرته وبالطريقة التى ينتخبهـا . وهنا يجب على دعاة الحكم المستبد ان لا ينسوا بان الاذواق والطباع والامزجة عند البشر متباينة ومختلفة وليس من المنطق فى شىء أن يطلب الفاشيستيون ان نمشى وراءهم ونسلك طريقهم من غير قيد وشرط وان يهددوا العالم بالقتـل والشنق اذا أبى العالم أن يتبعهم . فالفاشيستيون يسبّحون ليلا ونهارا بمزايا الانكليز ويبنون كل آمالهم ـ حتى الامبراطورية العربية ـ على صـداقة بريطانيا العظمى . فاننا لا نريد هنا ان نلومهم على اجتهادهم السياسى ولكننا نطلب منهم ان يحترموا آراء من يخالف سياستهم وان لا يهددوا «بالمشانق»

من يعارض الاستعمار ومن لا يؤمن بسخاء بريطانيا الفياض ومن لا يتهافت على تقبيل ايديها ! « الفاشست » يفضلون الحكم المستبد حتى يسهل عليهم نيل ما يبتغون و « الآنتي فاشيست » أي المعارضون لهذا المبدأ يفضلون الحرية حتى يتمكنوا ان يسمعوا العالم صوت شعبهم المظلوم الــذى يئن تحت اثقــال الاستعمار .

وفي الاخير اقول ان المسألة مسألة ذوق . والاذواق فيها ما هو غريب وعجيب .

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٩ ايلول ١٩٣٠ .

نفط العراق ومستقبل العرب*

[كان لنفط العراق وأنابيبه والسكة الحديدية المنوى تمديدها بين حيفا وبغداد أكبر الاثر فى السياسة العراقية والعربية وقد اهتمت الحكومات والاحزاب والصحف والرأى العام كل الاهتمام بما قد يحصل من تلك المشاريع الاستعمارية الخطرة ..].

غاية العرب المقدسة هى « الوحدة العربية » والطريق المؤدى اليها هو طريق العرب المستقيم . فاذا اتبعناه وسرنا فيه غير خائفين ولا مبالين فسنصل الى الهدف الاخير ونتخلص من قيود الاستعمار وننفض من علينا غبار الذل فنكون أقوياء أحرارا كآبائنا وأجدادنا . ويكون لنا موقع شريف تحت الشمس وصوت عال بين اصوات الشعوب الاخرى ....

لا شك فى ان امامنا فى هذه القضية مشاكل جمة ومصاعب عظيمة ولكن همة الرجال تقلع الجبال . والايمان الذى فى الصدور يهد الحصون ويدك الصخور ويجرف الموانع التى تقام أمامه كما تجرف السيول ما يصادفها ...

كلنا نعرف جيدا بان نفوذ الاجانب فى بعض الاقطار العربية هو اكبر مانع لاتحاد العرب وتقاربهم من بعضهم . كلما رسخت اقدام الغرباء فى بلاد العرب ازداد ضعف العرب وتشتتهم . وكل شيء يشيده الاستعمار عندهم ما هو الا حصن جديد يرتفع ضد الوحدة العربية . فالآن لدينا قضية نفط العراق وسكته الحديدية وانابيبه ... لسنا ننكر الاهمية الاقتصادية لهذا المشروع الذى يمكن ان يأتى بخير كثير للعراق خاصة وللاقطار المجاورة له عامة . ولكن بما ان السكة النفطية ستكون ادارتها ومحافظتها بين ايدى الاجانب فيمكن ان يولد ذلك المشروع خطرا كبيرا على مستقبل العراق بل على مستقبل العرب اجمعين .... فما العمل ؟ ـ لا يتمكن العرب ان يقفوا اليوم ضد السياسة النفطية ، أى ضد انكلترا وفرنسا وامريكا وغيرها من أصحاب امتيازات النفط العراقى . ولكنهم يمكنهم على الاقل أن يعينوا موقع

تلك السكة النفطية وينتخبوا ـ وهم أهل البلاد وأصحاب النفط الحقيقيون ـ في هذه المسألة الهامة أهون الشرور •

وأهون الشرور ـ نظرا الى القضية العربية العامة ـ هو تمديد الخط من شمال العراق الى شمال سوريا ولكن مع الاسف تقتضى السياسة البريطانية بأن يمتد الخط الحديدى من جنوب العراق الى فلسطين • وهنا الطامة الكبرى • وهنا هو اعظم الشرور واشدها فتكا فى القضية العربية العامة •

اولا : اذا امتدت السكة النفطية فى الجنوب واتصلت مصر وفلسطين بالعراق الجنوبى والخليج العربى فسيكون لانكلترا خط جديد للمواصلة البريطانية لا يقل خطورة عن قنال السويس ولذا سيهتم الانكليز بذلك الطريق الجديد اهتماما عظيما ، وسنرى المخافر ترتفع من جانبيه والطيارات تطير فوقه والقطارات المدرعة تقطع الصحراء ذهابا وايابا ••• وما يعنى كل ذلك ؟ ـ يعنى ذلك ان بريطانيا ستتحصن فى قلب البلاد العربية وسوف لن تقوم قيامة للعرب ••••

ثانيا : اذا درسنا التاريخ القديم والتاريخ الحديث رأينا مع استغراب واعجاب ان بالرغم من الانقلابات العظيمة لم يتمكن الغرباء من ان يستولوا يوما على جزيرة العرب •

وأقدر أن أقول ان حكم الخلفاء العثمانيين نفسه لم يكن الا سلطة اسمية ذات حدود معينة ومعلومة • فان جزيرة العرب بقيت مصونة من الاستيلاء الاجنبى مع ان الجيوش المنتصرة كانت تمر شمالها من الشرق الى الغرب مرة ومن الغرب الى الشرق مرة أخرى • فالذى خلّص جزيرة العرب من استيلاء الاجانب هو عدم وجود طرق المواصلات داخل الصحراء التى كانت ولم تزل امتن الحصن • فاذا امتدت السكة النفطية فى الجنوب وقطعت او مرت بجانب تلك الصحراء فماذا يكون ؟ ـ اترك هنا الجواب لزعماء العرب •

ثالثا : جزيرة العرب محاطة من ثلاث جهات ببحار كلها تحت نفوذ

الاجانب فلا يبقى لها اذا الا منفذ واحد وهو الشمال • فاذا امتد الخط الحديدى الاجنبى هناك وانسد ذلك الباب الوحيد اصبحت محبوسة من كل الجهات • وهذه الملاحظات نفسها تنطبق على المناطق الشمالية اعنى العراق وسوريا اذ ان الخط الجنوبى سيفصلهما عن الجزيرة وهى منبع القوة العربية الوحيد •

سيفصل العرب الاقوياء المستقلين عن العرب الضعفاء المنتدب عليهم • وهكذا يقوى المستعمرون اقدامهم وبدلا من ان يتخلص المحكومون من بلاء الانتداب سيمتد نفوذ الاجانب وينتشر الى الجنوب اى الى تلك الاقطار التى لم يتمكن أحد من أبطال العالم الاجنبى أن يحكمها حتى الآن •

خامسا : ان فصل البلاد العربية بعضها عن بعض بسكة حديدية اجنبية هو ضربة قاضية على الوحدة العربية • لانه اذا مصت الانابيب نفط العراق فالقطارات ستحمل الاسلحة والذخائر الحربية • وفوق ذلك ستبث سموم التفرقة والشقاق يمينا وشمالا وتقتل بذرة الوحدة المقدسة قبل ان تنبت •••

ربما يجدنى البعض متشائما وخائفا اكثر من اللزوم فعلى اولئك البعض ان يدرسوا وسائط الاستعمار العصرية • وعليهم ايضا ان يتذكروا قضية السكة الحديدية التى أراد انشاءها الانكليز والطليان فى بلاد الاحباش ••• تلك المؤامرة التى لولا تدخل بعض الدول وعصبة الامم لكان حل البلاء على رأس البلاد الحبشية •••

على كل حال يجب علينا نحن ان لا ننتظر خيرا من عصبة الامم ولا من أية دولة غربية ، اذ ان التجارب علمتنا ان من لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم • فعلينا اذا ان ننتبه وان نرفض نظرية الخط الجنوبى رفضا باتا وان نكتفى بالخط الشمالى وخيراته أية كانت • ان فى هذه القضية حياة وممات • فيجب على العرب كلهم ان يدرسوها قبل الفوات • والا فما نفع البكاء حيث لا ينفع الندم ••

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٠ ايلول ١٩٣٠ •

أبيض وأســود*

[قضية علاقة البيض بالسود قضية قائمة منذ أن خلق الله الالوان .. غير ان الاستعمار الغربى أساء وتجاوز حـدود الاساءة بتصرفاته وظلمه ووحشيته فـى افريقيا بشكل تشمئز منه النفس وذلك باعتـــراف المبشرين وبعض ذوى الضمير من المستعمرين ..] .

كان الزنوج من قبل ان يكتب الله عليهم ان يتعرفوا بالاوربيين ، عائشين فى راحة بال ولذة طبيعية تماما كالحيوانات : أكل وشرب وتناسل ونوم .... لا شغل ولا عمل ولا ربح ولا خسارة ولا هم ولا غم ... ولا نيـابة ولا استقلال ولا بولشفيكية ولا فاشستية !

فهذه الحالة جلبت أنظار الاوربيين « فحنت قلوبهم على الزنوج وقرروا بأسم الدين وبأسم الحضارة الاوربية ان يخلصوا افريقيا من الضلال والجحيم والهمجية ... وهكذا « وقع الفاس على رأس مرداس » .

قبل الكل اتى الاسبان والبرتغال وساقوا اسرابا عديدة من زنـــوج افريقيا ليشغلوهم فى امريكا ويعلموهم ! واولئك الزنوج لم يكونوا عبيـدا ـ حاشا ثم حاشا ـ لان الرق غير مسموح فى اوربا ! ولاجله بقوا « أحرارا » يشتغلون ليلا ونهارا وهم فى حالة أتعس من حالة « حمير الطمة » . اولئـك الزنوج هم اجداد العبيد الذين نراهم فى امريكا الآن يتمتعون « بالحـــرية » والذين يصلبهم البيض او يعلقونهم من ارجلهم فوق الاشجار ويحرقونهم احيانا اذا ما حقر احدهم امرأة بيضاء ! فعليكم ان تتصوروا كيف كانت الحرية قبل ٣٠٠ او ٤٠٠ سنة !

ثم اتى دور الاستعمار الحقيقى وتسابق الاوربيون كما يتسابق العميان عند الاكل ، وتقاسموا افريقيا فيما بينهم . وابتدأ « التمدين » ... ذلــك التمدين الذى لم يزل قائما الى يومنا هذا والذى سيبقى الى يوم يوعدون !

أما اخص عوامل التمدين في افريقيا فهي اثنان : المبشرون والشركات. فالاولون يشتغلون بالتمدين الاخروى والباقون يرتبون مسألة التمـــدين الدنيوى ... ولنترك مسألة الدين لانى « حالف يمين » على أن لا أدخل في أمثال هذه المواضيع ... ولندرس مسألة الدنيا حتى نرى درجة حنو الابيض على أخيه الاسود ...

اذا كان المبشرون بمثابة « الكشافة » في جيش الاستعمار فالشـركات الاقتصادية هي بمثابة « اركان حرب » وعليه فالامر والنهي والحياة والممـات وكل شيء هو في يدها .

اننا هنا لا يمكننا أن نعدد « الخيرات » التي أتت بها تلك الشركات فـي افريقيا اذ يقتضى لذلك عدة مجلدات وعليه سنكتفى بتبيان صفحة واحدة وهي قضية الاشغال الاجبارية . بموجب النظام الذى سنته الشركات ليس للزنجي حق الاستراحة او حق الكسل كما لغيره من المخلوقات . فهو ان اراد او لم يرد ، يجب عليه ان يشتغل في خدمة الشركات وتحت مراقبتها كالحمـير والبغال .... والفرق بين الاثنين هو ان الحمير والبغال تشتغل مقابل العلف بينما الزنوج يشتغلون مقابل لا شيء .

الا ان بعض الشركات المتمدنة تدفع مبلغا زهيدا مقابل تلك الاشـغال الشاقة غير ان الدراهم التي تخرج من صندوقها اليوم تعود اليه في الغـد . ولنأت بمثال واحد حتى نفهم الامر بصورة واضحة :

في الاقطار التي فيها شجر الكاوتشـوك يجب على كل زنجي ان يأتي بمقدار من الكيلوات الى مخازن الشركة . والذى يخالف هذا الامــر «يأكلها حدره وبسط .. دگ» ويلعنون أمه ويشعلون أباه ويكملون حسنات حسناته .... واذا كانت الشركة من الشركات الجيدة تدفع مثلا على كل مائة كيلو مائة فرنك فرنساوى اى عشر ربيات .... وخلف الله عليهـا ! ولكن اذا اتى الزنجي الخائب بـ ٩٩ كيلو بدلا من المائة فالعشر ربيات كلهـا

تروح منه ! ومعنى ذلك انه اشتغل شهرا وجمع كل ذلك الكاوتشوك «بلاش»
أما الشاطر الذى يسلم مائة كيلو فيقبض فى آخر الشهر مائة فرنك • وبما
انه ليس فى افريقيا اوتيلات ولا غازينوات وبما ان العيشة هى بسيطة والارزاق
موجودة فى البيت ، يحتار الزنجي بهذه الدراهم ، فيذهب ويشتري بها
« جن » او « ويسكى » او خمرا ويسكر ! وهذه المسكرات موجودة ايضا
عند الشركة نفسها • وعليه كما قلنا ترجع الدراهم كلها الى جيب الشركة
أما بواسطة الجزاء النقدى واما بواسطة المسكرات ! وهكذا يطلع الكاوتشوك
« بلاش » والزنجى « يتمدن » وسوق المسكرات تروج وتتزايد الامراض
السارية والفسق والفساد على شرف المدنية الاوربية الشائقة ! هذا واحد
من ألف ، وقطرة من بحر • وفى عصبة الامم المحترمة يوجد لجنة شغلها
الوحيد الدفاع عن الزنوج وهى تعلم بكل شيء وتسمع وترى كل شيء ولكن
« اكر درويش اكر حنفيش باره ايله بيتر هرايش »[1] وأحمدوا ربكم الذى
خلقكم فى العراق وليس فى افريقيا •

---

(١) مثال تركى معناه الدرويش والحنفيش يتساويان أمام الدراهم •

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٥ تشرين الاول ١٩٣٠ •

برلين ـ بغداد
أو
بغـــداد ـ حيفـــا*

[كتبت أكثر من مرة منتقدا مشروع سكةحديد حيفاـ بغداد الامر الذى أغضب الحكومة العراقية والملك فيصل شخصيا . اذ عنـــدما أتى الملك الى « بـــرن » طلب بواسطة رئيس التشريفات حضـورى الى بـــرن . فلمـــا وصلت أخذنى رئيس التشريفات رأسا الى شقته وكان واقفا فى الصالون . فاستقبلنى قائلا : انى أرحب بك كموسى الشابندر ولكن أريد أن ألوي أذنك كعلوان أبو شرارة بسبب ما كتبته حول مشروع سكة حديد حيفا ـ بغداد . ثم أمرنى بالجلوس وألقى علي محاضـــرة طويلة عريضة حول فوائـد ومزايا الخط وبعد كلام استمر أكثر من نصف ســاعة ســـألنى : ـ والآن هل اقتنعت بفوائـد الخط ؟ ـ وكان جوابى بالنفى ...] .

قامت قيامة الانكليز وغيرهم من المستعمرين عندما حصل الالمان قبيـل الحرب على امتياز خط « برلين ـ بغداد » . فالدعايات اخذت اذ ذاك ضد ذلك المشروع واعلنت الصحف البريطانية بانه اذا كمل الخط المذكور فستكون البلاد العثمانية كلها عبارة عن مستعمرة ويصبح العراق مخـــزنا للذخائر ومسرحا للاستعمار الالمانى . واحترق قلب الانكليز ونادوا وصرخوا وضربوا على رؤوسهم ودقوا على صدورهم ولم يسكتوا الا من بعد ان تنازلت لهـم المانيا عن خط بغداد ـ البصرة ومنحتهم الحكومة العثمانية امتياز نفط العـراق ذلك الامتياز المشؤوم ...

ان ما قاله الانكليز فى ذلك الحين كله صدق وصواب وخطر الاستعمار

الالمانى كان من الامور المحققة وذلك مع ان المانيا كانت بعيدة عنا ولم يكن لها أى نفوذ سياسى علينا ولم يربطها بنا لا انتداب ولا تحالف ولا معاهدات .. غير ان الانكليز يعرفون جيدا أهمية الخطوط الحديدية وعليه فلم يكن صراخهم وعويلهم اذ ذاك من غير داع . ان الخطوط الحديدية هى أقوى سلاح للمستعمرين واذا اضفنا على ذلك التحالف والمعاهدات فتكون الشغلة كاملة لا ينقصها شيء . فالروس مثلا حكموا المغول وسبيريا بعد أن أكملوا سكة حديد « ترانس سبيريا » . الافرنسيون تسلطوا على افريقيا الغربية بفضل خط داكار ـ نيجر ، كما يتسلط العنكبوت على الذباب ولم تكن غاية عبد الحميد من تمديد الخط الحجازى الا لتثبيت دعامة حكمه على الحجاز .

وعندنا امثلة عديدة فى هذا الباب ولا حاجة الى ذكرها كلها ...

فالآن وقد أصبح أمر السكة النفطية بغداد ـ حيفا من المحققات فماذا يجب أن نقول ؟ وما هو قول الانكليز ؟

الانكليز وجرائدهم ومستشاروهم يقولون انه اذا كمل الخط المذكور سيقوي العراق ويغتني وسيكون كجنة عدن فيها انهر من عسل وشراب مصفى وفيها من كل الخيرات ومن كل الثمار اليانعة ... هكذا يقول الانكليز وأعوانهم .. غير اننا لا نؤمن بهذه المواعيد الخلابة التى سمعنا بمثلها من قبل الثورة ومن بعدها ولم يتحقق عُشر من أعشارها حتى الآن . ولاجله اننا لا يمكنا أن نقول ما يقوله الانكليز اليوم بل نفضل أن نكرر ما قالوه قبل الحرب حول خط برلين ـ بغداد فاذا كان الخط «انكليزيا » خالصا ستكون البلاد العربية مسرحا للاستعمار ويصبح العراق مخزنا للذخائر والنفط لا أكثر ولا أقل ...

وبما ان الفرنسيين سيمدون خطا آخر ينتهى فى طرابلس الشام فستزول المزاحمة وتتم المقاسمة بين انكلترة وفرنسا وهكذا ينال المستعمرون غايتهم ونحن نبقي نشكرهم علي ما تجود به أيديهم علينا من خالص مالنا !

وأمام هذه المرارات التى تعـــذب القلب وتمزق الاحشاء يتسلى بعض الناس عندنا بالمنفعة الاقتصادية التى ستحصل من السكة النفطية جاهلين بـأن تلك (المنفعة) ستكون من فصيلة (المنافع) التى حصلناها من امتياز النفط أو امتياز اصفر واللطيفية الخ .. كيف نستفيد من السكة وهى ملك غـيرنا وادارتها ليست فى أيدينا ؟ ... كيف تتحسن الحالة الاقتصادية من وجـود تلك السكة اذا بقيت دائرة الكمارك ـ وهى المفتاح ـ تحت نفوذ غيرنا ؟ ... كيف ترتقى التجـارة والزراعة اذا بقيت المواصـلات ، والمرافق الماليـة والاقتصادية بين أيدى الانكليز ؟ لماذا نخدع أنفسنا ونبنى قصورا فى الفضاء ؟

نعم ان السكك الحديدية والمشاريع العصرية الاخرى كلها مفيدة وحسنة اذا كان خيرها يعود الينا واذا كانت مُلكنا حقا ، وادارتها فى أيدينا . والا فهى مضرة وهى قتالة وفتاكة أكثر مما يمكن أن نتصور . ان الذى يعتقد بأن قصد الانكليز من تمديد خط حيفا ـ بغداد هو ترقية الحالة الاقتصادية العراقية لهو فى ضلال مبين . ونظرة واحدة الى تعرفة الكمارك وميزانية الحكومة ترينـا بكل وضوح باطن السياسة المالية التى يتبعها المستعمرون على اختلاف أجناسهم وهى السياسة التى سُميت بسياسة التفقـــير المتدهورة الى حفـرة الهـلاك الاقتصادى ولو كانت الغاية هى اقتصادية محضة فلماذا يصر على تمديد خط بغداد ـ حيفا مع ان الخط الشمالى هو أقصر وأحسن من عدة وجوه ؟

الخط الشمالى ما عدا انه لا يمزق البلاد العربية كأخيه الخط الجنـوبى فهو يكون مشتركا بين أصحاب النفط وتكون له صبغة دولية والمحافظـة عليه تكون أهون وأسهل . واذا تحققت كل هذه الحسنات فلماذا لا يقبل به الانكليز ؟ ذلك لان غاية الانكليز ليست غاية العراق . ومصلحتهم هى غير مصلحة العرب . وبعد كل هذا كيف يمكن أن نفرح ونطرب ونرقص لمجرد تمديد خط بغداد ـ حيفا ؟

يمكن أن يكون لدينا سكك حديدية ومواصلات جوية وموانىء بحرية

بديعة ومشاريع عظيمة زراعية ونفطية وزفتية وغير ذلك من الامور المفيـدة ولكن كل ذلك لا يمنعنا من أن نموت جوعا ونهلك فقرا اذا بقينا تحت رحمة المستعمرين • ليت شعري متى نتعلم فنتنبه لكل خداع ؟ • ألم يكن لدينـا – ولم يزل حتى الآن – جميع ظواهر الاستقلال التام من وزراء ومجالس تشريعية وجيش الخ ••• ونحن غير مستقلين ، ونحن محكومين ؟ الاستقلال الاقتصادى هو كالاستقلال السياسى ، يمكن أن يكون كاذبا خداعا ، وقد ذقنا مرارة (استقلالنا) السياسى وانكوت ألسنتنا فمالنا نركض وراء الاستقلال الاقتصادى الكاذب الذي سيكون بلا شك أشد مرارة وأمرُّ طعما ؟

يجب علينا هنا أن نفكر فى الامر أكثر من مرة وأن لا نسلم مستقبلنـا وحياتنا من غير قيد وشرط ! يجب أن ندرس قضية خط بغداد – حيفا درسا عميقا ونفكر فى جهة حق ملكيته وادارته وحصة العراق فى رأس مالـه فالبلاد بلادنا والنفط نفطنا والمستقبل مستقبل أبنائنا وأحفادنا • فأقل تساهل او تغافل من قبلنا سيحسبه التاريخ جناية على أوطاننا • وأدنى غلطة نغلطها اليوم فى هذه القضية ستكون حملا ثقيلا على أكتاف الاجيال المقبلة • فلنتنبه !

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١١ تشرين الاول ١٩٣٠ •

سوالف وقلاقيل مكسرة

[مر العراق أيام الحكم المزدوج بدور سخيف ملؤه الالقـاب الفارغة والمديح الزائف وكانت هناك جماعـــة لا تكتفى بنصيبها من هذه المظاهر بل كانت تطلب المزيـــد] ٠

الذى يقرأ المخابرات الرسمية و (النيم رسمية) والذى يطالع الجرائـد العراقية يظن ان الشعب العراقى طامس فى « بور وكراسية »[1] العصر الثامن عشـر !

ألقاب ضخمة ٠٠ تعظيمات طـــويلة عريضة ٠٠٠ مبالغات باردة ٠٠٠ تبصبصات قامة ورفعة يد ٠٠ كل هذا ونحن فى عصر العشرين ، ونحـن ما شاء الله دمقراطيون ، كل هذا ونحن مقلدون للغربيين فى كل أمورنا ولكـن عرب وين طنبورة وين ! لا يوجد الآن بلد فى أوربا مملوءة بالالقاب مثـل بغدادنا العزيزة ست البلاد ٠٠٠ بطوننا جوعانة وأيدينا خالية ! جيوبنا تقـرأ يا ليلى ولكن سماءنا وأرضنـا مملوءة من الكلمـــات الفارغة ٠ فى أوربـا وفى أمريكا وفى كل بلاد الارض « المتدمقرطة » يذكرون عظـــام الناس بأسمائهم ومن غير علاوات فيقال مثلا : الرئيس « هوفر » والبره زيـــدان « هينديبورغ » و المستر ماكدونالد والسـينيور موسولينى والجنـــرال « بريمودي رفيرا » والرفيق ستالين الخ ٠٠٠ ولكن عندنا لا يذكـر اسم أحد الرجال اذا لم يكن مقرونا بلقب ثخين وبصفة سمينة : صاحب الفخامة٠٠ صاحب المعالى (الحالى والسابق والاســبق) صاحب السماحة ٠٠٠ صاحب العطوفة ٠٠ صاحب السعادة ٠٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠٠٠ من « الصحابات » التـــى تجعلنا فى نظر العالم « كور ممشية » تماما ٠

---

(١) أو كما يطلق عليها اليوم البيروقراطية ــ أى حكم الاقلية المستبدة٠

عندنا المتصرفون كلهم « الاداري الحازم » ولا يوجد لدينا قائممقام ان لم يكن الاداري القدير ولا مدير ناحية ان لم يكن الاداري المجد . والمعلمون في العراق من كبيرهم الى صغيرهم « ذو السماحة » أو « ذو العطوفة » . معاونو الشرطة وكل من ينتسب الى الشرطة باسل وشجاع . المدرسون كلهم « الاستاذ القدير » . المحامون كلهم « القانوني البارع » السفراء كلهم « امرؤ القيس » . الكتّاب كلهم « الكاتب المبدع » و « الناقد المقتدر » الدنبكچية كلهم « المغني الشهير » وبنات التياترو ـ أجلّك الله كلهن « الممثلة الشهيرة » فما كل هذا الخلط ؟ما كل هذه الترهات ؟ وهل يجوز علينا أن نطلع المسألة وهكذا من باب آخر ؟

خوفي من أن ينتشر هذا المرض ـ مرض الالقاب ـ أكثر مما هو عليه الآن فنكون مسخرة للعالم .. خوفي من أن أرى يوما عندنا عبارات كهذه :

صاحب السرعة والشطارة الشوفور الفلاني . صاحب الموس الكسكين الحلاق القدير ... زعيم الجادة الكناس النظيف ... وغيره وغيره من المكسرات وأنتم يا أصحاب الالقاب لا تزعلوا على الداعي لاني ما أقصد الا خيركم ولا أريد الا أن أدافع عن سمعة بلادنا ... وبما ان الزائد كالناقص لا تسمحوا للجهلة والمنافقين أن يخدعوكم ويتملقوا لديكم بتسبيح ألقابكم ... وأنتم يا شبيبة العراق ابتعدوا عن استعمال الالقاب الفارغة والتعظيمات الباردة التي ان هي الا وصمة لقلة الذوق يسعى الآن أن يتخلص منها الشرق الناهض . فلنسم الاشخاص بأسمائهم ولنحترم الاعمال المفيدة والاخلاق الكريمة فقط ولنترك الدناديش والكراكيش مع سائر المودات القديمة الى السخفاء .

---

* نشرتها جريدة الزمان في ٨ أيلول ١٩٣٠ .

فـــوائد الانتـــداب*

[لا نلوم الانكليـز وبعض الاوروبيين اذا ما كالوا المديح الى الانتداب بدافـع المنفعة وخدمة للاستعمار ولكن مع الاسف كان هنـــالك جمـــاعة من الفاشستيين المتحمسين فى العـراق يمجدون ، نفاقا ، « التحالف المقدس » ابن الاستعمار البار . وهذه كلمة تريك زيف ذلك التمجيد] .

لا تعجبوا ! ...

ان لكل شيء موجود على وجه الارض فوائد . يقال انه حتى الخنافس والزنابير والافاعى والعقارب وغـــيرها من الحشرات والحيوانات اللادغـــة القتالة لها فوائد .

غير انني ولله الحمد حتى الآن لم أجرب فوائد هذه الحشرات وعليـه فلا يمكنني أن أحلف يمينا للتوكيد فى هذه القضية .

أما الانتداب فمحاسنه ومزاياه بارزة وظاهرة يراها كل أحد ولا ينكر وجودها الا المنكرون ... لا تقولوا فى قلوبكم : « هذا علوان أبو شرارة هم طلع فاشوشي » .

دعوني أتكلم ثم احكموا !

من بعد الحرب الكبرى رزق الله الاستعمار ولدا سموه « الانتداب » .. ومنذ ولد هذا (الابن المحبوب) الى يومنا هذا سمعنا ألف مرة ومرة بمزاياه ومنافعـــه !

فى لندن ، فى باريس ، فى جنيف فى كل مناسبة ومن غير مناســـبة رأينا أبطال الاستعمار يقومون ويقعدون يعددون لنا فوائد الانتداب من تمدين وتحضير وتدريب وارشاد واسعاد واغناء واثراء ورفاه واستقلال تام الخ ...

وفى بغداد « ست البلاد » رأينا أيضا بعض الاخوان الاذكياء المنورين الذين يعتبرون انفسهم رؤساء والآخرين أذنابا ـ ولا ينكرون المثـل القائل

ان الاسماك تجيف من رؤوسها ـ يقلدون رجال لندن وباريس وجنيف ولكنهم لسبب من الاسباب لا يمدحون نفس الانتداب ولا آباء الاستعمار بل يرقصون طربا أمام « التحالف المقدس » الذى هو ابن الانتداب وقد ولد فى ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ •• وبعض « المغرضين المهوسين » يكفرون ويقولون ان التحالف المقدس هو : الاستعمار وابن الاستعمار والاستعمار جده ولا خير فى قط انحدر من هر •• ولكن هذا ما لا يخصنا فلنرجع الى روح المسألة • وروح المسألة هو شرح الفوائد التى تختفى بين طيات الانتداب •

قبل كل شيء اقول : ان الجماعة فى لندن وباريس وجنيف ، والاخوان فى بغداد لم يعطو الانتداب حقه تماما • وكثير من المزايا والفوائد بقيت فى زاوية النسيان ••• وهذا فى نظرنا وفى نظر أهل المروءة والانصاف ظلم وتعدٍ و « نانكور لغيه » •• وعليه فانى أريد الآن ان اكمل هذا النقص وابين فوائد الانتداب التى فاتت على الاخوان الاذكياء •••

١ ـ كنا نظن من قبل ان الانكليز نازلون من السموات : لا احد منهم يكذب او يسرق او يخدع او يعتدى او ينافق او ينكث العهود او يفرهد أو يضرب الصداقة باليمني او يأكل الجمل مع الحداجة او يهرب الآثار القديمة •• والآن بفضل الانتداب تبين أننا كنا فى ضلال مبين •

٢ ـ كان الناس من قبل يعتقدون ان الضدين لا يجتمعان • فلا تجتمع مثلا البزونة بالجريدى • فاتى الانتداب ووضع هذه النظرية فى البئر أما رأينا كيف اجتمع وامتزج الوزير بالمستشار ؟ ••• راح يوم وجاء يوم فصار الوزير يدافع دفاع المستميت فى وسط المجلس عن ذلك المستشار ويقال انه لولا خلاف فى الدين لكانت قد حصلت بينهما قرابة ونسابة ! أما رأينا كيف اجتمع الاستقلال التام والاحتلال التام والايجار التام وكل ما هو ناقص وتمام فى بيت واحد ؟!

أما رأينا السيادة القومية والاستعمار كعاشقين يسرحان ويمرحان

يدا في يد وخدا على خد ؟.. اما رأينا الحق والظلم متعانقين ، وعزة النفس والذل متجاذبين والظالم والمظلوم والذين يعملون والذين لا يعملون متحابين متساوين ؟!

فكل هذه العجائب حصلت بفضل الانتداب ، فما اكبر ذلك الفضل !

٣ ـ فى كل العالم وعند جميع الاقوام نري الفاشستية ـ مثلا مبنية على الغلو والتطرف فى الوطنية ، وعلى المصارعة القتالة مع الغرباء ، وكل من يتساهل معهم ، انظروا الى أيطاليا ، انظروا الى المانيا ، انظروا الى جميع الممالك التى ليس فيها انتداب ترون صحة ما أقول . ولكن الفاشيستية عندنا خرقت العادة ومزقتها وبنت نفسها على حراسة طريق الامبراطورية البريطانية والدفاع عن مصالح انكلترا وسلمت نفسها بمعاهدات لو رآها الفاشيست فى البلدان الاخرى لاصابهم خبال وجنون !.. ولكن الفاشيستية عندنا كلهم « عقال » و « مبتكرون » وليس فى دماغهم أقل خلل .. سبحانك يا انتداب ...

٤ ـ الانتداب مدرسة لتدريب الرجال العراقين على الادارة والصبر وتحمل ما لا يطاق حمله وعلى الاستقالة وشق الهدوم والركض فى الجادة او على الانتحار ، وبفضل هذه المدرسة سنرى يوما الكثيرين من رجالنا لهم جلود كجلود الفيل ، ولهم حوصلات اوسع من حوصلة البعير ، ولهم صبر اطول من صبر ايوب .. واذا كان النبى ايوب يطعم الدود من لحمه وهو حامد شاكر فسيأتى يوم نرى فيه رجالا يمتص دود الاستعمار دماء قلوبهم وهم ساكتون جامدون .

فهذه القوة الاخلاقية من اين اتت لنا ؟

طبعا من الانتداب . فشكرا لك يا ابا التحالف المقدس !

٥ ـ الصيت والشهرة من الذ الاشياء ، ولبلادنا العزيزة فى الخارج صيت

وشهرة على أربعة وعشرين حباية. وتقريبا كل العالم يعتقد بأن الانكليز خدام عندنا نستخدمهم لاجل الدفاع واستثمار النفط .. كل العالـــم يظن أن أيدينا وأرجلنا وحتى رؤوسنا طامسة فى الدهن وذلك « بساية الحلفاء وبساية النفط » كل العالم يقول اننا بفضل سكة بغداد ـ حيفـا سنشترى نصف الدنيا ! مساكين لو يدرون « اشلون جويريد ضاربنا من الاول الى التالى » !!

ولكن « خذوا گرفة » والانتداب ساتر علينا ! جزاك الله خيرا يا ابن الاستعمار اضيفوا الى هذه الفوائد البارزة المزايا والمحاسن التى ذكرها الاخوان فى حق « التحالف المقدس » مثل تأسيس امبراطورية عربية تكون (خراعة مال خضرة) فى حقل الاستعمار الواسع وغيره وغيره ... ثم اضيفوا على كل ذلك « الخدمات الانتدابية » التى شرحها لنا ابطال عصبة الامم . ثم اخلطوا الجميع وامزجوه وصبوا منه هيكلا فخما يكون رمزا « للاستقلال التام » . ثم خروا أمام ذلك الهيكل ساجدين ، واندبوا حظ من لا يسجد له معكم مـن الكفرة المارقين .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٧ تشرين أول ١٩٣٠ .

ايجار من غـــير اجار*

[من المضحكات المبكيات قضية اجار المطارات العسكرية البريطانية فى العــراق التى وردت فى أذيـــال ذيل المعاهــــدة « المقدسة » .. فقد قامت قيامة المعارضين ومن ورائهم الصحف والرأى العام ضـــد ذلك الذيل المشئوم ولكن بدون جـــدوى حسب المعتاد وانتهى الامر بابرام المعاهدة مع ذيولها وخيرها وشرها ...] .

عندما انفرج الفرج ونشرت أسس المعاهدة الجديدة وفار التنور وقامت القيامة وانقسم الشعب الى معارضين وموافقين وابتدأ الكسار ما بين الاثنين رأينا ان احدى الدجاجات الميتة التى كان يتسلح بها احد الفريقين كانت قضيـــة « الايجار » المذكور فى المعاهدة ... فهولاء يقولون هذا الاجار معناه احتلال» والاخرون يصرحون بأن الاجار هو عبارة عن « اجار » ... اجار واحتلال واحتلال وأجار والشغلة صارت ربابة من صدق ... والكتاب كتبوا . والجرائد دوخت رأس الناس حول تلك القضية واشتغل الدغ والضرب ودعاوى وطلايب الى الصبح ... ولكن مع كل ذلك لم نفهم القضبة تماما : هل هو اجار ام هو احتلال ؟ اما الآن فقد انحلت المسألة والحمد لله على السلامة والواوى لابس عمامه ! وطبعا المسألة انحلت بفضل « ابو ناجى » لان اذيال ذيل المعاهدة تشرح بوضوح ان الشغلة هى : ايجار ولكن من غير اجار ! ـ براڤو عليك يا ابا ناجى ولله در من قال ! عيش وشوف !

وبينما كان العراقيون من معارضين ومن موافقين ومن «بيطرف» يتجادلون ويتشاتمون ويتضاربون كان الانكليز ينظرون ويضحكون ويفركون بايديهم الى ان عجزت الناس وملت من المعاهدة وحصل السكون ... ولما حصل السكون قام الانكليز وقالوا كلمتهم التى سوف لا تبدل ، هذه هى سياسة خيط الوبر الناعمة والمتينة والطويلة .. اشهر طوال مفاوضات ، ثم أتت أسس المعاهدة

هياج وشتايم وكفخات بين العراقيين • ثم تمضى مدة والنار تخمد فتأتى المعاهدة مع ذيل واحد •• شتايم ودفرات ودمغات بين العراقيين ••• ثم تمر اسابيع والاعصاب تستريح فيأتى ملحق جديد •• وتقوم القيامة من جديد عند العراقيين • ثم تمر ـ بضعة أشهر والناس تنسى القديم وتلتهى باشياء اخرى ـ فتظهر اذناب ذيل المعاهدة ••• فيفور التنور من جديد عند العراقيين ••• وعلى هذا النمط ينال ابو ناجى مايريد ونحن نبقى يد من وراء ويد من قدام•• وكل تلك المجادلات وكل تلك القيامات تبقى عبارة عن قطـــرة فى شط ! والاحتلال ينقلب اجار او الاجار يصير من غير اجار والايام تمر وكنا عندكم وجينا ••• افهمتم الآن ام لم يزل دماغكم ثخينا ؟

* نشرتها جريدة البـــلاد فى ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٠ •

ارفضوا الهدية الانكليزية*

[من مهازل المعاهدة العراقية ـ البريطانية أن في ذيلها بعض المواد التي لا يصلح أن تدخل في نصوص المعاهدات الدولية وأبرز مثال على ذلك قضية الانقاض القديمة والمباني الطينية في قاعدتي الموصل والهنيدي فهي تدل على قلة الذوق ان كانت مقصودة وعلى السخافة ان كانت غير مقصودة ... ولكن يظهر ان حلفاءنا كانوا حريصين على ادخالها في نص المعاهدة التي كانت يقصد منها تقوية أواصر الصداقة بيننا وبين الانكليز] .

منذ صرنا حلفاء لبريطانيا العظمى حتى يومنا هذا رأينا انواعا من المصائب واشكالا من المؤلمات . ولكني لم أجد حتى الآن في كل ما مضى « حقارة » قاسية ومؤلمة كحقارة « الهدية الانكليزية » المذكورة في ملحق المعاهدة الجديدة في فصل القواعد الجوية ... فهذه الهدية الشائنة ـ على ما اراه ـ تجرح القلب حتى قعره ..

تجبرنا انكلترا ان نشتري منها الانقاض البالية الموجودة في مطاري الهنيدي[1] والموصل مقابل ثلث ثمن تكليفها بموجب شهادة وزارة الطيران البريطانية وليس في هذا الغبن الفاحش وهذه المعاملة القرقوشية شيء جديد يستوجب الاستغراب . اذ اننا بفضل الانتداب تعودنا ان يطلب منا فنعطي . ويؤخذ منا فندفع . ونؤمر او نهدد فنطيع غير انهم لم يكتفوا هذه المرة بالامر والاخذ بل انهم اتونا باهانة جديدة لم يسمع بوقوعها ما بين الشعوب المتحالفة اسان والامر والاتعس أنها تأتينا بصورة (هدية) توجب الشكر والامتنان .

افتحوا اذانكم واسمعوا جيدا .

---

(١) هو اليوم مطار معسكر الرشيد العسكري .

ان حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندة الشمالية تهدى الحكومة العراقية المبانى الطينية الموجودة فى الهنيدى والموصل (هدية) بلا بدل ولا ثمن فيا للفضيحة ويا للعار !

هل وصل العراق الى الدرك الاسفل من الذل والاستحقار حتى صاروا يهدون اليه طينا ؟ أأصبح زعماء العراق ، ورجال العراق ونساؤه وكل من يسكن بلاد الرافدين الى هذه الدرجة متذبذبين حتى يهديهم اصحابهم هدايا من هذا الطراز ؟..

فيا للاهانة ويا للعار !..

انى حرت فى تفسير هذا الامر الذى ليس له مثيل فى المعاملات الدولية.

ليت شعرى ما كان القصد من تثبيت تلك الكلمات القارصة الباردة البعيدة جدا عن الذوق الدبلوماسى فى نفس ملحق المعاهدة ؟..

احصل ذلك سهوا من قبل حلفائنا ام ان الحقارة كانت مقصودة ؟

ألم يكن فى استطاعة الحكومة البريطانية ان تترك تلك الاكواخ الطينية من غير ان تذكرها فى المعاهدة التى تطلب منا تصديقها والتى سيطلع عليها العالم كله ؟...

اقول انى حرت فى تفسير هذه المعاملة التى ما هى الا ضربة قاسية جدا على عزة أنفسنا ... اما كفى الاستعمار ان يأمر وينهى ، ويأخذ ويغتصب ويخدع وينكث العهود ويفرق ويمزق ؟

أما كفاه ان يدوس فوق السيادة القومية والعزة الوطنية .. واجبر بعض أكابر رجالنا بأن يقوموا ويعترفوا أمام جميع العالم بجميل الحلفاء مع ان اولئك الرجال كانوا هم أهل الفضل عليهم ، وقد خاطروا بحياتهم وحاربوا معهم ضد اعدائهم ؟

أما يكفى تساهلنا هذا كله وقناعتنا وصبرنا وتحملنا ؟

أما يكفى اننا تنازلنا عن حقوقنا ونفطنا وأرضنا وثروتنا وكل ما ملكته ايماننا ؟.. ليت شعرى ماذا يريد الاستعمار بعد ذلك ؟

ولماذا اتى غروره الآن يحقرنا بهذه « الهدية » الشائنة ؟

ومن يدرى ، ولربما سيطلب منا ان نشكره عليها ونحنى رؤوس الرضا أمامه من اجلها ؟ لا ! لا ! كفى ! كفى . فى امكان السياسة الاستعمارية القهارة ان تشد على خناقنا ، وتعذبنا .. وقد يمكنها أيضا ان تسجننا او تشنقنا لكن ليس فى العالم قوة تتمكن من ان تجبرنا على قبول هذه (الهدية) التى ستكون وصمة عار فى تاريخ نهضتنا ! واذا كانت هذه النقطة الدقيقة لم تجلب نظر دقة المفاوض العراقى سهواً فلابد من ان العراقيين حكومة وشعبا سوف ينتبهون اليها ويرفضونها بكل قواهم ... فالعراق العزيز المسكين الذى ضحى بكل ما لديه والذى لم يزل يضحى كل يوم بكل شيء تخلصا من شر الاستعمار ، أقول ان العراق التعيس الحظ الذى يجبر على دفع مبالغ باهضة بدل الانقاض البالية فى الهنيدى والموصل ، سيدفع أيضا بدل الهدية الانكليزية ... بدل الطين .. وذلك حسب ما تعينه الحكومة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلنده ! لان العراق وان كان فقيرا اعزل لا اعتقد انه يتنازل الى قبول تلك الهدية . فللحليفة العظمى ان تضيف بدل تلك المبانى الطينية الى خزينة الحكومة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلنده !

كفاك هذا الخمول يا أيها العراق ! فانتبه ، وانفض غبار الذل ... ! فى هذه القضية يجب علينا ان نتحد حكومة وشعبا ونرفض (الهدية) الانكليزية الطينية مهما كلفنا الامر .. انى اعتقد كل الاعتقاد انه حتى اصدق اصدقاء الانكليز واكثرهم تساهلا ، واشدهم اعتدالا سوف لا يقبلون ان يسجلوا بايديهم هذه الاهانة على انفسهم وبلادهم ! فلنتحد ياناس ولو مرة واحدة ولقضية واحدة اية كانت ، ونثبت أمام العالم اننا متمسكون بعزة انفسنا وان فى شراييننا يوجد دم ــ ولو قطرة واحدة منه ــ وان فى نفوسنا يوجد كبرياء وأباء ــ ولو ذرة منهما ــ واننا على كل حال سوف لا تنزل الى الدرك الاسفل من الذل ... فلنرفض اذن الهدية الطينية .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٠ .

التنك بفلوس والطين بلاش* !

[كتبت بضع مقالات هزلية بتوقيع « فليفل » نشرتها جريدة الزمان وهذه احدى المقالات حول قضية القواعد العسكرية البريطانية ... فيها عبرة وفيها ألم ...] .

اخاطب اولئك المغرضين الذين دخل ابليس المعارضة في صدورهم فصاروا يعارضون ليلا ونهارا ومساءً وصباحا وهم غير مؤمنين بسخاء الانكليز وحسن نيتهم ... أقول اليهم : ـ ماذا تقولون الآن بعد ان اعلنت حكومة بريطانية العظمى وشمال ايرلنده بأن لاجل خاطرنا ستترك لناجميع التنك[1] والقلاقيل المكسرةالتي موجودة في الهنيدي والموصل مقابل ثلث ثمن تكليفها بينما المباني الطينية كلها تكون هدية بلاش ؟

هل تريدون برهانا أكبر من ذلك على حب الانكليز لنا وزوال الانتداب ؟

يعني ان الله لا يستحي من الحق ، ان حلفائنا بهذه الدگّة المردانة .. سبقت حاتم الطائي ، تصوروا يا أمة محمد ! ويا أمة موسى ، ويا أمة عيسى ، ويا أمة بوذا ، ويا أمة براهمن ! تصوروا تنك عال وحدايد قديمة طالع غشها وقلاقيل تفطن على الحرب والاحتلال وشافت وجوه بعد وجوه وغيرها وغيرها من الاشياء الثمينة يتركها الانكليز لنا بعد ان استعملوها لمدة ٢٠ سنة فقط مقابل ثلث ثمنها لا ازيد ولا انقص وفوق ذلك جميع المباني الطينية المشيدة من اغلى أنواع الطين العراقي المخمر والمحتوى على كمية وافرة من التبن والفشقي يتركها الانكليز هدية بلا بدل ولا ثمن الى اخوانهم على صندوق الانتداب وحلفائهم في السراء والضراء ابناء الرافدين !

وهنا أخواننا الانكليز اثبتوا لنا مرة اخرى بأن هدايا الملوك هي ملوك

---

(١) التنك : الصفائح المعدنية .

الهدايا ••• ولكن ما العمل والمغرضون فى هذه البلاد لا يقدرون هـــذه التضحية وصاروا يهوسون ويقلبون الحقائق لاغراض فى قلوبهم • فسمعنا منهم من يقول ان التنك والحدايد الموجودة تصلح بان توضـــع فى المتاحف فقط وعليه صاروا يقترحون اقتراحا غريبا وهو بأن العراق بعد ان يدفع ثمن تلك الانقاض يحملها الى لندن ويقدمها هدية من الشعب العراقى الى المتحف البريطانى ـ بريتيش ميوزيوم ـ مقابل الهدية الطينية •••• ومنهم من يدعى من غير خجل ولا حياء بان الحكومة العراقية عندما تستلم القواعد الجوية سنة ١٩٣٧ سوف لا ترى اثرا للهدية الانكليزية لان اللبن والطـــين والفشقى الموجودة فيهما لا يقاوم الامطار الى ذلك اليوم •••

ومنهم من يقول بان الانكليز قبل ان يهدوا العراق تلك الهدايا الطينية عرضوها للبيع وبعد ان ظهر لديهم بأن « ابو اسكى » ما يشتري الا بطولة فارغة وقوندرات عتيقة الخ •••• ولم يدفع بالطين واللبن وما شاكلهما ولا بيسه[1] واحدة حاروا فى امرهم ثم فكروا فى أمر شحنها الى ما وراء البحار ولكن رأوا ان ألنول غالى ثم افتكروا فى اقناع المكارية على نقلها الى الخندق فابوا ••• وعليه قرروا ان يتركوها الى العراق هدية وهكذا كان ••• غير ان كل نبيه ولبيب يرى سقامة تلك الاقـــوال وضعف تلك المدعيات فلنترك اولئك المغرضين يعارضون ويهزلون ولنعتصم بصداقة حلفائنا ولنقبل هذه الهدية بكل فرح وسرور ••• وهذا الطين وهذا اللبن وما فيها من مواد أخرى وكل شيء يأتينا من أيدى أخواننا فى التحالف المقدس هو مبارك فى نظرنا ••• ونحن بالرغم من معارضة اولئك الطائشين سنعتبر ذلك اللبن وتلك الاطيان رمزا للاخوة مابين الشعبين • وبالرغم من انتقاداتهم الباطلة سنبنى على ذلك الطين وعلى ذلك اللبن أساس الامبراطورية العربية الكبرى • وتكمة بعين الحسود •

---

(١) بيسة ـ عملة هندية كانت تتداول فى العراق خلال الاحتـــلال والانتـــداب •

* نشرتها جريدة الزمان فى ٢ تشرين الاول ١٩٣٠ •

اللـــه يخلق*

[فى جميـع الاقطــار التى ابتليت
بصداقة الاستعمار أو بتحالفه وحمايتـــه
وانتدابه نشأت جماعة انتهازية طيعـــة
تقوم بما يأمر به الاستعمار أحسن قيام.
فهؤلاء الحشرات أساءوا الى بلادهم وأمتهم
كما انهم أساءوا الى ســمعة المستعمرين
أنفسهم وقد بقوا فى نهاية الامر بســواد
الوجه وعذاب الضمير] .

فى جميع البلاد التى خلقها الله والتى يحكم فيها المستعمرون طائفة من الناس يمكننا ان نستعمل فى حقهم التعبير البغدادى : « الله يخلق ومحمد يبتلى » وهذه المخلوقات وان اختلفت بعضها عن بعض فى اللغة والالوان الا انها تتحد فى النفسيات والغايات .. ولاجله فهم كلهم من « نفس المال » سواء كانوا فى الهند او فى مصر او فى العراق او فى سورية او فى الشرق او الغرب ..

ففى الهند مثلا بينما غاندى وموتيلال وجواهــر لال وغيرهــم من المخلصــين ومن الوطنيــين الصــادقين يتصــارعون تصارع الاســود ويتحملون الضرب والطعن والسجن نرى جماعات أخرى « بزرهــم » آدم وابتلت بهم الهند يشدون الرحال الى ما وراء البحار اجابة لاوامر الانكليـز ! وبينما اخوانهم فى بلادهم يتلقون النار والبارود وأنواع (العجاج) فهـؤلاء الثعالب فى لندن « يأكلون الدجاج » وعزايم وخطب وكلام فارغ و (جنابى من جنابك صار ممنون الى الصبح) ... وكل ذلك باسم الوطن وحبا به !!!

وفى مصر كلما أراد الوفديّون أن يتقـدموا ويسعوا الى قلع الغربــاء المستعمرين من بلادهم بالتى هى أحسن يظهر أمامهم مخلوق جديد زاعتـــه الارض وابتلت به مصر فيخرب بضربة واحـــدة ما بناه المخلصون بزهـــق الروح .. فهذا يريد أن يكون دكتاتورا وآخر فرعونا وكل ذلك طبعـــا كالعادة باسم الوطن وحبا به !!

والدور هذا نفسه يلعبه أهل الشرق وأهل الغرب وأهل الجنوب وأهل الشمال ، وما الاستعمار وهـــؤلاء الممثلون الا لازم وملزوم وما اولئـــك الابطال الا سـماد تتغذي به عروق شـجرة الاستعمار فتنمو وتستفحل ثـم تزهر فتثمر ثمرا يقتل من أكل منه ومن لم يأكل ومن ذلك الثمر المؤتمـــر الهندى الذى لم يشترك فيه الا حـــزب المتخدرين فمنهم من يريد أن يربح مالاً ومنهم من يريد أن يحافظ على مال قد ناله من قبل .. ولربما يوجد بين هؤلاء عدد قليل يعتقدون بأن الخير سيأتى على أيديهم ومن حسن نيتهم ونية الانكليز ومن ذلك الثمر أنواع المعاهـــدات السقيمة والامتيازات الرهيـــبة وأشدها هولا التى تعقد بين القوي والضعيف فى كل قطر من أقطار العالم... ومن ذلك الثمر الارادة السلطانية التى حصلها الافرنسيون من البـــلاط الفاسى أخيرا والتى تسمح بتأسيس المحاكم البربرية فى بلاد المغرب والارادات الاخرى التى يصدرها الامراء والملوك والرؤساء فى العالم بالرغم من ارادتهم ... ومن نفس ذلك الثمر « التعديل » أو بالاحرى « التعريج » الذى أجرته الحكومة المصرية فى الدستور المصرى قائلة بأنها لا تقصد من ذلك الا خـــير الشعب ... ذلك (الخير) الذى تصحبه الجنود والشرطة لان الوفـــد بـــل الشعب المصري كله قام عليه ناقما ساخطا ... ذلك (الخير) الذى اشـمأزت منه حتى نفس محمد محمود (الدكتاتور) السابق ... فويل لمن كفـــره فرعون .. ذلك الخير الذى لا يفرح به أحد من أبناء النيل الا الذين خلقهم الله من طينة غريبة وأصحابهم أو أسيادهم المحافظون فى انكلترة ...

وهنا يجب علينا أن نعترف باقتدار المستعمرين ومهارتهم فهم يعرفون مليا من أين تؤكل الكتف وكيف تورد الابل وغير الابل . تراهم يسخّرون هذا بالكلام وذاك بالمال وآخر بالاوسمة والنياشين وغيرهم بالالقاب والرتب . ولم يخلص من كيدهم الفقير الذى ضربه (جُويْرِيد) ولا الغنى الـــذى لا قرابة ولا صلة بين جُويْرِيد وبينه . واحـدى مكايدهم الجـديدة هي

(الدكتاتورية) التى انتشرت مودتها فى مصر . ولقــد رأينا كيف خَرَّت (روالة) الباشوات والاغنياء أمام هذه الشغلة الجديدة ...

أما عندنا فالمسألة لم تصل بعد الى ذلك الحـد لان جُويـْرِيد ما شاء الله مقابلنا وقاعـد صيف شتاء .. والافلاس يقتل الاخـــلاص ويصد الوسواس الخناس. ولا لوم ولا عتاب على أحد ... فالمستعمرون عندنا لم يحتاجوا حتى الآن الى الوسائل الثانوية بل انهم اكتفوا بالابتدائية منها وهى : يأخـــذون المال من (أبى كلاش) و « يقرقشون » على الاقل نصفه ثم يوزعون البـاقى عـلى أبناء (أبى چزمة) . وأبناء (أبى چزمة) قانعون بالمعاش وبالمخصصات وحاضرون ليلا ونهارا للقيام بواجبهم . نراهم لطيفين مثل شمع العســل يدخلون فى جميع القوالب من غير (قيل وقال وروح وتعال) ...

والحاصل ان الاستعمار ـ ويا للاسف ـ شُـغله ماشـي على ٢٤ حبـه فى أقطار العالم وأبوكم الله يرحمه !

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١١ تشرين الثانى ١٩٣٠ .

نزع السلاح أو قصة عنتر جنيف*

[كانت قضية نزع السلاح ، كما هي الآن ، من أعوص القضايا التى تشغل بال الحكومات الاوربية ... وقد اجتمعت الوفود فى جنيف عشرات المرات حتى الآن بدون أن تحصل نتيجة ما ... وعادت الحكومات بعد الحرب العالمية الثانية الى نفس الموضوع ونفس الاساليب ولا فائدة ترجى من هذه المؤتمرات اذا لا ينتزع الناس الخوف والجشع من القلوب] .

لكل مملكة اليوم قصة طويلة وعريضة أطول وأعرض من قصة عنتر المشهورة . مثلا : قصة عنتر انكلترة هى مسألة البطالة . وقصة عنتر العراق هى « الاستقلال التام » وهكذا لكل بلد قصة خاصة وعقدة عسيرة الحل !..

أما جنيف ، مركز عصبة الامم فقصتها العنترية هى – ان لم أكن متوهما – قضية (نزع السلاح وتحديده) فهذه القصة ابتدأت عند ختام الحرب ولكن عصبة الامم لم تزل فى أول فصل من أول باب ... فاذا كانت المقدمة طويلة هكذا فماذا يكون المتن والشرح والتفسير ؟

منذ ست سنوات شد أبطال السلم الرحال الى جنيف ، يعقدون مؤتمرا باسم (مؤتمر نزع السلاح الاستحضارى) ثم يتكلمون ويتجادلون ويتباحثون ويتازعلون ويتصالحون ويتضاربون ويتعانقون ويعيدون ويصقلون الى أن تنتهى المدة .. ولما تنتهى المدة يرجع كل منهم الى بلاده بخفى حنين وكل عام وأنتم بخير ! ... والاغرب من كل ذلك انه كلما تكلم هؤلاء فى جنيف حول نزع السلاح زاد الخوف . وكلما زاد الخوف زاد السلاح . وكلما زاد السلاح زاد الكلام تماما على ترتيب الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة .

ويقال انه بفضل مؤتمر نزع السلاح ازداد التسليح فى العالم بنسبة

٢٧ في المائة عما كان من قبل أول مؤتمر عقد . وهذه علامة خير وبركة . أما الآن فالجماعة اجتمعوا هنا من جديد وهذه سادس مرة والعلائم تدل على ان المسألة « هذاك الطاس وهذاك الحمام » . فرنسا تقول : اقتلوا أعدائي واقسموا بالطلاق بأنكم ستدافعون عني يوم الحساب . وانسوا ما مضى وما جرى . وتعهدوا بتطبيق معاهدة فرساي . فاذا تم كل ذلك فاني سأحدد عدد سلاحي ...

ألمانيا تقول : اما أن تنزعوا سلاحكم فتكونون مثلي واما دعوني أتسلح حتى أصبح مثلكم .

النمسا تقول : آمــــين !

ايطاليا تقول : « خُو راسي مو أكرع » فلتحيى المساواة .

أمريكا تقول : « ضعوا نيازكم » ثم افتصلوا فيما بينكم !

انكلترا تقول : الواحد منكم (يثكل) الآخر . اعملوا كل ما تريدون على شرط أن لا تتحدوا !

الدومنيون والهند يرتلان : فان قالت حذام فصدقوها ! ..

روسيا تنادي : يا جماعة : الفلوس والسلاح هي وسخ الدنيا فارموا ذلك عنكم وادخلوا في حمام البولشفيكية فتصبحوا أنظف من (خلف الحنبلي) والنظافة من الايمان !

الحكومات الاسكندنافية والبلطيكية يُسَبِّحْنَ : اللهـم حوالينا ولا علينا .

تركيا تقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فكيف يلدغ أكثـر من عشر مرات ؟

ايران تقول : « أگر حيلت نداري چرا ملفلف ميكُني » ؟

بولونيا ورومانيا ويوغسلافيا يصرخن : فليحيى المسيو بريان !

ألبانيا والمجر والبلغار يجيبون : فليحيى موسوليني !

حكومات أمريكا الجنوبية تغني : « المايزوره الليمان عمره خسارة »[1].

وسويسره تتحسر : « نسدها من هونى تنفتق من هونى .. » .

وهكذا نرى ٣٢ حكومة تتذاكر الآن هنا حــول ٣٢ نظرية . وكل منها تتأمل ان الحق معها وان الباقين فى ضلال مبين !

غير اننا يمكننا أن نقسم الحكومات الكبيرة الى قسمين : فرنسا وأعوانها من جهة ، وألمانيا وروسيا وايطاليا وأصحابهن من جهة أخرى وبين هاتــين الجماعتين جماعة ثالثة تشترك فى المؤتمر (چفيان شر) كى لا يقال عنهم انهم غير راغبين فى مسألة نزع السلاح وأمام كل هذه (الخرابيط) يجب علينـــا نحن (السلاحسزيه) أن نحمد ربنــا الذى خلقنا (بطرك طــوب أبــو خزامه)[2] !

---

(١) بحيرة ليما هى بحـيرة جنيف .

(٢) مدفع قديم كان فى باب القلعة (وزارة الدفاع اليوم) وهو معروض الآن بمتحف الاسلحة فى الباب الوسطانى قرب جامع الشيخ عمر .

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٣٠ .

أما نحن فقد تشابه علينا البشر *

[الاشتغال بالسياسة فى البلاد المغلوبة على أمرها أمر غير هين يحدث بلبلة فى مقاييس الجهاد وفى تصرفات العباد وتخلق هذه الفوضى جماعة تصطاد فى الماء العكر ضاربة عرض الحائط بالمبادىء والاخلاص وهكذا يختلط الحابل بالنابل ويحترق الاخضر بسعر اليابس] .

حرنا فى أمرنا وتشابه علينا البشر كما حار قبل آلاف من السنين بنو اسرائيل اذ تشابه عليهم البقر .. يقولون مثلا : هذا رجل مخلص كان كذا وكذا قبل الحرب وصار كذا وكذا أيام الثورة وفعل كذا وكذا من بعد الثورة وان فى وطنيته واخلاص نيته لا يقاس بفلان أو بفستكان ولا بالماش ولا بالهرطمان ...

فالذى يسمع كل ذلك يسر ويقول : بارك الله فيه هذا هو المطلوب..

ولكن مع الاسف يروح يوم ويأتى آخر وما نرى الا وأفواه الناس تلوك ذلك الرجل « المخلص » الذي بانت صوفته وظهرت عيوبه فكان أتعس من فلان وأمر من من فستكان وأرخص من الشنان فيأسف كل من يسمع بذلك ويتعجب ...

ثم يقولون : هذا شاب منور درس فى بغداد وفى جميع البلاد وانه مقتدر وذكى مخلص وحدث عن البحر ولا حرج ولا مرج ولا ضجة سوق هرج ، فهو لا يشبه أولئك الرجال المنحدرين من بقايا دور عبد الحميد ، ولا يشبه المتجددين ـ أبناء السقوط ـ له يد من حديد وقلب من فولاذ والحاصل بالمختصر المفيد هو ملحم للجرح ...

والناس تفرح وتغتبط « بأپولو » العراق الجديد ...

ولكن مع الاسف يروح يوم ويأتى آخر فينطفىء ذلك النور و « ينقلب الدر بعرور » وتطير الآمال ... فتأسف الناس وتحير فى أمرها .. والذى

نسمعه عن الأشخاص نسمعه أيضا عن الجماعات والاحزاب والمجالس !

قالوا مثلا : ان حزب التقدم هو جوهرة الاحزاب لان منهاجه كذا وكذا وأعضاءه كلهم كذا وكذا وانه سيعمل كذا وكذا .. فطارت قلوبنا فرحا بيومه ـ ولا تطير اليوم ـ واستبشرنا خيرا وظننا ان الاستقلال التام في جيبنا..

ثم مرت أيام فقالوا هذا هو حزب المتخدرين ، وحزب الانتداب والوضع الشاذ ... ثم أتت ساعة من الساعات فقام أحد أقطاب الحزب المذكور وقال له .. « خذ ! دفعة مردى وچلاق كردى ... » فصار جوهرة الاحزاب خرابا في خراب ، والبقاء في حياتكم ! فحرنا وتعجبنا وضيعنا الحساب !...

أى نعم حرنا وضيعنا التمييز والحساب ! فصرنا لا نعلم ولا نفرق بين الابيض والاسود والصادق والكاذب ، والحق والباطل ، والبشر وغير البشر .

أما الآن فأمامنا جماعة تقول : ان الحزب الجديد ـ أى حزب العهد ـ شُغله غير شغل لانه مركب من زبدة الرجال ، وزبدة الشباب ، وزبدة الاحزاب ... وان فيه عناصر مختلفة « قوزمو پوليتيه » . وانه يقدر أن يجمع من كل رطب ومن كل يابس ومن كل فجٍ عميق .. فالناس تقول : اللهم زد وبارك . غير انه بعد كل ما جرى وصار منذ عشر سنوات يصعب على الناس أن تصدق بالاقوال ، واليوم أخو البارحة ...

ثم يقولون : ان المجلس الجديد هو لا يشبه المجلس العتيق لان فيه كذا وكذا ... طيب آمنا ! ولكن أغرب شيء فيه هو ان الاكثرية الساحقة الجديدة تحتوى على ثلاثين عضوا من الاكثرية الساحقة العتيقة واذا سألت هؤلاء السياسيين !

– يا معودين كيف تركتم حزبكم ورئيسكم والتحقتم بخصومكم ؟

قالوا :

– كنا في جوهرة الاحزاب وصرنا الآن في زبدة الاحزاب .. « طلعت من بيت أبوها وخشت بيت الجيران » ولكن بما ان الشغلة هى لخدمة

الوطن فلا بأس ... والنيابة كلها طيبة ولذيذة ، ولا يوجد فرق كبير بين اليمين والشمال ، فالوطن قبل المبادىء وقبل كل شيء ما عـــدا النيـــابة !

هكذا يقولون : ومن ذا الذى يقدر أن يعاكسهم ؟ فالحق طبعا معهم . لانهم هم خمرة المجالس والعجين من غير خميرة لا يصلح للمعدة ...

قال لي أحد الاصدقاء يوما انه يستطيع أن يحل ويجمع ثلاثة مجالس نيابية فى شهر واحـــد على شرط أن يكون الاول دمقراطيا والثانى فاشستيا والثالث بولشفيكيا . وعلى شرط أن تكون الاكثرية الساحقة مع تبدل طفيف مشكلة من نفس الجماعات وانه يتمكن أن يعقد ثلاث معاهدات ـ كلها مقدسة طبعا ـ الاولى مع مكدونلد والثانية مع موسولينى والثالثة مع ستالين ...

أظن ان هنا (شوية) مبالغة لان الافكار مهما كانت « حرة » وجديدة فلا أظنها وصلت الى هذه الدرجة فى بلادنا . وعلى كل فانى أقول :

اللهم ان البشر تشابه علينا نحن . فأنقذنا من هذه الورطة !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٧ كانون الاول ١٩٣٠ .

منابع الشقاء*

حقـــائق مُـــرَّة

[تكون أحيانا موارد الخير منابعـــا للشقاء اذا عجز أصحابها عن حمايتهـــا وصيانتها وتدبير شئونها ولنا فى قضـية امتيازات النفط وجشع المستعمرين أمثلة كثيرة وصفحات مؤلمة فبدلا من أن تكـون تلك الثروة لنا وهي فى أرضنا أصبحت ملكا لغيرنا يتمتع بها الغرباء وكانت سببا لنا فى فقـــدان اســـتقلالنا والحط مـن كرامتنا ...] .

منحتنا اياها الطبيعة كي نعتنى بها ونسعد غير ان يد الاستعمار الاثيمـــة التى تعـــودت خطف كل ما يملكه الضعفاء ضربتنا ضربة أليمة فافقدتنا تلك النعمة وجلسنا بعدها على بساط الفقر ننظر الى ذئاب الاستعمار تفترس بكل جشع ما انتشلت من أيدينا فلن تمتلىء منها البطون ولن تشبع منها العيون . نعمة كبيرة جهلناها فكان جهلنا بها سببا لمرارة حياتنا ولشلل استقلالنا ولفقدان سيادتنا القومية . مصادر خير واسعة أهملنا أمرها فصارت منابـــع شر وشقاء تنهال علينا وعلى ما يقبل من الاجيال من أجلها . كانت أبالسة الاستعمار قبل الحرب تدس بين العرب والتُرك ومن أجلها قامت قيامة الانكليز ضد مشروع خط برلين ـ بغداد .. لولاها لما ألحت بريطانيا على حكومة الهند لتجهيز جيش لاحتلال العراق ولما ألح السر برسي كوكس لتوسيع خط ذلك الاحتـــلال حتى شمالى بغـــداد خوفا من أن يصل اليها الجيش الروسى قبلهـم . بسببها حصلت مؤامرة « سايكس بيكو » ونكثت العهود وطعن الحليف القوى حليفه الضعيف فى ظهره .. من أجلها أسرع «الكولونيل ليجمن» ورفع العلم البريطانى فوق سراى الموصل ثانى يوم الهدنة مع الاتراك مع ان بلدة الموصل كانت لم تزل عثمانية ، بيد ان قواد الجيش (المنقذ) لم يروا بأسا اذ ذاك فى هتـــك

حرمة الهدنة وخـــرق حقوق الدول • بسببها عاكس لويد جـورج نوايـا كليمانصو فيما يختص بحدود الراين وبسببها اتحد الاثنان على ترتيب مؤامرة « سان ريمو » وعلى اقناع الرئيس ويلسون فى قضايا الانتداب •

كانت هى السبب الاعظم لاخماد الثورة العراقية بالدم والنار والحديـد وكانت أيضا العامل الوحيد لعدم التفات الحكومة البريطانية لرغبة السـواد الاعظم من الشعب البريطانى الذى كان يطالب بالجلاء عن العراق • هى أم الاحتلال وأم الانتداب وهى أم المعاهـــدات وذيولها •• هى آبار النفط •• مصدر خير للغرباء ومصدر شر لابناء البلاد ••• هى منابع شقاء • بفضــل تلك الآبار صارت بلادنا مسرحا كاملا للاستعمار وأصبحنا خدما لمصـــالح الامبراطورية وسنكون عما قريب حراسا لانابيب النفط والسكك الحديدية • تلك الانابيب التى ستمتص ثروة البــلاد وتلك السكك التى ستثبت قـدم الاستعمار فى العراق الى يوم يوعدون • بفضل تلك الآبار كنا نشم رائحةالنفط المتصاعدة من اولئك الرجـــال الذين كانوا يديرون دفة الحكــم السياسى الاستعمارى من وراء الجيش (المنقذ) وبفضل تلك الآبار لم يزل نفوذ أصحاب رؤوس الاموال النفطية يصل الينا بطريقة الاستشارة أو المشورة أو التحالف المقدس أو بطريقة نصائح تأتينا من قبل رجال كانوا أهل الحل والعقد عندنا فأصبحوا اليوم سماسرة لخط حيفا ـ بغداد فما هو السر الغريب الذى صـير هؤلاء السياسيين العظام الذين كانوا يملكون رقابنا فى الامس دعاة مبشرين يبشرون فى الصحف البريطانية ويبثــون دعاية واسعة حــول مزايا خط حيفا ـ بغداد • وحول محاسن امتياز النفط ؟ ألأنهم أشد عراقية من العراقيين أم لانهم كانوا ولم يزالوا تحت نفوذ الكابيتاليزم النفطى ؟ لا يصعب علينا أن

نجد جوابا لهذه الاسئلة سيما اذا ألقينا نظرة واحدة على سياسة الاستعمار البريطاني في الشرق .. ان البلاء الذي حل على رأس الهند كان بواسطة شركة الهند الشرقية ، والمصيبة التي نزلت على مصر كانت على يد شركة قنال السويس وهذا البلاء الاسود الذى أخذ يتسلط على رأسنا هو بلا شك آت من الشركات النفطية . واذا كانت الهند ضحية التجارة البحرية ومصر ضحية ترعة السويس فالعراق سيكون مع الاسف ضحية آبار النفط ... تلك الآبار التي ستجلب علينا الشر والفقر والاسى مع انها تصدر ذهبا سيالا.. تلك الآبار التي ربما ستكون يوما مدفنا لاستقلال العراق مع انها هي منبع للقوة والحياة .. خوفونا باحتلال الاتراك وهددونا بعصبة الامم فارتجفنا خوفا وقبلنا شروطهم التي أملوها علينا ... ثم انقلبوا على شروطهم وسدوا الباب المفتوح بصورة من الصور وهزئوا من حكوماتنا ومن الامتياز فسكتنا وظن رجالنا السكوت من ذهب ... ثم خدعونا بكرسي عصبة الامم والتحالف المقدس فانخدعنا ودفعنا بدليهما ثمنا باهظا فتمَّ طريق المواصلات الامبراطورية وسيتم طريق المواصلات النفطية ... وهكذا مرة بالارهاب وأخرى بالخداع نالوا منا كلما كانوا يبتغون بل أكثر مما كانوا يتصورون ... أما نحن فلم نزل ، أمام هذه المناورات فرحين ومغتبطين عما لدينا من ظواهر الاستقلال الكاذب وأبهة الحكم الناقص فرحين ومغتبطين لاننا سننال يوما أرضيّة زهيدة مقابل أرضنا ونفطنا أو لان خط حيفا ـ بغداد سيحسن حالة الترانسيت .

أي نعم ! نرانا فرحين ومغتبطين بهذه الترهات تاركين نفوذ الكابيتاليزم الاسود يتسع ويمتد ويستولي حتى على سياسة البلاد ومستقبلها ... وهذا النفوذ النفطي المستتر الآن سيظهر بكل سواده عندما ندخل في عصبة الامم

ومتى زال الحساب وانسد الباب المفتوح سترى أهل النفط فى بلادنا هم أهل الحل والعقد أما أهل البلاد فسيكونون من كبيرهم الى صغيرهم خُداما لشركة النفط وحراسا لانابيبها وسككها ... فاذا لم ننتبه اليوم لهذا الخطر الاسود ونتركه يعمل ما يشاء فى طول بلادنا وعرضها كما كان حتى الآن ، واذا لم نتحد حالا ونقف كالبنيان المرصوص فى وجه الاستعمار فالآبار النفطية هذه ستكون قبراً محزنا لاستقلال العراق ...

هذه آبار النفط ! آبار الذهب السيّال ! منابع الشقاء .

---

* نشرتها جريدة البلاد فى ١٨ كانون الثانى ١٩٣١ .

على من يقــع اللوم ؟*

[كان لتصديق معاهـدة ١٩٣٠ من قبل مجلس النواب بأكثرية ساحقة رنـة حزن وأسف فى قلوب الاكثرية الساحقة من العراقيين . فقد انتصر الاستعمار على الاستقلال ، وطغى الباطل على الحق مـرة أخـــرى ... عـلى أن كل ذلك لم يطفىء شرارة الايمـــان فى قلوب المؤمنين وفى صدور المجاهدين ... وانتصار الباطـل محدود الزمان حتى يزهق ..] .

بعد القيل والقال ، والخيرة والفال ، صدّق المجلس الجديد المعاهــدة الجديدة « الممدوحة » باكثرية ساحقة كما صدقت المجالس القديمة باكثرية ساحقة المعاهدات القديمة « المذمومة » . واذا ربك سهل من فوق والانكليز من تحت المعاهدات سيخرج العراق من الانتــداب ويدخل فى (التحالف المقدس) او (الحظيرة الامية) ..

وحسب العرف والعادة قامت القيامة على رؤوس النواب الجدد لانهـم ابرموا المعاهدة الجديدة ولكن « القيامات » عندنا مثل لهيب (الحلفة) تخمد بسرعة ويرجع كل شيء على حاله والعالم ينسى المعاهدة والابرام . والانكليز يبقون انكليزا . والنواب يبقون نوابا . والعراق ذاك العراق . والطاس هذاك الطاس . والحمام نفس ذلك الحمام .

ان ابرام المعاهدة كان محســوبا ومكتوبا كما ان تلك الضجة او تلـك العربدة كانت محسوبة ومكتوبة ! ولكن هل سمعتم يوما ان البرلمان رفض شيئا ؟ ولا سيما من هذا القبيل ؟.. او هل سمعتم ان المعارضة استطاعت ان تبدل حرفا فى المعاهدات ؟ فالمجالس ـ فى الوضع الشاذ ـ مخلوقة لتوافق ، وتبرم ، وتمشى شغل الحكومات . هكذا كانت المجالس وهكذا ستكون طالما

عندنا ارشاد واستشارة ومشورة .. فاذا لمنا احدا اذن فلنلم انفسنا وضعفنـــا وتذبذبنا ويا للاسف !..

ان الغرابة موجودة فى كل شيء عندنا فليس من المعقول اذن ان نلوم البرلمانات العراقية فقط قائلين انها كانت ولم تزل غريبة وعجيبة !

فان قال القائلون ان الدمقراطية او البرلمانية هى ابتدائية عندنا ، او شبهوا (البرلمانتيزم) عندنا بالزنجي الـــذى هو « ربى كما خلقتنى » ويرتـــدى « ردنكوتاً » على جلده من غير بنطلون ! وقيل عن منظره انه غريب .. فهذا لا يستوجب لوم (الردنكوت) كما انه لا يستوجب لوم الزنجي ..

لا ، بل ان الملاحظة يجب أن توجه الى الذين جمعوا الزنجي والردنكوت وخلقوا ذلك المنظر الغريب .. ان الفرق بين العراقيين وحلفائهم الانكليـز كالفرق بين (الدبس) و (الويسكى) . وكلما حاولنا أن نمزج الاثنـــين حصلنا على مشروب (يلعّب النفس) ويقلب المعدة فهذا هو منشأ (الخرابيط) الموجودة فى كل بلد ذي سلطتين مزدوجتين ، سواء ظهرت تلك الخرابيط فى حركات الاحزاب المختلفة ، أو فى أعمال الحكومات المتوالية أو المجالس المتعاقبة ... ونحن كلما شربنا من ذلك المزيج تقوم القيامة عندنا ويبتـدىء بيننا اللوم والعتاب والسب والشتائم بينما نرى الساقى يضحك علينـــا ويهزأ بنـــا ...

نعت الناس النواب السابقين بالمتخدرين والرجعين والجامدين المستسلمين والراكضين وراء المـــال والجاه والمفرهدين أموال الامة ، لانهم أبرمـــوا المعاهدات السابقة والامتيازات المجحفة بحقوق العراق . وكان دفاع خطبـاء الاكثرية السابقين انهـــم فضلوا (أهون الشرور) وأنهم عملوا ما عملـــوا بدافع وجدانى وان حب الوطن كان دافعهم الوحيد ... واليوم يلوم الناس النواب الحاضرين لانهم أبرموا المعاهدة الجديدة وربطوا العراق بحبـــــل طويل . غير ان خطباء الاكثرية الحاضرة قاموا وصرحوا أيضا بأن هذه(فرصة

لا تقع فى اليـــد) وان (الشغلة زينة) . وعليه فلقد (ســوكروا) أنفسهم وأنفس أبنائهـم وأحفادهم بابرام المعاهدة لمدة ٢٥ سنة (والخير لقـدّام) . واظهروا أنهم لم يعملوا عملهم هذا الا بعد حصول القناعة الوجدانية ... انى لا أتجادل فى أن ٩٠ فى المائة من النواب السابقين ومن النـــواب الحاضرين ومن النـــواب المقبلين عملوا وسيعملون كل شيء بدافع الوجـــدان وحب الوطن ... كما اني لا أتجادل على استحقاقهم أو عدم استحقاقهم العتاب هم وحدهـــم فقط ! . ولكنى أريد أن أنبه أنفسنا الى وجـــوب أن لا ننسى ان الوجدان والضمير وجميع الاحاسيس هى أشياء نسبية . فالذى تـــراه أنت خيرا يراه غيرك شرا . والذى تحسبه أنت احتلالاً يظنه غيرك اسـتقلالاً ! . والمعاهدة التى تلعّب نفسك يمكن أن تشرح صدر غيرك ! وكل ذلك مـــع احتمال وجود حسن النية والقناعة الوجدانية عند الطرفين !... ولذا أقول : ان ضمائر سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٦ و ١٩٣٠ وما بعـــدها كلها ضمائر عراقيـــة ووطنية لا شك فى اخلاصها والاعمال التى حصلت أو ستحصل فى المستقبل سيبينون انها كلها ـ بالطبع ـ نتيجة القناعة الوجدانية والحب الوطنى !.... فأصحابنا الانكليز درسوا هذه القضية وأخذوا يستفيدون من (التباين) الموجود فى الضمائر العراقية والقناعات الوجدانية التى نراها يوما فى اليمين ويوما فى اليسار وطالما عندنا انكليز ، سيكون عندنا (تباين) . وطالما طريق المواصلات موجود سيكون عندنا انكليز وطالما يوجد هندستان على وجه الارض سيكون عندنا طريق المواصلات . ونحن سنبقى (نأكل الجراب) مع وجود القناعة الوجدانية بأن أكل الجراب شيء لذيذ !

ولهـذه الاسباب تدعـــو (الفلسفة) الى الامساك عن لوم النـــواب السابقين والحالين والمقبلين على انهم عملوا كذا وكذا . فالعلة ليست محصورة فى البرلمان .. انما العلة هى فى شيء آخر . فما فائدة ضياع الوقت بمعالجـة البرلمان وانتظار اكثرية تبدي العجائب والكرامات ؟ ...

العلة كلها هى فى الاستعمار وترويجه ، فسموم الاستعمار صارت تدب فى شرايين العراقيين • فمنهم من تخدر ، ومنهم من لم يزل سالما • فيجب على الاصحاء أن يتحدوا لا ضد المتخدرين بل ضد الاستعمار نفسه حتى ينقذوا المرضى ويقوا السالمين • ولكن متى يأتى ذلك اليوم ؟ متى يظهر مهـــدي العراق لينقذ البلاد من بلاء الاستعمار ؟ متى نتخلص من هاوية الذل والفقر ؟ متى تحصل عندنا القناعة الوجدانية الحقيقية بأن الاستعمار هو خصم العـرب الأشد ؟ متى تتحد عندنا الضمائر فى الامور الوطنية الكبرى ؟ ينقبض صـدر الانسان امام هذه الاسئلة ويعتريه اليأس • ولكن الدنيا مبنية على الآمـــال • واذا كان الاستعمار ضدنا فان الله معنا •

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٣ كانون الاول ١٩٣١ •

الوطنيـــة الكاذبة*

[يخلق الاستعمار أينما حل طبقـة من ضعفاء النفوس يستعملها لمآربـه وغاياته وذلك ببث سموم الفساد والجشع التي تنتشر وتتسرب وتستولى علـى القلوب فيذهب عدد من الناس ضحية هذا الداء ... ولم يسلم العـراق من ذلك الوباء أيام الاحتلال والانتداب وان كانت ضحاياه محدودة والمصابين به أكثرهم من الدخلاء الغرباء] .

داء يعتري بعض البشر كما يعتري الجرب ، أجلكم الله ، بعض الابل ، داء فتّاك كالبرص والجذام .. داء ليس له دواء ...

نجده في الغرب ، نجده في الشرق ، نجده عند المتمدنين وفي الاخص عند اولئك الذين يظنون أنهم متمدنين ...

داء لا يسلم منه الا ذو شرف صحيح وقلب سليم لا يفسده حب المال . وذو عزة نفس كبيرة لا يتمكن على اذلالها أسياد المتذللين .

وقد ابتلي بهذا الداء أيضا ــ ويا للاسف ــ البعض من أبناء العراق ومنهم منتسبون الى طبقات عاليـة . ولـم تزل جراثيم ذلك المرض تتزايد وتنتشر وتفتك كل الفتك منـذ عشر سنوات ولم يزل عدد المتخدرين يـزداد كل يوم !...

وهذه الجراثيم ــ جراثيم الوطنية الكاذبة ــ لا تعيش الا في خفايا قلوب أولئك الضعفاء الذين زعموا أن أسهل الطرق وأقصرها لنيل غاياتهم الشخصية هي طريق : « الوطنية » فجعلوا الوطن سُلما يرتقون بها . وأخـذوا التلوّن لبوسا لكل حالة ... أما الاستعمار أبو تلك الجراثيم (الخنون) يعتني بتربيتها و (زرقها) في شرايين أفراد الشـعوب المستعمرة . وكان نتيجـة ذلك ان

الاقوام المغلوبة على أمرها هى ـ أشد ابتلاءً بالوطنية الكاذبة من غيرها •

ان الطبقة المتمدينة أو المنورة أو المديرة هى أكثر تعرضا للتسمم من غيرها من الطبقات • انظروا الى البدو الذين يعتبرون همجيين ، والى الفلاحين والعمال الذين نعاملهم معاملةالسيد لعبده ـ لاننا ماشاء الله متنوّرون ولانهم غير متنورين ـ انظروا الى كل اولئك الفقراء البؤساء الذين يسعون ويكدون كى يتمتع الافندية والبكوات والباشوات بلذات هذه الدنيا ••• انظروا اليهم وافحصوا قلوبهم وحللوا دماءهم ، تجدوهم ـ على الاغلب ـ سالمين من المرض الذى ابتلي به بعض من الارستقراطيين وكما ان الاسماك تجيف من رؤوسها فالشعوب تتفسخ من المتنفذين والمتزعمين فيها • فكل البلاء الذى حل بنا ، وكل البلاء الذى سيحل بنا هو بلا شك يأتينا على يد البعض من الطبقة المنورة والمتزعمة ، المتولية قيادة التفكير والتطبيق ••• وفيها عدد من الضعفاء المبتلين بداء الوطنية الكاذبة ••• خذوا مثلا هذا الشاب المتعلم ••• أترون كيف استولى عليه مرض الوطنية الكاذبة ؟ ••• ترك المدرسة وفي يده شهادة وفي قلبه حب خالص لوطنه ••• أراد أن يسعى فيخدم نفسه وبلاده ولكنه لم يجد لتلك الخدمة سبيلا ! التجارة فى كساد ••• الزراعة فى فساد ••• الكتابة لا تشبع خبزا ••• فما العمل ؟

طرق باب التوظيف فوجده مسدودا • طرقه ثانية وثالثة فلم ينفتح ، لان الطارق لم يحسن الطرق ولان عزة نفسه تمنعه من أن يتملق ويتوسل •••

بقي حائرا فى أمره ينظر الى الشهادة التى فى يده ويجس الحب الخالص فى قلبه •• فلا الشهادة تُسمن ولا الحب يُغنى من جوع ••• وازداد فى أمره حيرة لمّا رأى الغرباء فى بلاده غائصين بالخير والنعيم ورأى الكثيرين من المتبصبصين الكاذبين من أبناء بلاده متمتعين بما لا يستحقون ••• رأى

ذلك كله ورأى أشياء أخرى كلها شاذة وكلها باطلة فاعتراه اليأس وأخذ يهزأ من الشهادة ومن حبه الخالص لوطنه . ولما يأس وسلّم أمره للقدر قاده الاضطرار ودفعه الى طريق كان يكرهها فى الامس . سلك تلك الطريق بالرغم من ارادته ، وتلك طريق تؤدي الى الوطنية الكاذبة وقد سار عليها عدد من الشبان المتعلمين لانهم لم يجدوا الى غيرها سبلا !...

ليت شعري من المسؤول عن هذا الانتحار ؟

وهذا العابد الناسك ماذا نزل به ؟ لماذا ترك ربه وصلاته وابريقه ؟ لماذا حلق لحيته وبدّلَ مشيته ؟

حلّ به ما حل لانه تمسك بالحب الكاذب للوطن ، فأغراه وأعمى قلبه . فصار يفضل السياسة الباطلة على التقوى . وغدا يسجد أمام الكرسى بدل المحراب ، واعتصم بحبل الاستعمار بعد أن كان معتصما بحبل الله . وهكذا ازداد عدد المنافقين ونقص عدد الصالحين ...

فعلى من يقع لوم هذه الضلالة وهذه الخسارة ؟

وهذا الزعيم المتزعم ما له يزبد كدرويش لزمه «الحال» ويعربد «كالخنفيش» فى حجره نار ؟ أمجنون هو أم مصروع؟ لا ، لا جنون فيه ولا صرع، ولكنه مصاب بالوطنية الكاذبة! وهذا بحرانها فالذى يعتريه بحران ذلك الداء «مايطلع منه درب» واغسل يديك ورجليك منه . واقرأ عليه : « قل أعوذ برب الفلق ... » مسكين نراه لا ليله ليل ولا نهاره نهار « يلبط » مثل السمكة و « يفرفص مثل القرقص وكالحمص فى كل طبق ينبص » وكل ذلك طبعا حبا بالوطن المقدس!!

يأكل من أجل الوطن ويشرب من أجله .. يسب ويشتم ويعيط ويصرخ ويكفر ويهدد باسم الوطن ! ... ثم بين عشية وضحاها ينزل على قلبه ابليس فينقلب السب والشتم مدحا وثناءً ويصبح العياط والصراخ سرورا واغتباطا ، ويمسي الكفر والتهديد حلما وطاعة ! فما هى أسباب هذا السقوط ؟

هذه جرائم الوطنية الكاذبة ، واولئك ضحاياها . أما الاستعمار فهـو ـ كما قلت ـ أبو تلك الجرائم وأمها ، ويعتني بزرعها وزرقها في جلـد الضعفاء من أبناء هذا الشعب المغلوب على أمره فلنبتعد اذن كل الابتعاد عـن الاستعمار المفترس ونصد الوجوه عن الفطائس التي يتغذي بها وهي ألـذ طعـام لديـه . ولنتمسك في كل حال بشرف النفس وبالاخلاص الحقيقي وبالاخلاق الحسنة ، التي بدونها لا ننال فرجا وخلاصا وتقدما . وحسبنا اللـه ونعم الوكيـل !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢٢ شباط ١٩٣١ .

مستقبل البرنوطي ؟*

[وصلت الحال بنا أيام « الوضع الشاذ » بأن الحكومة العراقية صارت تمنع وتعاقب كل من أراد التحدث عن القضايا الهامة كالمعاهدة وامتياز النفط ومشروع سكة حديد حيفا ـ بغداد ... فهذه وغيرها من الامور الهامة كانت تعد من المحرمات التي لا يسمح لاحد أن يتناولها الامر الذي أدى بنا الى درس « مستقبل البرنوطي »] .

نقر ونعترف بأن الوقت ليس وقت « البرنوطي » وان بلادنا التعيسة تحتاج الى مائة شيء قبل البرنوطي ... ولكن ما العمل وقد اصبح كل من أراد التحدث بالامور الحيوية أو انتقد شيئا منها ، من المغضوب عليهم ومن الضالين ! ما العمل وقد خلق لنا الوضع الشاذ أناسا أخذوا على عاتقهم الدفاع عن كل شيء فيه رائحة انكليزية أو رائحة نفطية وأقسموا وتعاهدوا فيما بينهم على رجم كل من حاول أن يقول كلمة حق ؟ .. فاخواننا في الوطن اولئك يتجاهرون بأنهم يخدمون الوطن والحكومة الوطنية ولكنهم بمدحهم البارد وثنائهم الكاذب لا يخدمون الا المستعمرين وأنفسهم وهم لا يهمهم من الوطن مستقبله ولا من الحكومة أمرها . ان الذي يهمهم هو جيوبهم وبطونهم ... والذي ابتلاه الله بداء الجيب وداء البطن من شأنه أن يصرخ ويعض و « يشرمخ » كل من لا يسكت عن الحق ...

اذا تكلمت مثلا عن النفط وتخوفت قالوا لك : انك طائش وفي دماغك خيط جنون لان شغل النفط لا خوف عليه ولا سيما وقد أصبح الآن بين يدي بطل النفط القديم . وبطل النفط القديم له ايمان لا يتزحزح ومبدأ لا يتأرجح وله من المقدرة والذكاء وأنواع الوسائل ما تمكنه أن يذهب بالسر « جون كادمن » الى الشط ويرجعه هلكان من العطش ، واذا لا يرتاح بالك من

أقوالهم هذه فترجع على بحث النفط من جديد قالوا لك هذه المـــرة : انـك خائن أو خرفان .

واذا احترق قلبك تألما وكتبت شيئا عن بعض أضرار خط حيفا ـ بغداد وما تخشى منه على مستقبل البلاد العربية قالوا لك : ان عقلك خفيف ودمـك ثقيل وأسندوا اليك ضعف الحكمة وقُصر البصر وأثبتوا لك بأن اذا امتـدت تلك السكة فى وسط البلاد العربية وهى تحت نفوذ الانكليز سنكون نحن أسياد الانكليز وسنركب على أكتافهم وسنطلع كل « دردنا » فيهم ولربمـــا نفتح لندن أيضا بعد أن نستولى على طريق الهند !...

واذا تجاسرت وبينت بكل اخلاص بعض عيوب المعاهدة « المقدســـة » التى اعترف بوجودها وأسف لذلك حتى أبطال المعاهدة أنفسهم ، قام عليـك اولئك الطفيليون وأقسموا بأنك كفرت وان ابليس دخل صدرك ، والعيـاذ بالله ، ونصحوك أن تلتزم « پهريز » فيما يختص بجهـــة همفريز ... واذا وصلت روحك يوما الى خشمك ولمت الحلفاء على نكثهم العهود قامت عـــلى رأسك مائة قيامة لانك اقلقت الامن الداخلى والامن الخارجى وما بينهما ومـا تحت الثـــرى ...

واذا توهمت ـ وسبحان من لا يتوهم ـ وقلت كلمة واحدة فى البرلمان الموقر ذهب جلدك الى الدباغ بل والى سوق الخفافين ...

وهكذا ان قلت أسود قالوا : أبيض وان قلت : أحمر . قالوا : أخضر . وطبعا الحق دائما معهم والباطل لازق فيك لزقة القير لانك مغرض وهـــم مخلصون ولانك سكران وهم صاحون ولانك « أعمى دوشيش » وهم يرون البرغوث من درب يومين ...

هذه الاســـباب وغيرها من نوعهـــا جعلتنى ألتجىء الى « البرنوطى » تاركا المواضيع المهمة الى اولئك «المخلصين» فهى «كاشير» لهـم ، و «طاريف» لسواهم . واذا تركنا بحث النفط والارض والمعارف والجندية والداخليـــة

والخارجية وعصبة الامم والاستقلال التام وخط حبفا ـ بغداد الى الموافقين المتحمسين ورحمنا بحال المعارضين وتركنا لهم مثلا تحسين العاصمة ومشروع عقرقوف وغيرها من الامور المحلية فلا يبقى لنا نحن المحايدين سوى درس مستقبل البرنوطي وما شاكل ذلك من الامور التي لا تهم الانكليز ولا الحكومة ولا الاخوان المتحمسين ••• ولكن على كل حال البرنوطي أحسن من (الماكو) ولله الحمد !

ان فوائد البرنوطي لا تعد ولا تحصى ولاجله اننا لا نقصد تعدادها واحصاءها بل نكتفي بذكر ما يهم الحال والزمان : ـ

١ ـ ألبرنوطي : هو أحد المصنوعات الوطنية فيجب على كل وطني أن يستعمله •

٢ ـ في استعمال البرنوطي اقتصاد كبير واليوم معلومكم يوم اقتصاد فيجب على أبطال الاقتصاد أن يهتموا به اهتمامهم بالنفط وغيره •

٣ ـ البرنوطي منبه ، وهل على وجه الارض شعب يحتاج الى التنبيه أكثر منا ؟ فاننا نحث أبناء وطننا على استعماله بدون تأخير والتنبيه يأتي من مادة تدغدغ الغشاء المخاطي في المنخار • وهذا التدغدغ يولّد العطسه والعطسة تفتح العين واذا فتحت أعيننا ربما نبصر ، واذا أبصرنا ربما نفهم ••• وهو على كل شيء قدير •••

هذا ما خطر ببالنا وليس من البعيد ، ان حلفاءنا سيتركوننا ندبر أمر البرنوطي من غير استشارة أو مشورة • لا بل اذا حاول الانكليز أن يرشدونا في قضية البرنوطي أيضا ويأتونا بمفتش من لندن فاني أسحب كلامي • وليذهب البرنوطي مع النفط و « هاالطبر فوق هاالكلك !! »

---

* نشرتها جريدة العالم في ٢٨ شباط ١٩٣١ •

الاخلاص قبل كل شيء !*

[في سنة ١٩٣١ أتى المهاتما غاندي الى لوزان وألقى محاضرة قيمة حضرتها وقابلته بعدها مقابلة خاصة . جرى خلالها حديث حول استقلال الهند والبلاد العربية . فتأثرت لما سمعت منه من كلام رزين وما لمسته فيه من اخلاص شديد وايمان متين في قضايا الشعوب المظلومة التي ستنال يوما مبتغاها اذا تمسكت بالاخلاص واعتصمت بحبل الله والوطن] .

يعتقد البعض منا نحن العراقيين ان أشد ما نحتاج اليه اليوم في محنتنا هو المال . ويظن بعضنا ان الثقافة هي أأمن الوسائل التي توصلنا الى شاطىء النجاة . وفينا أيضا من يدعي ان صداقة بريطانيا العظمى الثمينة هي الطريق المستقيم الوحيد المؤدي بنا الى الحرية والاستقلال التام ...

اننا لا ننكر أهمية المال والعلم . كما أننا لا نجهل ثمن الصداقة البريطانية . ولكننا نعتقد ان المال والعلم وصداقة بريطانيا العظمى لا تكفي ولا تفي - بل انها تضر وتخرب - من غير الاخلاص !

نعم ! نحتاج الى مال كثير ، والى علم مفيد - وان أردتم - على صداقة وتحالف أيضا . ولكنا قبل ذلك كله وقبل كل شيء نحتاج الى الاخلاص .

ان الذي رمانا في هذه الحفرة الملعونة وصيّرنا شعبا وحكومة كالكرة تتقاذفها أقدام المستعمرين ، واصحاب رؤوس الاموال الغرباء ، لم يكن فقدان السلاح أو قلة المال أو انتشار الجهل . بل كان ولم يزل السبب الاعظم لذلك « فقدان الاخلاص » و « ضعف الايمان » و « تفسخ الاخلاق » ! يستطيع الانسان - ان كان له ايمان صلب في قلبه - أن يكون قويا من غير سلاح ، وغنيا من غير مال وفطنا من غير علم ، وآمناً من غير تحالف . ولكن

اذا جرّدنا منه الاعتماد على النفس ، ونزعنا منه الايمان ، أصبح فى الحال ذليلا ضعيفا لا يحميه السلاح ، ولا يرقّيه المال ، ولا يهديه العلم ، ولا ينجيه التحالف . فالاخلاص المبنى على قوة الاخلاق وشرف النفس هو الاول والاخر فى حياة المرء ولنا فى نفس البطل العظيم غاندى أحسن مثال لهذا الاخلاص الكامل ، ولنا فى ذلك ، درس بليغ وعبرة كبيرة . ان المال فى الهند مبذول ، والانفس أكثر منه ابتذالا ، والعلم لا بأس به ، وصداقة بريطانيا العظمى موجودة منذ عصرين أو أكثر . غير ان كل ذلك لم ينفع الهند ولم ينقذها من بليتها حتى بعث الله اليها رسول الاخلاص فى شخص غاندى فكان لها خير نهضة وقيام !

نزل غاندى الى ميدان الجهاد الوطنى متسلحا بالاخلاص ، ومعتمدا على نفسه ، ومعتصما بالحق فصارع أقوى دولة فى العالم ،وأكثرها بطشا فلم ترهبه السيوف ، ولم يغره المال ولم يخدعه العلم والسياسة ، ولم يصده عن غايته الكبرى شيء فى العالم . وبعد ذلك الجدال العنيف يخرج اليوم غاندى مظفرا ، يخضع له أرباب المال ، ويهتف له أرباب العلم ، ويخرّ له أرباب السيوف سُجدا ... أما هو فلم يزل كما كان : بسيطا ، متواضعا ، وجسما كأنه بلا روح ، أو روحا عظيمة كأنها بلا جسم ... فالذى نحتاج اليه أشد الاحتياج لقضيتنا نحن العراقيين هو ذرة من اخلاص غاندي ، وجزء من ايمانه الوطنى ! أقول «ذرة وجزء» لان القضية العراقية لا تحتاج ـ وهى بسيطة بالنسبة الى قضية الهند ... كل تلك التضحيات ، والى كل تلك المعجزات ! ...

ولكن أنى تأتينا تلك الذرّة وذلك الجزء ونحن راكضون يمينا وشمالا نبحث عما يرضى أهواءنا ، ويشبع بطوننا ، ويملأ جيوبنا وعيوننا ، تاركين الغد وأبناءه ، والوطن وما فيه الى جهنم وبئس المصير !

كيف ينمو الايمان فى قلوبنا ، ونحن لا نعتمد على أنفسنا ولا نخـــدم مبادئنا ولا نهتم بأقوالنا ، بل نفعل كل يوم ما لا نقول ، ونقول كل ســـاعة ما لا نفعـــل ؟

كيف تصان الاخلاق فى محيط فسدت فيه أخلاق الكثيرين من رجاله وزعمائه ؟ كيف تنقذ بلدا أفسده أبناؤه ، فدمره الاستعمار ؟

على أننا لا ندعي ان مشكلة الاخلاص قد انطفأت ، أو ان بذرة الايمان ماتت بالمرة . ولكنا على كل حال فى بحران عظيم يجب أن نعالجه بكل سرعة واتقان ، حتى ننقذ تلك الشعلة الضعيفة من الانطفاء ، وتلك البذرة النحيفـة من الهـــلاك .

أما الآن فعلينا كلنا أن نولي وجوهنا شطر الهنـــد لنعلم ما معنى حُب الوطن ومعنى الرجولة هاتفين : « الاخــــلاص قبل كل شيء ! الاخـلاص الحقيقى العملى ! » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢١ آذار ١٩٣١ .

لا تخافوا ولا تحزنوا !*

[ان شركات النفط كانت ولا زالت من أساطين الاستعمار وهي المحرك الحقيقي لتلك المكائن وهي المدبر لتلك المكائد .. وكان العراق في تلك الايام « العوبة » بين أيدي المستشارين ومدراء شركات النفط ... وكان السر جون كادمن بطلا مشهورا في تلك الميادين ...] .

[الاخبار الانكليزية تقول ـ كما نشرنا أمس ـ ان المفاوضات النفطية انتهت بحصول الاتفاق على مقاولة جديدة ، وان هذه المقاولة أو الاتفاقية تم أمر عقدها يوم الثلاثاء الماضي . وأما الاخبار الصادرة عن المراجع العراقية المختصة فتنفي ذلك ، وتقول انه لم يتم أي شيء حتى الآن . وبين هذا وذاك وقع الكُتّاب والمخبرون في الحيرة في حين ان الحس العام يشعر بأن القضية منتهية ، وان مناورات السياسة القهارة لا حد لها ولا قرار ... وبينما نحن في هذه الحالة ، هبطت علينا أمس من « لوزان » رسالة ضافية كتبها للعالم العربي الناقد العراقي المشهور « علوان أبو شرارة » بتاريخ ١٩ الجاري في مسألة انقطاع المفاوضات النفطية . ولا بأس بأن ننشرها الآن لما فيها من الفوائد ، والحث على التصلب . وهذه هي :]

جريدة « العالم العربي »

لا تخافوا ولا تحزنوا !

انقطعت المفاوضات النفطية !

ـ لا تخافوا ! ويا ليتها « قطعة بلا وصلة » و « روحة بلا رجعة » سافر السر جون كادمن تاركا من ورائه كلمته الاخير !

– لا تحزنوا ! الله ومحمد وعلي وياه ! يروح واحد ويجيء عشرة !

اننا لا نأسف لانقطاع المفاوضات مع شركة لعبت بنا « شـــاطي باطي » منذ ست سنوات • فأرتنا ان الموت حق وان الحياة عذاب أليم !

اننا لا نحزن من سفر السر جون كادمن الذى اشتهر فى العالم النفطى بأنه يأخذ بالقنطار ، ويعطي بالمثقال وبتطليع الروح !

أننا لا نأسف ولا نحـزن ، بل بعكس ذلك نفـرح ونسر اذا تركتنـا الشركة وولت الادبار ، فنكون أحرارا نتصرف فى نفطنا كيف نشـاء ولكن أنى لنا الخلاص منها وقد تزوجتنا زواجا لا طلاق فيه ولا فراق؟ كيف نتخلص من شرها وهى راجعة الينا من بعد حين وستبدأ لعب «الجنجلى بجنجلى صعدت فوق الجبلى»[1] من جديد؟ وستكون هى الراكبة على أكتافنا، حسب العادة ،وأكتافنا المركوبة حسب الاصول ؟ فاذا صح ان المفاوضين العراقيين متصلّبون هـــذه المرة ، فهذا مما يبعث فينا روح الامل وقد أصبحت على وشك الانطفاء ••••

أما كون الشركة تغضب من التصلب «وتضرب دبه وتعنفص» وتهدد فى لندن ، وترينا الموت فى بغداد ، فكل ذلك لا يوجب خوفنا ، فالنفط نفطنا وهو عندنا ولا يوجد الآن ـ والحمد لله ـ خطر حقيقى ، لا خطـــر تركى ، ولا عجمى ، ولا خطر وهابى ! والامر واضح والجو ساكن والشركات الاخرى مستعدة وحاضرة لقبول شروطنا مع تقبيل ايدينا وأرجلنا •••• والسر جون كادمن يعرف كل هذا وعليه فلا يغرنكم منه غضبه وحدّته وشدته ، فهـــو يحتاج الى نفطنا أكثر من غيره وسوف لا يتركنا وان قامت القيامة ••••

يجب علينا أن نتمسك كل التمســـك بحقوقنا غـــير مبالين بهـــذه الهوسات وبهـــذه المناورات لا سيما والنفط هو أول وآخر ما نملك بل هـــو

---

(١) لعبة قديمة كان اطفال بغداد يمارسونها •

« السابة والسرماية » فاذا تساهلنا فى أمره كتساهلنا بالامور الاخرى نكون قد رمينا السلاح الوحيد الذى بقى فى أيدينا . ويحق لنا من بعد ذلك أن ندفن أنفسنا بأيدينا « وأن ندور على موت جندرمة » ! وهنا أريد أن أقص عليكم واقعة نفطية تريكم كيف يتخلص المتصلب من الصلب :

أشارت الحكومة الروسية سنة ١٩١٦ على جارتها ايران أن تمنح امتيازا نفطيا لرجل روسي اسمه « كوشتاريا » وكانت ايران اذ ذاك فى موقع حرج فلبت دعوة الحكومة الروسية ومنحت الامتياز وأصبحت المناطق الشمالية الخمس ـ « گيلان ، استراباد ، أذربيجان ، خراسان ، مازندران » ـ مسرحا للاستعمار الروسى . وأخذت ايران تحمد الله وتلعن الشيطان وهى تنتظر الفرج .... ثم تبدلت الايام وانقلب الطاس وسقطت الحكومة الروسية القيصرية وأتى البولشفيك فتنفست ايران وزال عنها كابوس الاستعمار .... ولما رأى « كوشتاريا » ان الامور انقلبت رأسا على عقب أراد التخلص من الامتياز النفطى وعرضه على الشركة الانكليزية الفارسية فاشترته هذه سنة ١٩٢٠ بمائة ألف باون . وبنت عليه آمالا ذهبية . وظنت انها ستملك شمال ايران كماملكت جنوبها بواسطةامتياز سنة ١٩٠١ ... غير ان البولشفيك أنقذوا ايران من جشع الشركة الانكليزية الفارسية ، وذلك بعقد معاهدة مع الحكومة الايرانية ، تلغى جميع الامتيازات التى منحتها ايران للحكومة القيصرية وعليه فقد أصبح امتياز « كوشتاريا » لا يصلح الا لوجع الرأس ! وعلى أثر هذا الالغاء قامت القيامة الانكليزية : نصائح واستشارات وتهديدات وهوسات وطرقات ! ... ولكن كل ذلك لم يؤثر شيئا على الحكومة الايرانية . فهى بقيت ثابتة ومتصلبة . ودخلت فى مفاوضات جديدة مع شركة « ستاندرد » الاميركية وهى عدوة الشركة الانكليزية الفارسية ، وأكبر مزاحم لها .

وتوترت العلاقات البريطانية الامريكية من ذلك السبب • وزاد الطين بلة مؤتمر « سان ريمو » المشؤوم ، الذى تم بفضل السر جون كادمن وأمثاله من أساطين النفط ، وكادت الحرب تنفجر بين الشعبين •••• ولكن لما رأى الانكليز ان الحديدة حارة ، أوفدوا السر جون كادمن الى أمريكا والنتيجة كانت ان الامريكان قبلوا اشتراك الشركة الانكليزية الفارسية فى رأس مال « المشروع الايرانى » ووافق الانكليز على اعطاء ٢٣٪٥ فى المائة من أسهم « مشروع الموصل » لى الامريكان بتطبيق الانتداب وكان ما كان ••••

ولما رأت ايران ان الشركة الانكليزية الفارسية دخلت فى القضية من جديد رفضت تصديق الامتياز لان احدى مواده تجبر شركة « ستاندار » الامريكية على عدم التنازل عن حقوق الامتياز المذكور أو عن قسم من تلك الحقوق لاية شركة انكليزية • وهذه المرة قامت قيامة الانكليز والامريكان قومة واحدة : نصائح ومشاورات ومناورات وهوسات وطرقات ••• أما ايران فكانت ثابتة ومتصلبة ولم تتزحزح بقدر شعرة !••• وأخذ الانكليز ينظرون الى الامريكان والامريكان ينظرون الى الانكليز ، وكلهم متعجبون من ثبات حكومة طهران وتصلبها ••••

وبينما الشركة الانكليزية الفارسية وشركة « ستاندار » كانتا تفتشان عن طريقة حل دخلت ايران فى مفاوضات جديدة مع شركة « سنكلير » الامريكية • غير ان هذه المفاوضات الجديدة لم تلد شيئا لانه قد شاع فى وقته ا ن وكيل سنكلير قدم « هدية » قدرها ٢٧٥ ألف دولار الى أحد الوزراء الايرانيين ، وعليه طردت الحكومة الايرانية وكيل سنكلير وسدت ذلك الباب ••• ثم أتت شركة يابانية وقدمت شروطها ••• ثم أتت شركة افرنسية كبيرة وعرضت على ايران عشرة مليونات باون بمثابة قرض مع ٢٠ فى المائة من الربح •••

ولكن ايران تصلبت وتصلبت الى النهاية فتخلصت من شر المستعمرين وأخذت الآن تشتغل فى المشروع لنفسها !....

ولاجله اذا رأينا اليوم كادمن يتركنا وهو غير راضٍ عنا فذلك خير لنا من أن نراه مسرورا مغتبطا بأنه قد « لفلفنا » . أما « كلمته الاخيرة » فلا تخافوا منها وقد سمع العالم قبلها كلمات « يا بو كلمات » !

فعلينا اذن كلنا أن نتصلب أشد التصلب أمام ملوك النفط الطامعين . وعلينا أن نحث المفاوضين العراقيين على الزيادة فى التصلب ازاء السر جون كادمن وغيره من أبطال الاستعمار !

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٨ آذار ١٩٣١ .

يبكون على رجال الصدق*

[اتحاد كلمة العرب هي غـاية كل
عربي عاقـل ومخلص ... وفي سنة
١٩٣١ حصلت محاولة لعقد حلف عربي
بين العراق والسعودية واليمن ...
فسرت القلوب وابتهجت النفوس ...
ولكن مع الاسف أخذت الريبة والشكوك
تحل محل الابتهاج والسرور عندما شاع
أن الوسيطة لذلك كانت السياسة
البريطانية وقد بقى المشروع عاقرا ...]

حول الحلف العربي :

لي في برلين صديق « جرمني » يهتم بالعرب وبالقضية العربية أكثر من اهتمام أبناء يعرب بأنفسهم وبقضيتهم فلما رآني هذه المرة ، وقبل السلام والسؤال عن « الكيف والاحوال » سألني رأيي حول الحلف العربي وماذا حصل وماذا سيحصل .... قلت له ان العرب كلهم قانعون بضرورة اتحاد كلمتهم والحلف العربي هو غايتهم الكبرى قال : اذا كان الامر كذلك فلماذا قامت قيامة أكثر الصحف العربية في العراق والاقطار الاخرى على هذا المشرع الذي أخذت تقوم به الآن الحكومة العراقية ؟... سؤال معقول .... غير ان الاجابة عليه تقتضي تحليلا وتشريحا وتفسيرا وتأويلا . وهنالك طلعات ودخلات ونزلات وصعدات وفوق كل ذلك ان الشغلة لم تزل غير واضحة . فجماعة تقول انه حلف عربي ابن عربي . وأخرى تدعي انه انكليزي ابن انكليزي . وثالثة تؤكد بأن القضية ليس لها علاقة بالحلف أو التحالف بل انما هي معاهدة حسن الجوار وحق الجار على الجار . وأبوكم الله يرحمه .... لهذه الاسباب رأيت أن لا أخوض في هذا البحث فأدوخ رأس صاحبي الجرمني قبل أن تزول سحابات الشك والتردد حول الحلف

العربى بل أكتفى ببيان الاسباب التى أقلقت العرب وولدت الخوف والريبة في قلوبهم •

قلت له : يا عزيزى الهر ! اسمح لي أن أقص عليك قصة الواوي ولها شبه كبير بقصة العرب اليوم ••••

يوما من الايام جماعة من أبناء الحلال مروا بالواوي وقالوا له : يا أبا الويو ! عندنا لك بشارة ـ قال خير انشاء الله ! ـ قالوا سمعنا من منبع مضبوط ان ملك الوحوش قرر أن يسجنك فى بيت الدجاج • فعاد ما تموت الا بخنق !! فلما سمع الواوي هذا الخبر أخذ يتوارى بالتراب ويلطم ويكفخ على رأسه ويبكى ويعيط • أما الناس فاستغربوا كل الاستغراب من هذا العمل وقالوا له معاتبين : انما أمرك عجيب يا أبا الويو ! يحبسوك مع الدجاج وانت تبكى وتشتكى ؟ فنظر اليهم الواوى ساخرا وقال : يا مساكين اننى أبكي على رجال الصدق !

فالعرب يا صاحبى الهر ! لم يقيموا القيامة ضد الحلف العربى بل انهم أقاموها ضد دسائس الانكليز ـ وقالوا هذه خديعة جديدة فصاروا يحذرون الناس ويتخوفون ويبكون على رجال الصدق ، كما بكى الواوى •

وعلينا أن لا نلوم الخائفين المتشائمين بل أن نفهم وندرس سبب خوفهم وتشاؤمهم • ان العرب ذاقوا أكثر من مرة مرارة المواعيد الفارغة واذا كان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فان العرب المؤمنين قد لُدغوا مرارا ولذا أصبحوا لا يؤمنون بمواعيد المستعمرين ولا يرتاحون من كل أمر فيه رائحة أو مشورة أو اشارة من المستعمرين ••••

أين الامبراطورية العربية الكبرى ؟ أين الاستقلال التام ؟ أين اتحاد العرب ؟ أين تلك المواعيد الخلابة فى سنة ١٩١٦ ؟ أين الملك حسين ؟ أين الحكومة السورية العربية ؟ ـ كلها هواء فى هواء •••• ولم يبق لدينا سوى هذا الاستقلال الاعور الاعرج وهذا الانتداب الثقيل ووعد بلفور وموت من

الجوع وضرب يمنيّات الى الصبح .... أى نعم ! « هذا الصفى يا مصطفى » والخير الى قُدام !...

انى لست من الخائفين أو المتشائمين من الحركة التى يقوم بها اليـــوم العراق وعندى ان الحركة بركة . فاذا أتانا الوفـد العراقى بحلف عـــربى حقيقى فعلى العين والرأس . وسيكون العرب كلهم له من الشاكرين .... واذا رجع من غير حلف سياسى ـ وهذا هو أقرب شىء للواقـــع ـ بل أزال الموانع وقرّب بين الامراء من العرب فقط فسعيه أيضا على العين والرأس ، والقليل خير من « الماكو » . أما اذا رجع الوفد فارغ اليد بالمرّة ولم يحصـل لا خير ولا شر من هذه السفرة فسنقول له آسفين « تيتي تيتى مثل مارحتـي جيتى » ونكتفى بذلك .... والسياسة مثل صيد السمك والشبكة مرة تصيد ومرة تطلع فارغة !

قلت اننى لست من الخائفين أو المتشائمين فى مسألة الحلف العربى ولكننى لا ألوم الخائفين أو المتشائمين لان دسائس المستعمرين لا حد لها ولا حساب . والخوف هنا اذا أتى من الاخلاص يعد كياسة وعقلا . واذا أتى من أسـباب شخصية فهو طبعا مردود ويعد جبنا وقلة عقل . فاننى أقدّر خوف المخلصين وان لم أشترك فيه ولا أشترك فيه لاننى أعتقد ان ابن السعود والامام يحيى وفيصل ابن الحسين هم بعيدون جدا من أن يخدعوا فى هذا ، كما انهم بعيدون جدا من أن يضحكوا على ذقن الامة العربية ... ولكن للاستعمار دواليب اللـــه يسترنا منها ...

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٦ آيار ١٩٣١ .

البشر قبل البقر*

[من المضحكات ان بعض رجال العهود الماضية كانوا يهتمون كل الاهتمام باصلاح النباتات والحيوانات تاركين أحوال البشر وعيشهم غير آبهين بمستقبل الابناء وحاضر الآباء ، ذلك لان « الارشاد » لا يسمح لهم بتبديل الحال فصبوا نشاطهم على تحسين نوع البقر بدلا من تحسين حالة البشر] .

قرأت اليوم فى احدى الجرائد العراقية مقالا أعجبنى جدا ... أعجبنى جدا لانه خال من المسبات والشتائم التى أصبحت « قوة » الصحافة العراقية . ولان الموضوع موضوع حيوي لا علاقة له لا بسياسة البلاد ولا بتطاحن أحزابها ...

فكاتب المقال المذكور يثني على الحكومة العراقية ويقدر سعيها على تحسين المنتجات الوطنية وذلك لانها قد قررت ـ حسب ادعائه ـ أن تحسن نوع الحنطة ، وجنس الغنم والبقر ، وزرع البصل ...

موضوع مفيد !... موضوع لطيف !... لا سيما واننا ـ والكلام يسركم ـ « عجزنا » من مسألة النفط ، وقضية الاحزاب ، ودعاوى سكة حيفا ـ بغداد ... اني أشترك مع الكاتب الفاضل فى ثنائه وتقديره للحكومة العراقية ... ولكن « شغلة » واحدة جلبت نظر دقتي : يظهر ان رجالات العراق كلهم يهتمون بمستقبل الحيوانات والنباتات العراقية أكثر من اهتمامهم بأمر البشر العراقى ! رأينا مثلا فى السابق أحد الوزراء منهمكا باصلاح نوع الدجاج ، ونوع البغال وجنس الغنم ولم يرتح قلبه الا من بعد وصول ديوك الهند وحمير الاندلس وغنم اوستراليا ، للقيام بتلك المهمة . وقال لي أحدهم يوما ـ والخطية طبعا فى رقبته ـ لانى أنا فى سويسرة ، وهو كان آتيا من بغداد ـ ان زعيما كبيرا من زعمائنا السابقين تشبث فى اصلاح جنس

« الخنافس » العراقية ، وأراد أن يجلب مقدارا كافيا من خنافس اوستراليا لذلك الغرض ، ولكن ـ ربك حميد ـ أكثرية أعوانه وزملائه لم توافق حينئذ على اقتراحه ، بل رفضته رفضا باتا • وهذه مفخرة فى تاريخ الاكثريات • وستذكر الخنافس العراقية تلك الوقفة مدى الحياة ، لان تلك الوقفة كفتها شر الخنافس الغريبة ••• داعيكم ـ مبدئيا ـ أحب الاصلاح ولذا أقدر أعمال رجالنا السابقين والحاضرين والمقبلين الذين يقومون باصلاح أى شيء كان ، من الدجاج والبغال الى الاغنام والبقر ، الى الحنطة والبصل • وسيطير قلبي فرحا اذا رأيت يوما من الايام كل بغالنا « سمانا وثخانا » اذا مرت بالشارع العام تسحر القلوب بجمالها • واذا أصبح الدجاج العراقى أجمل من الطاؤوس الهندى ، والاغنام العراقية ذوات ثلاثة قرون فاكثر ، والخنافس العراقية لا تنشر الا الروائح الطيبة فتصبح بيوتنا معطرة بالفل والياسمين وأى وطني منصف لا يُسَر اذا كان التتن العراقى مثل العنبر ، والدخن ألذ من اللوز ، والشلغم أطيب من العنبة ، والبصل أحلى من العرموط ؟ غير انى مع اعجابى بهذه الاصلاحات أود جدا ان أرى أحد رجالاتنا يهتم اهتماما خاصا فى اصلاح البشر العراقى ، ويسعى الى قطع دابر الخلاعة والسفاهة والسكر والقمار وجميع الرذائل المنتشرة كل الانتشار بين الكثيرين من أفراد الطبقات العليا والوسطى والسفلى •••

أى نعم ! أود جدا أن يرسل الله لنا رسولا مصلحا فيصلح ما فسد ، ويقطع ما تفسخ ، ويسد سوق النفاق والتبصبص ، ويغلق باب المسبات والشتائم ، ويعلمنا أشياء كثيرة نجهلها ، فيكون لدينا طبقة راقية علما وأخلاقا ، لها ايمان فى صدرها ، ودم طاهر فى شرايينها ، تفي اذا وعدت ، وتصدق اذا قالت ، ولا تلطع بعد أن تفلت !••• واذا تم هذا الاصلاح البشرى سيكون عندنا شبان عزيزة نفوسهم ، وكبير اباؤهم ، ورجال يحترمون المبادىء

الشخصية والسياسية التى يصيبها اليوم عند الكثيرين منا كنصيب « فردة اليمني العتيق » !

وسيكون عندنا مفكرون وزعماء يفرقون بين الاسود والابيض ، وبين الاستعمار والاستقلال ، فيهدمون كل ما بناه المستعمرون ليخدعونا فيحكمونا برضانا ... وسنتخلص من الانتداب ومن الحماية من سياسة « المعتدلين جدا » الذين جهلوا كل الحقائق وتمسكوا بنظرية واحدة هى : اننا ضعفاء وحلفاؤنا أقوياء . والقوي يأكل الضعيف « اذن عوافى وماء صافى ! » .

وسيكون عندنا سياسيون يطالبون بحقوق البلاد ولا يقنعون بانتخاب « أهون الشرور » فى القضايا الحيوية كما فعل حتى الآن ، الكثير من رجالنا الذين صيّرهم الوضع الشاذ أبرد من الزمهرير وأخوف من الططوة ! فعلى المصلحين عندنا أن يباشروا بهذه الاصلاحات قبل اشتغالهم فيما يختص بالحيوان والنبات ... فحاجتنا الى الرجال أشد منها الى الثوم والبصل وحمير اسبانيا وخنافس اوستراليا ! وفى كل العالم « البشر يأتى قبل البقر » ... « تمام لو لا ؟ » .

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٥ حزيران ١٩٣١ .

عليكم أنفســـكم* ...

[فى يوم من أيام العراك بشــأن معاهدة ١٩٣٠ قام أحد النواب المؤيدين لها من الحزب الفاشوشي وهاجم هجومـا عنيفا الصحافة والكتاب الذين عارضـوا المعاهدة وكتبوا عنها ما كتبوا ... وقـد تصاعد فى جوفه الحماس حتى اتهمهـم بعدم الاخلاص وانعدام الضمير كل هـذا لانه من « الفاشيستيين » المغالين فى حب المعاهدة والانكليز بدون تروي وبلا مقياس أو ميزان] .

وردت الينا أمس بالعنوان المتقدم مقالة شيقة ، من حضرة مكاتبنا النقـاد النزيه المعروف « موسى بك الشابندر » الذى لا يزال يتبرع منذ عدة سنوات على « العالم العربى » بمقالاته النفيسة المذيلة بتوقيع « علوان أبـو شرارة » . وقد تلقينا من حضرته أيضا كتابا يطلب فيه بالحاح نشر تلك المقالة التى يشعر بضرورة نشرها « دفاعا عن نفسه وعن الكتـاب المخلصين » فرأينا من الواجب النزول عند رغبته المشروعة . وهذا هو نص كتابه ، ونص مقاله ننشرهمـا شاكرين له عواطفه الوطنية الحارة النزيهة السامية :

١ ـ الكتـــاب

« العالم العربى »

لوزان فى ١ جون ١٩٣١

عزيزى الاستاذ سليم أفندى حسون المحترم ،

أرسل اليكم اليوم مقالا أرد فيه على هجمات « النائب السمين » . وبمـا اننى ممن يكتبون فى الجرائد العراقية رأيت « من الضرورى أن أدافع عـن نفسى وعن الكتّاب المخلصين » فأرجوكم أن تنشروا مقالى هذا على كل حال .

وان أردتم فانشروه تحت اسمى الحقيقى وانى أتحمل المسؤولية الادبية والمادية وكل مسؤولية تحصل من نشر هذا المقال . فالسكوت التام أمام هذه الهجمات لا يجوز أبدا . اذ انالكتاب لهم موقعهم فى المجتمع . والذى يريد أن يحترم نفسه عليه أن يحترمهم ، وأن لا يقول ما يعلم وما لا يعلم !

أقدم اليكم شكرى وتحياتى ؟

المخلص

موسى الشابندر

٢ ـ عليكم أنفسكم ...

كتبت قبل سنتين أو أكثر مقالة بسيطة موضوعها « حلم » رأيته عن مجلس النواب أيام تصديق المرسومين المعهودين ، وامتياز اللطيفية . ولا أدرى كيف « تزحلق » قلمى بوقته ـ وسبحان من لا يتزحلق قلمه ! وقلت بأسف شديد ، ان المجلس المذكور تراءى لي حينئذ « فى الحلم » كأنه « خان جغان » ! ... فقامت القيامة يومها على رأس سليم حسون وهو « لا ماكل ولا شارب » وأوشك جلد « العالم العربى » أن يروح الى الدباغ من سبب حلم مزعج أراني اياه الشيطان الرجيم ... منذ ذلك اليوم صرت أتباعد عن كل شيء له صلة بالمجالس . وكلما ساقتنى الضرورة الى بحث فيه « نواب » أو « مجلس » صرت أستعمل الكلمات المزوقة المعسولة ... وأعتقد ان القراء قد لاحظوا اننى منذ سنين لا أذكر كلمة « مجلس » من غير أن ألصق فيها حالا كلمة « موقر » كي لا يحصل « زعل » و « كسر خاطر » بدون لزوم . ولكى يخلص سليم حسون والعالم العربى من بلاء الوضع الشاذ ومن شر ما خلق ...

ومع شدة رغبتى فى الابتعاد عن المجالس تسوقنى الضرورة اليوم مرة أخرى أن أكتب هذه الاسطر وأخوض فى بحث النواب والمجلس ...

« الشغلة » فيها اذن خطر • وقانون المطبوعات الجديد « كسكين » مثل الموسى • ولكنى أتوكل على الرحمن الرحيم وهو رب المجلس والنواب • ولكنه رب الكتاب والصحف أيضا •••

* * *

قرأت ما قرأت عن اهتمام المجلس الموقر بقضية الصحافة وقانون المطبوعات الجديد • ويسرنى جدا ان أرى رجالنا يهتمون هكذا بالصحافة وبترتيبها وبتحسينها • وبما ان رجالات العراق لهم « هوس » كبير فى الاصلاح والتحسين اللذين قد شملا الحيوانات والنباتات ـ كما بينت ذلك فى مقالى الاخير المنشور فى العالم العربى ـ فمن البديهى أن يشتغلوا الآن بالكتاب والصحف • فكل هذا عال • وكل هذا يشرح القلب •••

غير ان الذى لم أفهمه فى هذه العملية هو المسبات والشتائم التى وجهها أحد النواب الى الجرائد والكتاب فى وسط المجلس الموقر الذى أخذ على عاتقه اصلاح أخلاق الكتاب والجرائد لان الجرائد صارت تسب وتشتم ••• واذا سُمح فى المجلس الموقر بسبٍ أو شتمٍ موجه الى الكتاب لانهم سبوا وشتموا بعضهم بعضا ، فالمسألة أخاف أن تطلع حينئذٍ مثل « عراك البلاءمة » • وأخاف أن يكون المجلس الموقر حينئذٍ مثل « طبيب يداوى الناس وهو عليل » •

قال أحد النواب انه لا يوجد جريدة شريفة فى العراق ـ وقد قرأت هذه الكلمة فى الجرائد الحكومية نفسها ـ وهكذا خلط الحمص بالزبيب وضرب الجرائد الفاشستية بغيرها ، وصبغ المعارض والموافق والمحايد بنفس الصبغ ! فانى وان كنت لا أوافق النائب المحترم على رأيه هنا ، أترك الكلام للجرائد العراقية نفسها •

ويظهر من قوله أيضا ان فى العراق كتابا يتناولون ما يتناولون من الدراهم من بعض الاجانب ثم يتظاهرون بالوطنية !! وان منهم من يكتب مقالات متباينة تحت أسماء مختلفة • وان فيهم من يمدح اذا أعطيته ويقدح

ان لم تعطه • وان منهم من يؤجر قلمه وضميره فيكتب ما يوحى اليه ••••

ويظهر ان النائب المحترم يعرف هؤلاء الكتاب ولا سيما الذين يأخذون ربَيات ولا يتكلمون على الاجانب • ويا حبذا لو ان حماسة النائب المحترم وجرأته وشدّته ساعدته حينئذٍ على ذكر أسمائهم حتى يعلم الناس من الصادق ومن الخائن • ولكى تسود وجوه وتبيض وجوه ! غير ان « الاعتدال » برّد حرارة قلب النائب المحترم فاكتفى بالسب والشتم بصورة عامة وشاملة الى أن قال « لا يوجد كاتب أو صحافى فى العراق يكتب عن عقيدة » • ليس من البعيد ان النائب المحترم لم يتعرف ، من سوء الطالع ، الا على كتّاب من غير عقيدة ومن غير ايمان ، فظن ان الكل هم على شاكلة من قد رأى وعرف •••

اني لا أنكر وجود جيش من بائعى الضمائر عندنا • وأعلم تماما بأن أسواق بيع الضمائر وتأجير الاقلام مفتوحة ، والشغل فيها ماشى أحسن من جميع الاشغال • وان عدد البائعين والمؤجرين ، مع الاسف كبير • وان الشارين والمستأجرين غير قليلين • وان السماسرة هنالك رابحون ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • ولكنى أقدر أن اؤكد للنائب المحترم انه بالرغم من تفسخ الاخلاق وسقوطها يوجد اليوم فى العراق كتّاب ذوو عقيدة راسخة ومبادىء ثابتة لا تزحزحها الربيات ولا يؤثر فيها الاستعمار ومكايده • ولذا كنت أود أن يستبدل النائب المحترم عبارته الشاملة لكل الكتاب بعبارة استثنائية تحمي الكتاب المخلصين من أدران أسواق بيع الضمائر !•••

وهنا أود أن أذكر النائب المحترم بأن أسواق بيع الضمائر هى ــ ويا للاسف ــ مفتوحة لكل الناس • فيدخلها بعض الكتاب ويدخلها غير الكتاب • فهذا يبيع ايمانه وذاك يؤجر قلمه ، وثالث لسانه ، ورابع وطنيته وحماسته ، وخامس وطنه وشرفه الخ ••• وفى هذه الاسواق المنحوسة يكون البائع والشاري والسمسار كلهم خائنين ، وكلهم مجرمين ، ولذا اذا قلنا از كل الكتاب أو كل السياسيين ينتمون الى تلك الاسواق نكون قد ظلمنا

الناس . والله لا يحب الظالمين !

وبالطبع انى أجلب نظر دقة النائب المحترم حول هذه النقطة اذا كان ادعاؤه ناتجا عن عقيدة صحيحة فقط . والا فان كان قصده الانتقام من الكتاب لان أحدهم نعته « بالنائب السمين » فانى لا أجادله فيما ذهب . لان « الشغلة تطلع مزعطة » ولم تُخلق النيابة أو الصحافة للاشتغال بهذه الامور التافهة...
ثم لا أرى سببا لغضب السمين اذا قالوا له « سمين » اذ ليس فى السمن أو الضعف أو القصر أو الطول شيء يستوجب العيب . وما أهمية الاجسام فى هذه الحياة حتى تتخذها سببا للشتم والطعن فى وسط المجالس التشريعية الموقرة ؟

وفى الاخير أقول لأولئك النواب المحترمين الذين لم يُظهروا حتى الآن من حماستهم ذرة واحدة ضد الاستعمار ، ولكنهم جردوا «أمواسهم» وهجموا على رأس الصحافة العراقية الاقرع ـ والامواس المثلومة لا تجرب الا على رأس اليتيم ـ أقول لهم ولاخوانهم من قبلهم ومن بعدهم الذين صدقوا وسيصدقون المعاهدات والامتيازات ، بلا تردد ولا وجل ، أقول لهم بكل احترام وعن عقيدة خالصة :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ اذا اهتديتم ! »
واذا كانت الهداية فى نظر بعض الناس هى عبارة عن تصديق المعاهدات والامتيازات التى أبرمتها المجالس الموقرة منذ عشر سنوات الى يومنا هذا فانى أتوسل الى الله عز وجل أن لا يهدينى أنا ، بل أن يحشرنى مع القوم « الكافرين » الذين لم ترتفع أيديهم يوم ارتفعت أيدى اولئك « المؤمنين » برسالة الحلفاء ، والموافقين على مطالب المستعمرين والله يهدي من يشاء ويُضل من يشاء وهو على كل شيء قدير ! .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١١ حزيران ١٩٣١ .

هذه ليست أول قارورة*

[المستعمرون الغربيون انقلبوا فجأة أتقياء زاهدين عندما احتلت اليابان منشوريا واستمرت فى عدائها ضد الصين .. فصاروا لا يحفظهم الله يولولون ويلطمون ويجتمعون ويهددون اليابان بالويل والثبور متهمين اياها بالاعتداء والاستعمار والفجور ... ناسين أعمالهم ومظالمهم وأساليب استعمارهم التى مهدت الطريق ودربت اليابان على تلك الاعمال ..] .

ان من درس قضية منشوريا وتتبع أطوارها منذ أن ابتدأت لا يستغرب من أعمال اليابان وان كانت تلك الاعمال مما يؤسف لوقوعها ...

أقول لا يستغرب لان اليابان تعلمت كل علمها من الاوربيين ودرست عليهم وختمت سياستهم ، وأساليبهم وهى الآن تؤدى الامتحان التطبيقى ويظهر انها « خاتمة وصايحين لها آمين » .

اننا بالطبع نتألم كثيرا أن نرى الشعوب الشرقية تأكل بعضها بعض وكنا نفضل أن نرى اليابان « تبيع مراجلها » لا على ابنة عمها الهادئة المسالمة بل على بعض الشعوب المعادية لليابان التى تكره اللون الاصفر كراهة تحريم ... ولكن مع الاسف فى هذه الدنيا « ما يأكل الكفخات الا رأس اليتيم » ... ومهما كان أسفنا شديدا لهذا الحادث الذى اذا طال يفت فى ساعد الشرق البعيد ، لا يمكننا نكران شغلة واحدة تجعلنا نبتسم ولو ان الوقت ليس وقت ضحك وابتسام ... هذه الشغلة هى اهتمام الحكومات الغربية المستعمرة فى الامر هذا وقيامها له وقعودها واجتماعها فى جنيف وفى باريس . وقامت القيامة وفار التنور كأنما هذه أول قارورة كسرت .. ومن كان « على باب الله » ويسمع بهذه « الخبصة » ويرى المسيو بريان وأصحابه « قلبهم محروق وبيتهم مهجوم » يقول : « والله هذوله ولد حلال بارك الله فيهم ! » ولكن

لسوء حظ الغربيين انه لم يبق على وجه الارض عدد كبير من اولئك البسطاء وصارت الناس تفرق بكل سهولة « ما بين البكاء على الحسين وبين اللطم على الهريسة » • ويقول البغداديون : « عندما يشيب الحرامي يصير جندرمة » مثل لطيف أراه ينطبق كل الانطباق على المستعمرين الغربيين فى قضية منشوريا• فالجماعة حفظهم الله تعجبوا من أعمال اليابان وضربها العهود وكلام الشرف عرض الحائط • واستغربوا انها « تتفل ثم تلطع » وتصافح باليمين وتطعن باليسار فى وقت واحد ، وتتفاوض فى جنيف وباريس وتطلب احترام المعاهدات وحماية الاقليات وصيانة الانفس والاموال فى منشوريا • وتصرخ وتعيط كأنما هى مظلومة بينما جنودها فى منشوريا دبروا ما دبروا والصين « أكلت الجراب » : نعم اليابان عملت كل هذا غير ان الله لا يستحي من الحق فهى لم تخترع هذه الاساليب « العوجة الفلجة » بل تعلمتها من الغربيين وصارت تستعملها بمهارة تامة !

لو درسنا تاريخ الاستعمار الاوربى من أوله لآخره لوجدنا ان المستعمرين كلهم استعملوا أمرّ الاساليب وأتعسها • فسياسة الاستعمار فى العالم كانت ولم تزل مبنية على الكذب والخداع والتفرقة والنفاق والظلم والاعتداء وكل ما يمكن تسجيله فى سجل نواقص الاخلاق •• فليت شعرى لماذا فارَ تنور المستعمرين اليوم من تصرفات اليابان وهى « أقل من الزلاطة » بالنسبة الى أعمالهم السابقة والحاضرة واللاحقة ؟

ربما يذهب البعض الى ان السياسة فى السابق كانت « شلّح واعبر » بينما الآن عندنا ما شاء الله عصبة أممية والشغل مضبوط !

نقول لمن تأتيه هذه الفكرة : اننا معكم ولنترك الماضى البعيد ولنأخذ منه القريب فقط والعصبة موجودة منذ عشرة سنوات : خذوا قصف الشام ••• خذوا مذابح الريف ••• خذوا مسألة البربر فى مراكش ••• خذوا فظائع طرابلس الغرب ••• خذوا قضايا مصر وفلسطين وسوريا والعراق •••

خذوا قضية الهند الخ ...

ماذا تجدون ؟ ـ تجدون أنفسا بريئة مزهقة ودماء زكية مسفوكة كالسيل ومعابد وزوايا مهدمة ، وزعماء فى المنافى والسجون ، والمجاهدين الابطال يقتلون كالمجرمين ... تجدون المكر والخداع فى كل شأن من الشؤون ونار الفتن موقدة لا تنطفىء ومفاوضات ومؤتمرات لا يعلم عددها الا الله ومنها مستدير وغير مستدير والظلم فى كل مكان ...

انظروا الى كل هذا ثم احكموا بين الغربيين واليابان فان اعتدت اليابان وسلبت ونهبت فليس على المستعمرين الغربيين أن يرشدوها ويهدوها الصراط المستقيم وهم فى الحقيقة أضل سبيلا منها . فيضحكنا تصرف هؤلاء المستعمرين وزهدهم من بعد منتصف الليل ، ومثلهم مثل ذلك الذئب المفترس الذى أخذ يدافع عن الغنم بعد أن سقطت أنيابه واعتراه الجرب ! .

ولا يخفى على الناس ان الغربيين لم يقيموا القيامة من أجل سواد عيون الصينيين ولا دفاعا عن حرية الشعوب ، بل العامل الوحيد هو خوفهم من استفحال أمر اليابانيين وتوسع نفوذهم فى الشرق مما يجعلهم خطرا كبيرا على المستعمرات التى فى آسيا . ويقول العقلاء ان الاستعمار كالترياك كلما تبتلع منه حبة تشتهى نفسك حبة أخرى الى أن تصبح « ترياكي دوبارة » ... ومنشوريا بالنسبة لليابان أول حبة . « والخير لقدام وجيب ليل وخذ عتابة » .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٢٩ كانون الثانى ١٩٣٢ .

أوربا مريضة*

[بقيت أوروبا بعد الحرب العالمية الاولى تعانى شتى الامراض فى جميع نواحى الحياة السياسية والاقتصادية تلك الامراض التى أدت بها الى الحرب العالمية الثانية وكادت تقضى عليها ... والعلة الاصلية كانت فى نفس أسس الحضارة الغربية المبنية على الاستعمار والجشع والقوة والجبروت ...] .

أينما ذهبت اليوم فى أوربا لا تسمع سوى حديث الازمة العامة ، وآلامها المبرحة . ومن الاوربيين من يتفاءل ويعتقد ان العاقبة ستكون بردا وسلاما ومنهم من يتشاءم ولا يرى فى أفق المستقبل غير ظلام حالك لا يمزّق سحبه سوى لهيب الحروب وسكون مخيف لا يقطعه الا دوي المدافع .

على ان مما لا يختلف فيه اثنان هو ان اوربا اليوم مريضة مدنفة وان الناس هنا حيارى ينظرون بقلق عظيم وهمٍّ مقيم وصبر نافذ وخوف دائم مما ستتمخض عنه الحوادث والايام . ومن غريب أمر ذلك المرض اختلاف الاخصائيين فى تشخيصه . فمن زاعم بأن الحرب العامة هى سببه الاوحد ومن قائل بأن التعويضات الحربية هى العامل الاكبر . وهناك أيضا من يُلقي التبعية على كاهل البلشفية أو الفاشستية أو الديمقراطية وهكذا نرى الاطباء السياسيين يعللون النفس بالامل فى التمكن من ازالة بعض الاعراض الفرعية تاركين جذور المرض الاصلى تتشعب وتمتد حتى استفحل فى كل ناحية من نواحى الحياة .

فالتعويضات الحربية والبطالة والتسليح وكثرة الانتاج والازمة الاقتصادية والمبادىء الشيوعية والفاشستية والغرور القومى المسمم بالانانية والخوف السائد على القلوب وما شابه ذلك ليست بأعراض تنفصل بعضها عن بعض بل هى فروع لمرض واحد يبدو فى كل دولة بشكل خاص . أما

المرض فى نظرنا فهو : فشل الحضارة الغربية .

وقد ولّدَ هذا المرض انعكاسات مختلفة الاشكال تبعا لطبائع الشعوب وأوضاعها الخاصة ففى روسيا مثلا أحدثت ثورة رجعية قوية ضد الرأسمالية التى هى حجر الاساس فى بناء الحضارة الغربية . وفى ايطاليا وممالك أخرى عديدة أثارت حركة قوية ضد الديمقراطية والحرية الشخصية وبصورة عامة تدهور العالم الغربى بحذافيره ، فى هاوية الفشل فكان ارتباك عظيم وخوف من المستقبل وأزمة عامة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

ان هذا المرض الاوربى قد استولى على كل ناحية من نواحى الحياة على اننا لا نريد أن ندرس منها هنا الا ناحيتين رئيسيتين هما السياسية والاقتصادية. ان الفشل فى هاتين الناحيتين يريك بوضوح فشل الحضارة الغربية ووهن أساسها .

الفشل السياسى :

السياسة الاوربية الحاضرة ، مبنية على الانانية القومية وهذه لم تكن فى يوم ما محورا تدور عليه غايات شريفة كالاخوة البشرية والتعاون بين الامم ، بل كان غرضها الوصول الى أعلى درجة من القوة لتحقيق الاغراض المادية ، فالدول العظمى لم تفكر فى حرية الشعوب أو السلم العالمى والحرية والرفاه لجميع البشر وانما كانت ولا تزال غايتها الوحيدة فى أكثر الاحيان التهام ما يمكن وما لا يمكن التهامه ...

فى بدء الامر كانت السياسة هى صاحبة الحكم المطلق ، ثم مرّ بها دور زاحمتها فيه الجندية . وقد ظفرت هذه على أيدى فردريك الكبير ونابليون الاول . اذ فى تلك الايام كانت السياسة آلة مسخّرة بين أيدى الجيوش وأركان الحرب ، ثم استرجعت نفوذها المفقود على يد مترنيخ وتاليران وغيرهما ، وبقيت هى الحاكم المطلق حتى ظهور بسمارك فى ألمانيا ونابليون الثالث فى فرنسا فعادت السيرة بين أبطال (سادوا) و (سيدان) الا ان عاملا

جديدا دخل منذ أواخر القرن الماضى ساحة النزاع وأخذ يزاحم السياسة والجندية فى أمر مصير الشعوب الغربية • العامل الجديد هذا هو الرأسمالية ، وقد نجحت فى الغرب نجاحا عظيما ، اذ لم تمض بضع سنوات حتى رأيناها قابضة على ناحية السياسة والجندية معا ولا شك فى انها عند انفجار بركان الحرب العظمى كانت هى المقرر الوحيد لمصير الشعوب الغربية • ففى انكلترة وأمريكا مثلا كانت هى الكل فى الكل ولم يكن نفوذها فى ألمانيا وفرنسا وروسيا واليابان أقل من نفوذ الجندية •••

فالسياسة الغربية التى كانت فيما مضى تحكم الجيش والاقتصاد باتت أسيرتهما مدى الحرب العظمى ومن بعدها وعندما انتهت الحرب وتقلص نفوذ الجندية فى أكثر الممالك ازدادت الرأسمالية قوة وبطشا وكانت وحدها الآمرة الناهية فاستولت على السياسة وأدت الى ارتباك العالم ، وباتت الدولة آلة مُسخَّرة بين أيدى المصارف والشركات الكبرى ، وأصبحت مناهج الحكومات مزيجا من السياسة العالمية وجشع الرأسمالية • وكان نتيجة ذلك الامر فشل السياسة الغربية وافلاسها أو بعبارة أخرى انهدام أكبر وأمتن صرح من صروح الحضارة الغربية •

المرض الاقتصادى :

مرض أوربا الاقتصادى ، هو أبو الامراض وأمها ، فهو الذى سبب افلاس السياسة الغربية بعد انتصاره عليها •

الاقتصاد الغربى مبنى على الرأسمالية وهذه مؤسسة على الجشع والانانية كما ذكرنا ، فالرأسمالية القومية ، سخرت السياسة والجيوش ، وسخرت العلم والفنون ، فأخذ كل شعب يحاول ابتلاع ما يملكه غيره ، والاستيلاء على ما يمكن الحصول عليه بغية الثراء • ومن شأن الرأسمالية انها لا تعرف الحق ولا الرحمة ، ولا الحب ولا المساواة ، وانها لا يمتلىء منها البطن ولا تشبع منها العين • ومن هذا تكونت سياسة مالية قومية لكل شعب ، غايتها الدفاع عن

النفس وسلب ما يمكن سلبه من الغير ، فكان هناك حواجز كمركية شلّت التجارة وأضعفت الصناعة وباتت منتجات كثيرة لا شاري لها ولو بأبخس الاثمان وتزايدت الآلات حتى أصبحت وبالا على العالم ، وخطرا على الرأسمالية نفسها ، وكلما تمت هذه التدابير فى الرأسمالية ازداد جيش العاطلين حتى أصبح العالم فى وضع اقتصادى غريب جدا فلدينا الآن مثلا ملايين الاطنان من الحبوب ، بينما الملايين من الانفس ، تتضور جوعا . وعندنا مئات الالوف من المخازن مكتظة بالمنسوجات ، ونصف البشر عراة الاجسام . وأينما ذهبت وجدت المعامل والمداخن ، ولكن ما يربو على العشرين مليونا من العمال عاطلين ، وانك لترى بعض المصارف والشركات غارقة فى الذهب وهى عاجزة عن الانتفاع به . بينما ممالك أخرى تستغيث من الفقر ولا تجد كسرة الخبز . فهذه الحالة الغريبة أولدت الخوف والظلم فى قلوب المالكين . واليأس وحُب الانتقام فى نفوس الخاسرين ، وهكذا أمسى العالم الغربى يتخبط فى ظلام حالك ، وقلق عظيم . فالمعسر فى خوف دائم من الهلاك ، والموسر فى ذعر مستمر خشية الافلاس . ونرى الناس سُكارى وما هم بسكارى . كل هذا مائل للعيان والرأسمالية الغربية ماضية فى غيّها ، تأبى التحول عن مسلكها أو الرجوع خطوة واحدة لمنع العالم من السقوط فى الهاوية اذ ان الطمع والانانية أعميا بصرها . فهى تؤثر ان تموت والذهب ملء جيوبها على أن تعيش وتفقد قسما من مالها ...

أما الفشل فى السياسة والاقتصاد . فقد تسرب بطبيعة الحال الى كل ناحية من نواحى الحياة فى الغرب : فى الصناعة ، فى الزراعة ، فى الاخلاق فى الحياة الاجتماعية ، فى حياة العائلة ، ولهذا لا نبالغ اذا قلنا ان أوربا مريضة بل ومريضة جدا . والآن هل يمكن شفاؤها ؟ نعم ذلك فى حيز الامكان ذ تمكن الاطباء السياسيون من استئصال المرض من جذوره بصورة جدية .

أما تحديد السلاح ، وتمديد آجال التعويضات ، واعادة النظر فى معاهدة

فرساي فيما يتعلق ببعض الحدود ، ومكافحة البلشفية . وميثاق كيلوج وعهد عصبة الامم وغير هذا من التدابير ، فهى عبارة عن حقن مورفين ، لتسكن الآلام مؤقتا ومتى زال تأثيرها عاد الالم أدهى مما كان وأمر .

ان ميثاق عصبة الامم مثلا لم يمنع موسوليني من ضرب جزيرة كورفو بالقنابل . ولم يؤخر ساراي دقيقة واحدة عن تدمير دمشق . وهذه اليابان اليوم توضح لنا معنى ميثاق (كيلوج - بريان) ومكافحة البلشفية بقيت نظرية جوفاء اذ ان الحكومات الرأسمالية هى التى أخذت فى مبادلة السوفيت البيع والشراء ، بغية الربح والانتفاع المؤقتين ، متناسية حتى مبادئها المقدسة . ومؤتمر نزع السلاح عبارة عن (سوق عكاظ) ليس فيه سوى الخطب البليغة والعبارات المزوقة ، فالتدابير التى اتخذها السياسيون لتحسين الحالة فى أوربا ، لم تأت بما ينفع غلة أو يشفى علة ، اذ انها اليوم أسوأ حالا مما كانت عليه اثر الحرب وما برحت تدنو من الخطر وتبتعد يوما بعد يوم عن سبيل النجاة ، فالذى يجب اصلاحه فى بناء الحضارة الغربية هو الاساس ، لا الجدران أو السقوف أو غير ذلك من الاجزاء التى هى الآن موضع العناية الاوربية واهتمامهم ، وخير للغربيين أن يدعموا أساس البناء بدلا من اضاعة أوقاتهم فى الطلاء والزخرفة ... اذا كانت ارادة القوم صحيحة فى انقاذ الحضارة الاوربية من مخالب الهلاك عليهم :

أولا - تحرير السياسة القومية من سيطرة الرأسمالية .

ثانيا - تأليف قوة سياسية دولية عامة تشترك فيها شعوب العالم أجمع تكون مهمتها تدبير السياسة العالمية على أساس العدل والحق فتمثل عصبة أمم حقيقية تدافع عن حقوق الضعيف وتزيل الاستعمار وشروره .

ثالثا - استئصال داء الرأسمالية من جذوره وقبول بعض أسس الاشتراكية المعتدلة فى الاقتصاد . فيتخلص العالم من شر أنانية الرأسمالية ومن ضغط البولشفية فى آن واحد .

رابعا ـ سن نظام دولي يراقب الاقتصاد العالمي ، كي يخلص العالـــم من المزاحمة المالية التي هي أصل البلاء ٠

خامسا ـ تشكيل دعاية واسعة النطاق تعمل لتقارب الشعوب وتضامنها وتسعى في هدم الانانية القومية المؤسسة على الطمع والظلم ، فاذا جرأ الغربيون وأقدموا على تبديل بعض الاسس في حضارتهم سلمت هذه وسلم العالم معها ، والا فالمرض الاوربي فتاك والحضارة الغربية مشرفة على الهلاك ٠

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٥ نيسان ١٩٣٢ ٠

العلم العراقى فى جنيف*

[سافرت من برلين الى جنيف كى أحضر حفلة دخول العراق عصبة الامم . وكم سررت أن أرى العلم العراقى مرفوعا أمام مقر عصبة الامم مما يدل على اننا قطعنا شوطا لا بأس به فى طريق الاستقلال .. طريق الخلاص من الانتداب والوضع الشاذ ومهازله ..] .

ما أصدق من قال ان الدنيا « چرخ فلك » يوم لك ويوم عليك ! عندما وصلت جنيف هذا الصباح ، أول شيء جلب نظرى فخفق له قلبى هو العلم العراقى المرفوع فوق المبانى الضخمة على شاطىء بحيرة لميان ... لما رأيت ذلك تذكرت الماضى وحمدت الله قائلا : سبحان من يبدل ولا يتبدل !

قبل احدى عشر عاما شهدت فى بغداد حادثا ألمنى كثيرا ، أود أن أنقله لك أيها القارىء كى ترى كيف تتقلب الايام وتتبدل الاحوال .

كنت ذات يوم أتمشى فوق جسر مود ، وكان هذا مزينا بالاعلام العراقية بمناسبة اعلان الاستقلال اذ ذاك ، فمرت سيارة كبيرة تحمل جمعا من الجنود البريطانيين ، فمد أحد الجنود ذراعه وأخذ علما من تلك الاعلام ، فأخذ أصحابه يصرخون ويضحكون ويصنفون شامتين بالعلم العراقى ، وبالاستقلال العراقى ، وبالشعب العراقى ... وبعد هذه « الزفة الفطيرة » رمى ذلك الجندى المغرور - ولا يغتر اليوم - العلم فى النهر ، فكان هنالك قهقهات وعجعجات من قبل اخوانه يتفطر قلب كل عراقى تألما منها ...

خطر على بالي هذا الحادث المزعج عندما رأيت اليوم علمنا يرفرف الى جنب أعلام أكبر دول العالم . فما أكبر الفرق بين هذين المنظرين ! فى الامس كان علمنا وسيلة ازدراء لصعاليك الاستعمار واليوم هو مرفوع فى جنيف ملتقى الشعوب والامم بكل وقار ...

اني لست ممن يتحمسون بالظواهـــر ، فيأخذهـــم الحال ويشيخون ويطبلون ويزمرون ، بل انني ممن يفتشون عن الحقائق ويبتعدون عن الخيال ولذا لم يأتِ فرحي لمجرد ارتفاع العلم العراقي في جنيف ، بل انه آت من وجود هذا الرمز الدال على نهضة العراق السياسية المبشر بقرب يوم استقلال العرب واتحادهم • وان أردنا وجهدنا فسيكون العراق حامل لواء مجد العرب ودليلهم في معتـــرك الحياة السياسية • عـــلى اننا يجب علينا أن لا نكتفي بدخولنا عصبة الامم فنتربع ونظن ان المسألة صارت گمرة وربيعة ! بل علينا أن نعلم ان الطريق الذي أمامنا لا يقل طولا ووعورة عن الذي تركناه خلفنا غير ان الفرق بين هذا وذاك ان الماضي كان مظلما مخـــوفا وان في طـــريق المستقبل أشعة الامل تهدينا ومن سار على الدرب وصل •

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ٢٧ ايلول ١٩٣٢ •

يوم العراق ويوم العرب*

[دخولنا عصبة الامم يعد من أكبر الحوادث فى تاريخ العراق الحديث ، فكان فرحنا بذلك وسرورنا بنيل هذه المرحلة من جهادنا يتناسب وتلك الفرصة السعيدة وان كان فى قلوبنا بعض الشىء من الالم والحرقة لوجود المعاهدة الجديدة] .

اليوم يوم العراق ويوم العرب !...

اليوم اعترف العالم على لسان أكبر الدول باستقلال العراق وجلس أول وفد عربى فى عصبة الامم بين هتاف ممثلى ٥٢ أمة ...

اليوم قام ممثلوا الدول العظمى الواحد تلو الآخر ورحبوا بدخول العراق ذاكرين مجد العرب القديم ومعترفين لهذا الشعب الابى بحق الحياة حراً كسائر الشعوب المستقلة ... فالانكليزى يمدح ويثنى ويمزج السياسة بالشعر ... والافرنسى يهنىء العراق ويذكر محاسن العرب ويظهر صداقته للاسلام ناسيا سورية والمغرب ... والطليانى يلقى كلمات طيبة كأنه ابن عم العرب ... ثم قام الالمانى ، فاليابانى ، فالنرويجى ، فالبولونى وكلهم مدحوا وأثنوا وباركوا ... أما الشعوب الشرقية فكان سرورهم أعظم وكلماتهم أقرب للقلب ، فكانوا تقريبا من أهل البيت ... وقد سبق الاتراك كل الامم فى اظهار محبتهم وودهم وكان لكلمات توفيق رشدى بك أحسن وقع فى نفوس العراقيين والعرب ولا سيما عندما تطرق الى موضوع سورية ...

فالوفود كلها كانت تنظر باسمة ومرحبة بالوفد العراقى والكل كانوا يهتفون لهذا الزميل الجديد فى عصبة الامم . انه حقا لمنظر جميل يشرح الصدر ويسر النظر ويوقد فى الارواح نار الامل لمستقبل الوحدة العربية...

ان هذا اليوم يوم تاريخى فى حياة العراق خاصة وفى حياة العرب عامة، يستحق أن يتخذ عيدا سياسيا كبيرا ... كنا فى الامس فى نظر العالم غير

متساويين بالشعوب الأخرى لا شرعا ولا فعلا ، لا نظريا ولا عمليا ولكننا اليوم حصلنا المساواة الشرعيةوهذه ستساعدنا أن نقوى ونرقى ونجهد فنال المساواة الفعلية ... ان فى هذا الوضع الجديد أهمية كبرى لا تنكر ولا يكابر فيها مكابر فعلينا أن نستفيد منها من غير تردد وتأخر ...

ان هذا اليوم يوم جديد فأود أن يرمى العراقيون عن أكتافهم ثياب السياسة القديمة البالية المبنية على الطمع الشخصى والمحسوبية والخاطر والفرهود فتكون عندنا سياسة جديدة نظيفة نقية أساسها العدل والاخلاص فى العمل .

فى الامس كنا تحت حمل الانتداب الثقيل وكان ذلك يمنعنا من أن نقوم بواجبنا الوطنى كما تقوم الشعوب الحرة بواجباتها نحو أوطانها ، أما اليوم فقد زال كابوس الانتداب وأصبحنا أحرارا فعلينا أن نستلم المسؤولية الكبرى وأن نعمل ونعمل كى نعدّل كل أعوج ونكمل كل ناقص ونحسّن كل قبيح وذلك باتخاذ سياسة جديدة تلائم الوضع الجديد بعيدة عن العواطف والاهواء .

ويجب على كل عراقى أن يعلم ان غايتنا القصوى ليست الهتاف باستقلالنا فقط أو جلوسنا فى عصبة الامم ، بل انما هى الاستقلال الشرعى ـ العملى الذى لا يحصل الا بالسعى وباقتحام كل الصعابات لنيل سوية اقتصادية وعلمية تضاهى سوية الشعوب الاخرى .

قلت ان هذا اليوم هو يوم العراق ويوم العرب ولكنه هو قبل كل شىء يوم العمل ويوم الاخلاص للوطن .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٢ تشرين الاول ١٩٣٢ .

شرارات بريئة*

[كان الوفد البرلماني العراقي الذي شد الرحال من بغداد الى جنيف لحضور حفلة دخولنا عصبة الامم غريبا وعجيبا في شكله وعناصره وكانت الاكثرية الساحقة فيه تجهل كل شيء عن عصبة الامم وأعمالها ولا تعرف لغة أجنبية لتفهم ما يقال وما يراد .. وقد حصلت ارتباكات « وخرابيط » يؤسف لها من جراء انتخاب أعضاء الوفد على تلك الطريقة الامر الذي جعلني أكتب هذه الكلمة البريئة ...] .

الآن وقد « دخل » العراق بالخير والسلامة وانتهت الزفات والاعراس والولائم يجب عليّ أن أقوم بوعد أعطيته لاحد الاخوان من الوفد البرلماني العراقي فأكتب كما طلب بعض الشرارات حول ما رأيت وما سمعت في جنيف طول أيام العرس .. وكان شرطي أن أقول الحق ولو على نفسي ، وكن جواب الاخ الفاضل : «ان الذي يزعل من الحق ملعون» وعليه اذن بلا زعل !

الوفد البرلماني العراقي

اني أتيت من برلين الى جنيف كي أحضر حفلة دخول العراق عصبة الامم وهي مهمة « تسوى السفرة » وبهذه الفرصة كي أتعرف أيضا بوفد « الزفافة والسراديج » الذين شدوا الرحال من بغداد الى جنيف ، واقتحموا مشقة السفر خدمة للوطن ... ولقد سررت جدا بمعرفتهم لا سيما وفيهم من بيننا وبينهم حقوق وصداقة وخبز حار وسمك مسگوف وعليه أقول بكل اخلاص ان الجماعة كأشخاص وكأصدقاء كلهم على عيني وعلى رأسي ... ولكن كأشخاص وكأصدقاء فقط ... اذ لو حركك ابليس وأردت أن تنظر اليهم بمنظار السياسة فالمسألة « تشگم » لان الاكثرية الساحقة منهم في

السياسة العالمية ودواليبهاوفيما يتعلق بعصبةالامم كالاطرش فىالزفة ...وبما ان مهمة الاخوان هى مهمة سياسية ـ دبلوماسية يجرنا ابليس اللعين أن ننظر اليهم ولو مرة واحدة بمنظار السياسة ونقول كلمة واحدة بريئة نرجو من الاخوان أن يقبلوها لا من باب الانتقاد ، بل من باب البهارات ... ثم المسألة فى حد ذاتها ليست مهمة وقد يجد « الآيلية » فى السياسة فى كل برلمانات العالم ... وانى متأكد من ان أكثر الاخوان لم يفكروا من قبل بأن سيأتى يوم يجدون فيه أنفسهم فى جنيف أمام كل هذه « التنتيفات » كما سمّاها أحدهم ولكن النصيب نصيب ، والمكتوب مكتوب ، « واذا ركب الانسان الريح وفرّ من رزقه لركب الرزق البرق وأدركه حتى يدخل فمه » .

وربما هنالك حكمة لا يدركها عقلنا فى انتخاب مسطرة الوفد البرلمانى من هذا القماش السياسى الذى فيه من كل الالوان ولربما العامل الاكبر فى هذه العملية هى سياسة « يره‌ياط ! ايلرى مارش ! » فالعلم عند الله وعند أبى صبح ...[1]

الولائم والخطب

أقام الوفد العراقى وليمتين : الاولى يوم « الدخلة » وكانت كما سمعنا خاصة بالاجانب ولم يحضرها من الوفد البرلمانى الا من هم بمثابة « أركان حرب » أو من المقربين جدا ، وعليه لايمكننا أن نتكلّم عنها ... أما الوليمة الثانية فكانت « لأهل البيت والاقارب » ولم يكن فيها غريب ولله الحمد والمنة ... على انى سألت أحد الاخوان عن حكمة هذا الفصل بين الوفد البرلمانى العراقى ورجال الوفود الغربية ، فقال لي ان « أركان الحرب » يخافون من أن يحصل هنالك « كسر بوط » . العذر معقول ، ولكن لماذا ادعى البعض بأن الوفد البرلمانى أتى ليتعارف برجال الغرب ويقوم بدعاية سياسية للعراق ؟ آخر عرب وين طنبورة وين ؟

---

(١) هو نورى السعيد ويكنى بأبى صباح .

فالوليمة كانت كما قلت عربية بحتة ، ولذا كانت حرية الاكل وحرية الشرب وحرية الكلام غير مقيدة بشيء من البروتوكول الغربي الذي يقلب الاكلة بعضا زقنبوتا أحمرا ... فاننا كنا كلنا مبسوطين ومرتاحين كأننا كنا في بيوتنا والمسألة كانت لذيذة جدا على ترتيب « شلح واضرب دقلة ! » فالعراقيون والسوريون والمصريون كانوا كلهم مسرورين والمودّة والاخوة كانتا أربعة وعشرين حباية ...

أما الخُطب فكانت أنواع وأشكال : منها كلام موزون معقول ، ومنها لغوة يابسة لا رأس لها ولا كعب ، على ان الهتاف كان مستمرا والضحك والمداعبات من غير انقطاع ، وهذه سنة الله في الولائم والخطابات . وقد دام الطرب الى منتصف الليل ثم خرجنا حامدين شاكرين لنتمشى على شاطيء البحيرة . وكنت ترى أثر السرور على الوجوه في مختلف الدرجات ... فكان الفرح عند البعض كاملا لا نقص فيه وكان هذا البعض بلا شك يعتقد ان بحيرة ليمان ستنقلب هريسة والاكل بلا خواشيك ... وهنالك جماعة أخرى سرورها مبني على فلسفة : اليوم أكلة دهينة وبكرة الله كريم ... أو على : اليوم أول صيدة والخير لقدام ... ولربما كان فينا من كان فرحه ممزوجا بشيء من الالم ، اما من كثرة الاكل واما من التفكير ببعض مواد المعاهدة وما أشبه ذلك من المزعجات ... وربما كان فينا أيضا من كان في وضع « بلاّع الموس » مبتلى اذا سكت ومبتلى اذا تكلم ... ولكن شيء على شيء العراق « دخل » والمسألة انتهت بخير فقولوا معي : شايف خير ومستاهلها ! شايف خير ومستاهلها !

---

* نشرتها جريدة العالم العربي في ١٠ تشرين أول ١٩٣٢ .

مســـألة مهمـــة*

[كانت قضـية البعثات الدراسية من الامور المفلوتة تماما يتصرف بها ذوو النفوذ كما شاؤا وبغير حساب ٠٠٠ودون التفكير بنصيب الطلاب الفقراء وعـــلى طريقة القوى يأكل الضعيف مهما كانت النتائج ٠٠٠] ٠

انها فى نظرى من أهم المسائل التى تستحق أن ينظر اليها الانسان بكل دقة واعتناء ولكن مع الاسف يقال انها مهملة ومتروكة مع الامور الثانوية كأنها تخص بيت الجيران ••• هذه المسألة هى قضية البعثات الدراسية ، ولقد سمعت عنها ما يدوّخ الرأس ويُلعّب النفس ويجعل الرجل الحليم يستعوذ بالله مرة واحدة من الشيطان الرجيم ، وألف مرة من شر بعض الاغنياء فى بلادنا •••

يظهـــر ان الفوضى والمحسوبية والفرهود والنفـــوذ لم تترك مسألة البعثات تمشى ببياض وجهها بل سوّلت لهم أنفسهم أن يتبعوا فيها فلسفة « مال ميري حـــلال » فدخّلوا فى البعثات الحكومية أبناءهم وأبناء أبنائهم وأبنـــاء أقاربهم وأبناء أصحابهم وأصحاب أصحابهم ، فأصبحت الشغلة « فرهود يا أمة محمد » وكل ذلك حُبا بطلب العلم !؟••• ولكن هؤلاء الرجال هم قادرون بفضل الله وبفضل مخصصاتهم أن يرسلوا ابناءهم الى الكليات الغربيـة عـلى حسابهم بدون أن تختل ميزانيتهم الخاصة وفيهـم من يستطيـع بفضـل الله وبفضل الخزينة أن يدفع بدل دراسة أبنائه وعدد لايستهان به من أولاد الفقراء اذا أراد ••• ولكن عجم وين نقارة وين •••

انى أعرف ان الانسان طماع ابن طماع ، وان البطن تشبع والعين تبقى هلكانة جوع ، ولكنى لم أكن أعرف من قبل اننا فينا رجال قد استفحل فيهـم الجشع فصار لهم محورا تدور عليـــه سياستهم وكل أعمالهم • فمن سبب تلك الانانية يسلب اليوم فى العراق حق التلميذ الفقير كى يتمتع التلميذ الغنى • كل هذا يجرى فى رابعة النهار والناس ترى ذلك وهى ساكتة ، لان السكوت

من ذهب ... ولا يرتفع هناك صوت لا في البرلمان ولا في الصحف خوفا من السعلوة ... هذا من جهة ومن جهة أخرى تقوم القيامة ويفور التنور على رأس « كاكة وكلمبة وكليب الماي »[1] اذا حاول أحدهم من شدة الجوع أن يلفلف لحافا عتيقا أو سلة طماطة أو حمارا أعرجا ...

في كل البلاد توجد أمور لا تأتلف مع العدل والحق وفي كثير من البلدان « يتعب أبو كلاش ويأكل أبو چزمة » ولكن لا أعتقد أنه يوجد في الغرب مسائل عوجة مثل قعضية البعثات عندنا :

سمعت والعهدة على الراوي ان التلميذ الفقير اذا سقط في الامتحان مرة يقطعون عنه المخصصات ويرجعونه الى بلاده «كشمة كشان» وهذا أمر حسن ومعقول غير ان التلميذ الغني مهما سقط وضرب چقلنبات فلا خوف عليه ولا وجل لان بيت المال موجود . ومع ذلك في أكثر الاحيان يرجع ابن الغني على ترتيب « تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي » ! فيما يخص الدراسة والتحصيل مع شيء كثير من الولع في الشرب والرقص واللهو أو اللعب ... والغريب ان الذي أرسلوه كي يتخصص مثلا في الزراعة يرجع مهندس فحم والذي طلبوا منه أن يدرس مثلا الاقتصاد والسياسة يرجع بيطريا أو متخصصا في زرع السّي والباسورك ! وهكذا المسألة من الاول الى الآخر فيما يخص الاغنياء هي بلا رأس ولا أساس .

ان هذه القضية فاسدة يجب اصلاحها وهي عوجة « مثل ذيل كلب الكاولية » يجب تعديلها ولا يتطلب هذا الاصلاح عملا جبارا ، بل انما يتم بكل سهولة اذا أخرجنا أولاد الاغنياء من البعثات واتخذنا العدل أساسا . والا فاذا أهملت المعارف مبدأ العدل والمساواة بين التلاميذ فلا الغرور القومي يفيدنا ولا تقارير منرو وغير منرو تنفعنا ولا قاعدة « الخط والنط وسبح الشط » تأتينا بالفوائد المأمولة .

(١) مثل يقال بمعرض « كل من هب ودب » .

فاني أعتقد ان الشبان النشيطين الذين بين أيديهم اليوم سياسة المعارف سوف لا يترددون عن الاقدام على تعديل هذا الاعوجاج المشين وذلك بدون أقل التفات الى غضب من يغضب من ذوي الاموال الكثيرة والصدور الضيقة.. فاننا لا نريد ان نرى التلميذ الفقير يتحسر ويتضجر في أمر اكمال دراسته بينما الاغنياء يتمتعون بأموال الامة بغير حساب ... ونود من كل قلبنا أن يكون أولادنا وأموالنا زينة لا فتنة في هذه الحياة . وهذا عريبون والقصور انشاءالله في بغداد وعن قريب .

---

* نشرت في جريدة العالم العربي في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ .

كيف وجــدت بغــداد ؟*

[بعـد غيـاب عشر سنوات عدت الى الوطن فوجدت ان تبدلا شاملا قد حصـل فى بغداد ... فالطرق غير تلك الطرق والناس غير اولئك الناس . وجدت تقدما فى بعض النواحى وتقهقرا فى بعضهـا ... تقـدما فى الماديات وتقهقرا فـى الاخلاق والمعنويات ... كل ذلك حصيلة الفوضى أيام الاحتلال والانتداب والحكـم الشاذ ...] .

التطور العــراقى :

بشوارعها المبلطة الواسعة وبيوتها الجديدة وحدائقها المتعددة وجــدت بغداد وقد تبدلت كثيرا وتحسنت تحسنا لا بأس فيه ... على ان أبرز شيء فيها هو اجتماع الاضداد بسبب اختلاط الشرق مـع الغرب والعتيق مـع الجــديد ...

من قبل كان الشرق وحده « ابو البيت » فى بغداد ولم يكن اذ ذاك من يشاركه فى بيته ، بينما الآن نجد الغرب يشترك بتلك السيطرة وبذلك النفوذ ... ان اجتماع الشرق مع الغــرب يولــد أحيانا أبدع المناظر وأجملها ولكنه مع الاسف فى أكثر الاحيان « الشغلة تطلع فالصو » وتــرى حينئذ اعجوبات لا طعم فيها ولا لذة ... ففى بغداد الآن مناظر خلابة يتعانق فيها الشرق والغــرب كتعانق العاشقين وأخرى قبيحة تجد الاثنين فيها « كشمة كشان » : الشرق أكل بوكس فى فكه وصاير بدگونية ، والغرب مكفوخ ألف كفخة ومضروب ألف چلاق ... وانك لتجد مثلا فى شارع الرشيد أبنيـة عصرية تجمع جمال الغرب والشرق فتستحق أن تزين عاصمة الرشيد ولكن فيه أيضا من الاعجوبات البشعة لو يراها اليوم هارون الرشيد لقلب الدنيـا على رأسنا والحق معه .. ومن أمثلة اجتماع الاضداد فى بغداد انك ترى قصرا

فخما شامخا بهيبة ووقار يقبع جنبه كوخ يمثل الفقر والسفالة أحسن تمثيل ...
وهنا عمارة بنك يا طولها يا عرضها وأمامها قهوة حماميل لا شافتها عيونكم ...
وهذا دكان بياع چيكولاته باريسية وجاره يبيع شلغم مسلوق ... وهـــذه
سيارة شـيقة ذات ٨ سلندرات تمشى وراء عـــربانة مطرقعة تفطن عــلي
الخندق ... ولا تنحصر هذه الاضداد المجتمعة فى شوارع بغداد وأزقتها بـل
انها تشمل البيوت وطرز المعيشة والكسوة وحتى الاكل والشرب وحتـــى
الاذواق والاخلاق غير ان هذه الحال سنة فى التطور لا بد من حصولها عندما
يختلط العتيق مع الجديد ... فواجبنا هو الاسراع فى السير كى نجتاز هذه
المرحلة ساعة أقدم ولذا سرنى كثيرا ما رأيت من الحركة والاقدام نحو التجدد
العمرانى وأعتقد انه سيأتى ذلك اليوم فى القريب نرى فيه بغداد جميلة فى
حُليتها ولها منظر يسّر الناظرين ...

التطـــور السياسى :

عندما تركت بغداد قبل ١١ عاما كانت سياسة البلاد مبنية على قاعـــدة
« أطيعوا الله والرسول ووزارة المستعمرات فى لندن » وكان الانتداب وهـو
ابن عم الاستعمار قابضا على زمام الامور قبضة موت والوضع الشاذ كان يلعب
شاطي باطي من الباب الى المحراب وكنا اذ ذاك عائشين على ترتيب « البيت بيت
أبونا والناس يعاركونا » وكان العراقى فى العراق ذليلا يتآمر عليه الغـــرباء
البيض والسود والسمر . والاستقلال الذى كنا قد حصلناه على أثر الثورة كان
يشبه « بيض اللكلك » ... وهكذا كنا ساكتين صامتين وقـد نسينا الدمـــاء
الزكية التى أريقت فى سبيل الحرية والاستقلال ... هكذا كانت الحالة عندما
تركت بغداد . أما اليـوم وقد رجعت اليها فوجدت ان الامور قد تبدلت وان
البلاد قد قطعت شوطا لا بأس فيه الى الامام . هـــذه حقيقة لا تنكر والذى
ينكرها ليذهب الى سورية كى يتذكر الماضى ويحمد الله ولا يرضى بالصخونة
الا من قد رأى الموت ...

يدعي بعض من يدعي اننا في ساحة السياسة لم نزل « يرنده صاى » وان الذى تبدل هى الظواهـــر فقط والاساس لم يزل ذلك الاساس ورأس الخيط لم يزل في يد الانكليز ... انى لا أعتقد بصحة كل هذه الاقوال . لان زوال الانتداب واعتراف العالم باستقلال العراق ودخولنا عصبة الامـــم ليست من الامور الثانوية بل انها من الامور الاساسية التى يمكننا ان نبنى فوقها كيان دولتنا بدون تردد ... فالاساس الذى أمامنا قوي يتحمل البناء ولكـن اذا تجاهلنا وتساهلنا وتركنا أمر التعمير فى يد الغير ، فالذنب يقع علينا لا على الغير ... اننى لا أدعى اننا صفينا كل حساب وختمنا كل كتاب وفتحنا كل باب والمسألة صـــارت گمرة وربيعة ... لا ! بل بالعكس اذ اننى أعتقد ان الشغل الحقيقى والجهاد الجدى ومهمة العراق الاصلية بعد لم تنتـــه ... ولا أريد هنا ان أخوض بحث « رأس الخيط » أو « رأس الحبل » ولكننى أعتقد ان العراق اليوم لا يشبه العراق فى الامس ، واننا الآن على صراط يؤدي الى الاستقلال الحقيقى والى السعادة وهنا يجب علينا أن نتعلم كيف تؤكل الكتف وكيف تورد الابـــل حتى ننال ما نريد ونخلص « رأس الخيط » من يـــد الغير ... وعلينا الشغل والتسهيل من الله !

التطـــور الاجتماعى :

هذا بحث طويل عريض يمكننا أن نكتب فيه صحائف بعد صحائف ، على اننى لا أريد أن أدوّخ رأسكم بل أقول بالمختصر المفيد ، اننى مع الاسف وجدت التطور الاجتماعى عندنا ما يسوى رأس بصل ، والاخلاق العامـــة ـ وهى أهم شيء عندي ـ راجعة الى الوراء ... أما الدواعى والاسباب فهى عديدة ومتنوعة وأهمها فى نظرى فساد أخلاق بعض الكبار من الطبقة المديرة والميل الموجود تقريبا فى كل الطبقات الى تقليد الغرب «على العمياوي» ان ذلك التقليد ـ باعتقادي ـ سيوصلنا الى سوية اجتماعية أرقى وأعلى مما نحن فيه لان هذا التقليد جديد وفي كل جديد لذّة ، وبما ان سوية الحياة ارتفعت في نفقاتهـا

والمصرف صار « قاط عشرة » فصار الناس يعملون كل العمايل ليدفعوا دَين القمار وبدل المشروب والمأكول أو ليسدوا ما قد بذّروه فى الاوتيلات على ما هو أقبح من القبيح وأشنع من الشنيع حبُا « بالفن » أو « بالفنانات » وبفضل ذلك الفن وتلكم الفنانات ذهبت الاخلاق ونسيت شروط الشرف والانسانيـة ونزلنا الى مستوى أحط مما كنا قبل عشر سنوات ...

كنت أفضل أن لا أطرق موضوع الاخلاق الشخصية وكل نعجة تتعلق من رجلها ، ولكن الفساد قد تسرب الى الاخلاق العامة والى الاخلاق السياسية وهنا لا يصح السكوت ... أما المسؤولية الكبرى لهذا التسرب فتقـــع على بعض الكبار الذين تساهلوا فى الامر وشجعوا الرذيلة نوعا ما بـــدلا من أن يقلعونها من عروقها ، فانتشر الكذب والنفاق والتجسس والتزلف والتبصبص وذهبت الشيمة والآباء وعزة النفس والتهت رجالنا بالمعاهدات والمجالس النيابية والامتيازات والاحزاب ومنهم من شجع هذه الفوضى الاخلاقية لغايات ادارية أو لنجاح بعض القضايا السياسية ... وهكذا اشتغلنا عدة سنوات ونحن نضع حجرا واحدا فى السياسة ونهدم كل يوم ركنا من الاخلاق ... فهذه كانت خطيئة لا تغتفر لان الفوضى الاخلاقية هى أم الفوضات ومن جـــراء تلك الخطيئة صرنا نســمع ونرى كل يـــوم أشياء لا يصدقها العقل ولا يفسرها اللسان : فهذا الزعيم طلع زعيم من « زرق ورق» ، وهذا البطل المتلهب طلع فاشوشى وذاك الامين يسرق الاحياء والاموات . وهذا الزاهد يضرب الخنزير من غير ملح ... وهناك حوادث يقشعر منها الجلد ويتفطر منها الفؤاد لامجال لذكرها ...

أما الآن وقد زال الانتداب ودخلنا دورا جديدا فى حياتنا السياسية فأول شىء يجب الشروع به هو اصلاح الاخلاق بصورة عامة . فلنضرب الخائن بلا رحمة ولنسلم المختلس والمرتشى الباب ، طلعة بلا دخلة ولنتباعد كل التباعد عن الخاطر والمحسوبية ولتكن المقدرة والاخلاق من أول شروط الاســتخدام

فى وظائف الدولة ويجب أيضا أن نهتم بأمر الشبان وانقاذهم من شر القمار والفحش والخمر ومن شرور « الفن » و « الفنانات » ...

فالناس تنتظر اليوم بفارغ الصبر عملية الاصلاح والغربلة الحقيقية كى تتخلص البلاد من هذه الفوضى الاخلاقية ومن هذا الفرهود المتزايد ومن تسرب نفوذ بعض الجرائيم لبعض مناطق الحكم والادارة ، اما بفضل الحيلة والتزلف واما من أجل عيون هذا المثرى الثخين أو ذلك المتنفذ الطويل ... فمسألة الاخلاق عندنا صايرة « سريافه » للفؤاد وقد حان زمن درسها وحلها وانقاذ البلاد من جرائيمها . واننا نؤمل ان عملية الغربلة ستبتدىء عما قريب وان الشباب الصالح سينجح كل النجاح فى تلك العملية ... وهنا يجب أن لا نتردد فى استعمال الشدة والقسوة ، فالذى يحتاج الى ضربة ساطور يجب أن لا نستعمل فى أمره الابرة والدبوس بل تنزل على رأسه ألف ساطور وقضية اصلاح الاخلاق هى كالعملية الجراحية وكما ان الجراح لا يتردد فى قطع الاعضاء الفاسدة كى يسلم الجسم ، فالمصلح الاجتماعى يجب عليه أن لا يرحم ويتساهل كى يتم أمر الاصلاح .

اننا لا نجهل ان المسألة ليست بهينة واصلاح الفاسد لا يتم بيوم أو بيومين ولكن اذا اتحد الصالحون ووقفوا بجرأة بوجه الفاسدين سينهدم بيت الفساد وانا لذلك اليوم لمنتظرون .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٢ كانون الاول ١٩٣٢ .

خرابيط*

[بعد عودتي الى بغداد صرت أدرس الاوضاع الخاصة والعامة عندنا وأقيسها بما شاهدت في العشر سنوات التي قضيتها في أوربا فتبين لي البون الشاسع بين الذي عندنا والذي عند غيرنا ... وأيقنت بأننا لا زلنا بعيدين جدا عن الغايات التي نصبو اليها سواء أكان ذلك في سوية الشعب أو في طريقة الادارة والحكم اذ ان زوال الانتداب ودخولنا عصبة الامم لايكفي لتبديل الحال والاوضاع التي كانت سائدة لمدة عشر سنوات ...] .

لا يوجد على وجه الارض بلاد خالية تماما من الخرابيط بالرغم من الرقي المادي والمعنوي الموجود في بعضها . هذا لان البشر بشر والبقر بقر ، سواء كان ذلك في الشمال أو في الجنوب في الشرق أو في الغرب . على ان الفرق هو في درجة التفاوت ما بين الخرابيط . وهي تتراوح ما بين الواحد والمائة بالنسبة الى البلدان وطبائع أهلها وأخلاق سكانها .

أما عندنا فالخرابيط موجودة ببركة . ولربما قد حصلت هذه « البركة » لاننا في دور التطور ، أو لاننا ما ودعنا الوضع الشاذ ، الا قبل أيام معدودات .

ويمكننا ان نقسم الخرابيط عندنا الى قسمين : « خرابيط بسيطة » « وخرابيط مركبة » .

أما البسيطة فهي ناشئة من قلة الذوق أو قلة الاختبار أو العلم الناقص أو الفطارة و « الگور ممشلغية » . وقد نرى هذه الخرابيط كل يوم وفي كل مكان ، على انها لا تكسر العظم ولكنها على كل حال خرابيط واثمها أكثر من نفعها .

ولا نريد أن نخوض موضوع الخرابيط البسيطة بصورة عميقة بل

نكتفي بايراد بعض الامثلة منها بقصد التنبيه والتذكرة :

مثال ذلك اننا نهتم بالسجون والمساجين أكثر من اهتمامنا بالمستشفيات والمرضى . بل أكثر من اهتمامنا ببعض المدارس وتلاميذها . فالمسجون عندنا فى اكثر الحالات يعيش فى السجن أحسن من عيشته خارج السجن . وعليه اصبحنا فى وضع غريب نرى فيه سوية عيشة السجين أعلى من سوية عيشة العامل أو الفلاح !...

أنا لا أنكر فائدة تحسين حالة السجون واصلاحها ولكن يجب أن لا يكون ذلك التحسين أو الاصلاح بمثابة دعاية للجرم عند بعض الناس ، يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار سوية حياة المجرمين ولا نعطيهم أكثر ما يستحقون . فسجن بغداد مثلا لا يقل نظافة وانتظاما عن السجون الاوربية . فهل يا ترى يمكننا أن نورد نفس الملاحظة فيما يخص المستشفيات والمدارس والاوتيلات وبيوت العمال وعيشة الفلاحين و ... و.... !

ومن الخرابيط فى شهر رمضان انك تجد أكثر الناس يهنىء بعضهم بعضا ويتظاهرون بالصوم وهم « مفاطير من غبشة الليل » ! وترى أكثر المطاعم والمقاهي مغلوقة حرمة لشهر الصيام ولكن « المحل العام » مفتوح ليل نهار فليت شعري كيف يُفسر هذا الامر من بأيديهم صيانة الاخلاق وحرمة الدين ومتى كان الفحش والخلاعة أهون من كسر الصيام ؟ وكيف نستحي من فتح المطاعم ولا نستحي من فتح أبواب محلات البغاء على « مصاريعها » .

انى لا أرى عذرا معقولا فى هذه القضية التى تثبت لنا ان عناصر الفساد فى هذه البلاد هى أقوى بكثير من عناصر الاصلاح . وان المكلفين بأمر الاخلاق عندنا لا تتجاوز « مراجلهم » حد « القهوجية والآشجية »[١] .

ومن الخرابيط أيضا أن نقسم المقامرين الى قسمين فنعاقب ونجازي الفقراء « أهل البسات والآنات » ونترك الخواص أهل « الربيات والدنانير »

---

(١) أى أصحاب المقاهي والمطاعم .

يلعبون ويلعبون حتى مطلع الفجر وهم فى أمان !...

ومن الخرابيط أن يكون منظر جامع الحيدرخانة وهو « جناق قلعة الثورة العراقية » وهو فى أبرز نقطة فى الشارع العام يمر من أمامه كل يوم الكبار والصغار والاهل والغرباء ، كئيبا محـــزنا بفضل تلك الدكاكين « المقلفزة » الملصوقة به ... نحن نقدر الاقتصاد ونحب المقتصدين لا سيما فى أمـــور الاوقاف ولكن الاقتصاد فى أمر المعابد ولا سيما اذا كانت أمام نظـــر الوارد والشارد فانه لا يجوز . فدكاكين جامع الحيدر خانة تُرينا بكل وضوح قلـــة الذوق وقلة الاهتمام بالمعابد الاسلامية . فبدلا من أن يكون لنا معبد فخم فـــى وسط شارع الرشيد وفى وسط العاصمة . لدينا الآن معبد منظـــره يحزن القلب ويرينا تأخر المسلمين حتى فى أمور دينهم ومعابدهم .

ومن الخرابيط أن تكون حرية « الفن والفنانات » عندنا أكثر من بـــلاد الفن والفنانات نفسها . فعندنا الاوتيلات مفتوحة الى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ويقال ان بعضها تبقى مفتوحة ولكن « بصورة غير رسمية » حتى الصباح . بينما البلاد الاوربية الراقية الفنية لا تغالى مثلنا فى هذا الباب. واذا قسنا بلادنا مع ما فيها من ثقافة ورقي وثروة وصـــحة مع بلاد سويسرا مثلا ، وجدنا عندهم ان محلات اللهو والطرب تغلق أبوابها فى الساعة الحادية عشرة مساءً بينما عندنا يشتغل الكيف واللهو الى الساعة الثالثة صباحا نعلـــم حينئذٍ قوة الخرابيط فى بلادنا وضعف النفوس والسر العجيب فى تســـاهل أولياء الامـــور فى قضـــية « الارتستات » التى زاعتهن الارض فابتلينا بهن واعتبرناهن من بنات السماء .

أكتفى الآن بهذه الاسئلة فيما يخص الخرابيط البسيطة وأترك درس الخرابيط « المركبة » الى المقال القادم .

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ٣١ كانون الاول ١٩٣٢ .

نقدات أبى شرارة وهو فى بغداد*

يا أيها المنحنحون لا تنحنحون !

[بعد نشر المقال السابق « الخرابيط البسيطة » أتانى عدد من الاصدقاء راجين وناصحين بعدم نشر شيء حول « الخرابيط المركبة » ذلك لان المجلس الجديد لا يزال فى بدء أعماله وأن الحكومة الجديدة ستقوم باصلاح شامل وتطهير كامل فليس من المصلحة أن نفضح وننبش الآن بل يجب علينا أن نتعاون ونؤيد المصلحين وننتظر النتائج وتلبية لهذه الرغبة المخلصة صرفنا النظر عن خوض الموضوع بل اكتفينا بهذه الكلمة راجين تسهيل مهمة المصلحين] .

فى مقالنا السابق أتينا ببعض الامثلة من (الخرابيط البسيطة) بقصد التنبيه ووعدنا القراء بأننا سنبحث لها فى المقال القادم عن (الخرابيط المركبة) وهى كما نعلم وتعلمون كثيرة وقد جمعنا منها عددا لا يستهان به وقسمناها الى أبواب وفصول وجعلنا منها دركات بعضها تحت بعض منها ما يخص طريقة التوظيف والكفاءة وما هنالك من دخلات وطلعات ... ومنها ما يتعلق ببعض الاحزاب السياسية وصورة جمعها وادارتها وقوتها الظاهرة ووهنها الباطن ثم اندراسها بين عشية وضحاها كأنما هى أعراس واوية لا أحزاب سياسية ... ومنها ما يحلل ويفسر أسرار مزج الوطنية بالتجارة والتجارة بالسياسة على ترتيب شتاء وصيف على سطح واحد ...

ومنها ما يشير الى غنى الاغنياء وترفهم وكسلهم وفقر الفقراء وكدّهم وسفالتهم .. ومنها ما يختص بالاخلاق الشخصية والاخلاق السياسية ويفضح لك أشياء تطيّر ايمان ايمانك والعياذ بالله ..

ومنها ... ومنها ... ولكن فى الاخير رأينا أن نشر هذه الخرابيط

ونبشها قد لا يأتى بفائدة وقد يزيد الخرابيط خربطة وارتباكا لا سيما واننا اليوم فى دور التصفية والغربلة وعسى أن تتم التصفية وتكمل الغربلة بصورة هادئة ومن غير زفة ومن غير فضيحة ، فيكون سكوتنا وسكوت غيرنا ذهبا ...

انا تحملنا شر الخرابيط عدة سنوات وكان العامل الاكبر فى حصولها (الوضع الشاذ) وما يتعلق به ، فالآن وقد زال ذلك الوضع فلا بد من أن الخرابيط أيضا ستزول والآمال كلها متعلقة اليوم بالمجلس الجديد فلننتظر اذن بضعة أسابيع علّنا هذه المرة (نصيد بُنّية) فنستريح من أكل (الجرّي)[1] فتحقق آية (من صبر ظفر) على ان سكوتنا على الخرابيط الآن ذكرنى بقصة (يا أيها المتنحنحون ..) وهى :ـ

ان أحد (الشقاة العصاة) من طبقة الذين يصعدون الحائط باليمني قرر يوما أن يتوب ويهتدى فبدل مشيته وطوّل لحيته وسافر الى الهند بصفة درويش (صائم مصلي) فرحب به الهنود لانه من (بغداد شريف) وأعزوه وأكرموه وعيّنوه اماما فى أحد الجوامع وصار الناس كلهم يقدسونه ويحترمونه . على ان (أخينا بالله) كان أميًا و (بطرك الحمد) ولكن لاجل تمشية الشغل كان عندما يصلي بالجماعة يقرأ الفاتحة ومن بعدها يغني (عتابة) أو (مقاما) وكان الهنود لا يفهمون ما يقول ولكنهم يركعون وراءه ويسجدون وهكذا كانت المسألة ماشية على (أربعة وعشرين حباية) ولكن الجرّة ما تسلم كل مرة ، وذات يوم كان الامام قائما بنفس العملية وصادف وجود بغدادى آخر فى الجماعة فلما سمع هذا الاخير ان الشغلة فيها مقام (بهرزاوى) طار عقله وأخذ يستغفر ويستعوذ ويتنحنح ... فأحسّ الامام بالخطر وتدارك الامر وأخذ يقول : (يا أيها المتنحنحون لا تتنحنحون ! هؤلاء

---

(١) البنية نوع من السمك ، والجري نوع آخر من السمك أكله غير مرغوب فيه من بعض الناس .

هنود لا يفهمون واننا من الآن تائبون فاستروا علينا ان اللـه يحب الساترين والله أكبر ...!) .

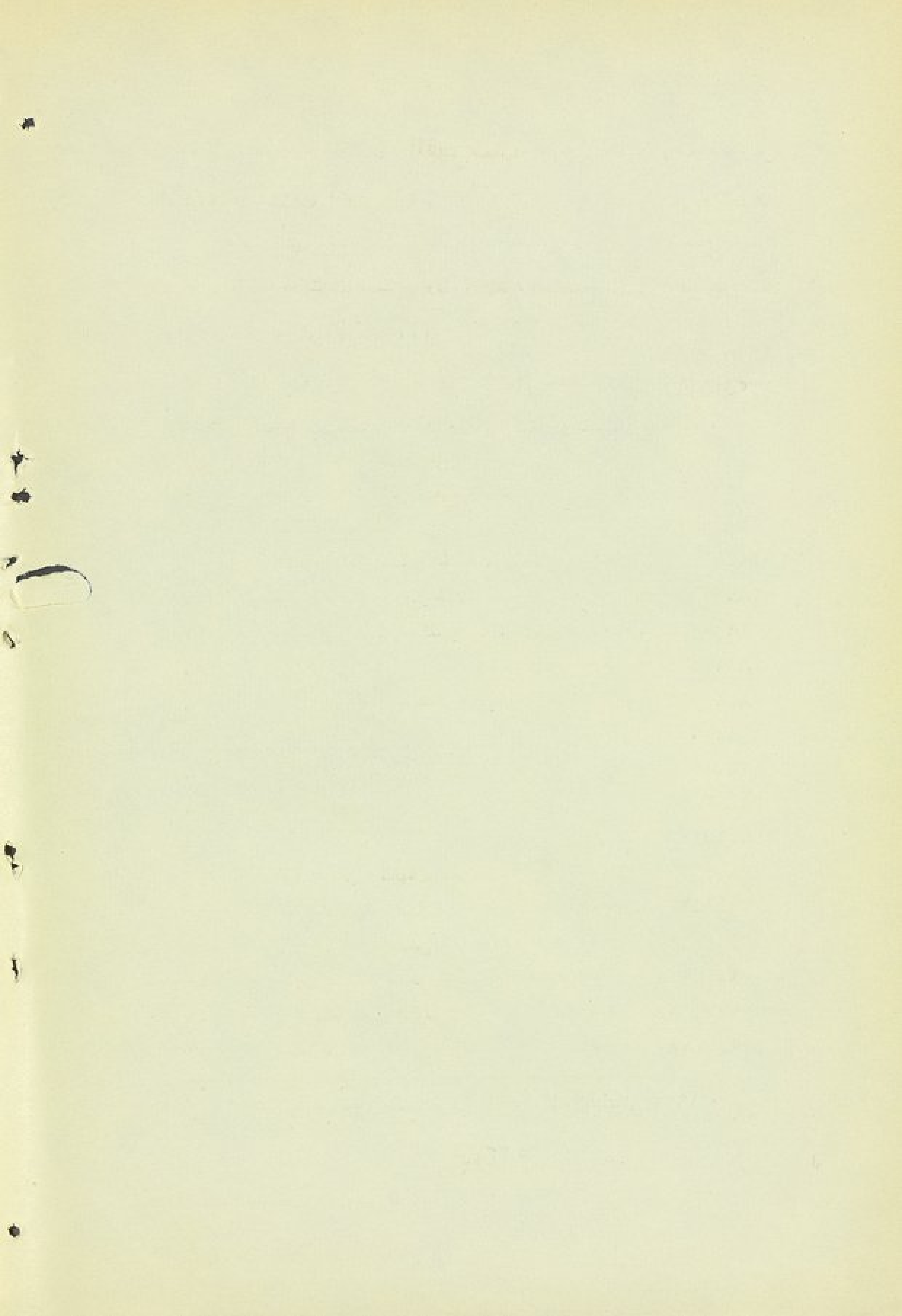
وهنـا رأى البغـدادى ان السكوت أحسن شيء فترك التنحنح وتـرك (الامام الساختة) ذلك البلد فى اليوم الثانى (فأصلح الفساد) من غير قـال وقيل وصار كل شيء بمكانه ...

وهكذا اليوم نرى كل العراقيين ساكتين ينتظـرون اصلاح ما فسـد وتعديل ما اعوج فيما مضى . وعلى رجالنا الشغل والتسهيل من الله .

ـ انتهـــى ـ

---

* نشرتها جريدة العالم العربى فى ١٨ كانون الثانى ١٩٣٣ .



الفهرست



[ثمن النسخة (٦٠٠) فلس]

